



Bibliotheca Alexandrina



0637645



جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم الحضارة الأوربية القديمة

الثعبان بين الأسطورة والرمز عند الإغريق

رسالة لنيل درجة الدكتوراة في الأساطير

إعداد الباحث

أيمن عبد التواب حسن سيد

إشراف

أ.د. عليّة حنفى حسانين

أستاذ علم البردى

كلية الآداب - جامعة عين شمس

د. إيمان على عز الدين إسماعيل

مدرس الأدب اليونانى القديم

٢٠٠٨

القاهرة

جامعة عين شمس

كلية الآداب

رسالة دكتوراة

اسم الطالب: أيمن عبد التواب حسن سيد

عنوان الرسالة: " الثعبان بين الأسطورة والرمز عند الإغريق "

اسم الدرجة (دكتوراة)

لجنة الإشراف

١- الاسم: أ.د. علي حنفى حسانين الوظيفة: استاذ متفرغ بكلية الآداب

٢- الاسم: د. إيمان على عز الدين الوظيفة: مدرس بكلية الآداب

تاريخ البحث: / / ٢٠٠٨

الدراسات العليا

ختم الإجازة

/ / ٢٠٠٨

موافقة مجلس الكلية

/ / ٢٠٠٨



أجيزت الرسالة بتاريخ

١٣ / ٦ / ٢٠٠٨

موافقة مجلس الجامعة

/ / ٢٠٠٨

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ
بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ
وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

سورة طه : آية ١١٤

شكر و عرفان

بعد الحمد لله أولاً وأخيراً، المتفضل على بساطع النعم ، لا يسعني سوى تقديم آيات الحب والعرفان والاحترام والتقدير لكل من أسهم في تعليمي حرفاً، وأخص منهم أستاذتي الأستاذة الدكتور عليّة حنفى حساين، التي لم تبخل على بعلم، ولم تدخر عنى جهد، وأعطتني من وقتها بسر وحلم، كذلك أخص بالشكر أستاذتي الدكتورة إيمان علي عز الدين، دليلي ومقيل عثراتي، التي أنارت عتمات عقلي، ورسمت لي الخطوط لأمشي، ومدت إلي يدها بالعون، دون منع أو من.

وأدعو الله أن يجزي عنى خير الجزاء أساتذتي الذين نشأوني وعلّموني، ويرحم من مات منهم، ويشيب خيراً زملائي الذين كانوا إلى جوارى وقت الحاجة وأخص منهم بالذكر الأستاذة نجلاء عزت، والأستاذة هالة السعيد والأستاذ حاتم ربيع. وأتقدم بشكر خاص محمل بكل معاني العرفان والاحترام إلى أناس ساعدوني دون أن يعرفوني، فأشكر الأستاذة الدكتورة ليليان بودسون من جامعة لييج LEIGE في بلجيكا، والأستاذة الدكتورة مريام ديكستر من جامعة كاليفورنيا CALIFORNIA بالولايات المتحدة الأمريكية. كما أشكر العاملين بمكتبة المتحف المصري والقائمين عليها، وكذا مكتبة المعهد الفرنسي، ومكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة. وأولى الناس بشكري وإن كانت كلمات الشكر ضئيلة في معانيها، هم أهلي وأسرتي. بارك لي الله فيهم فهم ذخيرتي وسندي.

أود أن أهدي أغلى ما صنعت، لأحلى ما رأيت

إلى بسمه الفجر الطي

مجتنب الظلام وما تعلم

لمجنه ملا الوجوه

غيره لما تسمر

أنا لست أبصر غيرها

بقلبي المسحور مرم

من لي بملء الأرض منها

يا ليت حلة الناس مريم

إلى أسطورتى الصغيرة

مريم أيمن عبد التواب

المحتوى

أ-ص	مقدمة
١٩-١	الفصل الأول: طبيعة الثعبان وطبيعة السكان
١٥-١	(أ) طبيعة الثعبان
١٩-١٥	(ب) طبيعة السكان
٦٦-٢٠	الفصل الثانى: الثعبان رمز الضرر
٥٢-٢٠	(أ) الثعبان فى مواجهة الإله
٦٦-٥٢	(ب) الثعبان فى مواجهة البطل
١٠٩-٦٧	الفصل الثالث: الثعبان رمز النفع
٩٣-٦٧	(أ) علاقة الثعبان بالحماية
١٠٢-٩٣	(ب) علاقة الثعبان بالعرافة
١٠٥-١٠٢	(جـ) علاقة الثعبان بالعلاج
١٠٨-١٠٥	(د) علاقة الثعبان بالتجدد
١٦٢-١٠٩	الفصل الرابع: نشأة الأفكار عن الثعبان وتطورها
١٤٦-١٠٩	(أ) الأصول الخاصة للأفكار عن الثعبان
١٦٢-١٤٦	(ب) الأصول العامة للأفكار عن الثعبان
١٦٦-١٦٣	خاتمة
١٦٨-١٦٧	ملاحق

١٦٧	(١) إحصاء بالمرادفات التى تشير إلى الثعبان....
١٦٨	(٢) قائمة بتواريخ ثورات بركان ايتتنا.....
٢١١-١٦٩	كتالوج الصور والأشكال.....
٢٣٣-٢١٢	المصادر والمراجع.....
	ملخص

ملخص باللغة العربية

ملخص باللغة الإنجليزية

مقدمة

عندما أعمل الإغريقى خياله، وهو يصوغ الأساطير، مصورا نفسه وآلهته، لم يغفل أن يصور غيره من الكائنات وعناصر الطبيعة، التى تتفاعل معه فى واقعه ويتفاعل معها. فجعل غيره من الكائنات شخوصا فى أساطيره، وشخصيات تشاركه أحداثها. فحاك بخياله اللامحدود الأساطير عن الحيوانات، والنباتات، والجبال، والأنهار، والسماء، والبحار، وكآفة مظاهر الطبيعة وظواهرها. شغل الحيوان حيزا ليس بالقليل من مساحة الأساطير، ومثلّ عنصرا أساسيا من عناصرها، لا يقل دوره فى أهميته عن دور الإله أو البطل، فلعب دوره الطبيعى، ودور المسخ، والممسوخ إليه، والمتقمص. كما كان له حظ وافر فى الديانة الإغريقية، فكان صورة بعض الآلهة، أو من مخصصاتها ورموزها، ناهيك عن أن الحيوان كان هو الأضحية التى تقرب بها البشر للآلهة.

ويود الباحث أن يلقي الضوء فى هذا البحث على أحد النماذج الحيوانية، الذى كان له انتشار واسع فى أساطير الإغريق ومكان بارز فى ديانتهم. والنموذج فى هذا البحث هو الثعبان، ذلك الحيوان المميز بخصاله الخاصة، وطبيعته المتفردة. إنه يسير دونما أقدام. ليس له ريش أو شعر. ويسرى فى بدنه دم بارد. ويخرج من بيضة كما الطيور. ويكمن فى سمه الداء والدواء. يمشى على الأرض، ويتسلق الأشجار، ويسبح فى الماء. يسكن فى الجحور المظلمة أو على الأشجار العالية. ويغير جلده من آن لآخر. ويبتلع ضحيته، التى تبدو أضخم منه دون عناء.

أذهل الثعبان الأقدمين بصفاته الغريبة فى كآفة أنحاء المعمورة، فقدسوه فى إيطاليا، ومصر القديمة، وبلاد ما بين النهرين، وفينيقيا، وفارس، وعند الحيثيين، وفى الهند، والصين، واليابان، وشبه الجزيرة العربية، والمكسيك، وعند الاسكندنافيين. كما عرف الثعبان طريقه لأساطير الإغريق ومعتقداتهم منذ أقدم عصورهم، فكان ملازما للعديد من الآلهة، فارتبط بزيوس، وأبوللون، وأثينا، وديونيسوس، وديميتر، وهيرميس، كما كان عنصرا مشتركا فى صور معظم المسوخ أمثال: تيفون، وميدوسا، وبيثون، وهيدرا. وصور الإغريق كذلك بعض أبطالهم فى صورة ثعبانية، أمثال: كاموس، وإريخثونيوس، وكخريوس،

وكيكروبس، والديوسكوروى، وأسكليبيوس. ورأوا فيه مصدر تهديد لبعض الأبطال، مثل: هيراكليس، ومصدر موت للكثيرين من الشخصيات الأسطورية، مثل: ايبيتوس، واوفيلتيس.

دفعت طبيعة الثعبان الغريبة، وما لاقاه من اهتمام بين القدماء، العديد من الباحثين إلى تناوله بالدراسة. وما يعنينا هنا هي الدراسات الأسطورية والدينية. تعددت الدراسات التي تناولت الثعبان فى الحضارات المختلفة، حيث تنقسم إلى قسمين:

أ- دراسات عامة ب- دراسات متخصصة

أ- الدراسات العامة

تشابهت الأفكار عن الثعبان- إلى حد ما- فى شتى أنحاء الأرض، الأمر الذى أغرى بعض الباحثين بالعمل على تناول صورته فى أكثر من حضارة، ومرت هذه الدراسات بطبيعة الحال على الحضارة الإغريقية بوصفها واحدة من أكثر الحضارات القديمة اهتماما بالثعبان.

حين يضع المرء ما أورنته هذه الدراسات من أفكار عن الثعبان عند الإغريق موضع التقييم، يجد أن هذه الدراسات فى معظمها إما تقريرية^١ أو تدليلية^٢.

تُسهم الدراسات التقريرية فى بناء صورة أولية بسيطة ومجملة عن الثعبان فى الحضارة الإغريقية، إلا أنها تكون غير متعمقة، ولا تقدم جديدا إلا فى النذر اليسير. ولا عجب أن الأعم الأغلب من هذه الدراسات يرجع إلى القرن التاسع

^١ - يقصد الباحث بها الدراسات التى عرضت ملامح من أفكار الإغريق ومعتقداتهم عن الثعبان من خلال المصادر النقلية أو الأثرية، والتى تقتصر فى معظمها للتحليل، وإن كانت لا تخلو أحيانا من محاولة بعض الباحثين بناء تصور عام عن الرابط بين هذه المعتقدات.

^٢ - يقصد الباحث بها الدراسات التى يشرع أحد الباحثين فى القيام بها ولديه قناعة خاصة أو اعتقاد مسبق، يسعى إلى التدليل عليه باقتناص ما يعضد فكرته، غاضا بذلك للطرف عن الأفكار الأخرى، التى لا تناسب فكرته.

عشر. أما الدراسات التدليلية فتلقى الضوء على بعض الجوانب من التصور الإغريقي عن الثعبان، إلا أنها تغفل البعض الآخر. وتبتعد الدراسات التدليلية عن التحليل، لأنها تتعامل مع المادة المصدرية بوصفها وسيلة لا بوصفها غاية؛ حيث يستخدم الباحثون المادة المصدرية كوسيلة أو دليل يدعم أفكارهم، ولا تكون هي في حد ذاتها هدف التحليل.

بدأت الدراسات عن الثعبان على يد كوخ عام ١٧١٧ بدراسة عنوانها:
Koch.(M.Ioh), *De Cultu Serpentum apud Antiquos, Lipsia, MDCCXVII*

تميل دراسة كوخ إلى الدراسات ذات الطابع التدليلي، يسيطر على كوخ في بحثه المفهوم المسيحي عن الثعبان في سفر التكوين، وأنه رمز الخطيئة الأولى للبشر ويؤكد طوال عمله على ارتباط الثعبان بالشر والخديعة، ويدلل على ذلك من الأساطير الإغريقية بالروايات عن المسوخ الثعبانية. ويمكن تلخيص فكرة كوخ في مقولته (ص ٣٢) "**nefarious serpentum cultus**" "عبادة الثعبان خطيئة".

بعد ما يزيد على المائة عام قام دايين بدراسة أخرى تدليلية بعنوان:
Deane (J.B.), *The Worship of The Serpent Traced Throughout The World: Attesting The Temptation and Fall of Man by The Instrumentality of Aserpent Tempter, J. G. & F. Rivington, London, 1830*

يرى الباحث أن دراسة دايين من أثرى الدراسات التدليلية فيما قدمته من معلومات عن الثعبان عند الإغريق، وإن كان دايين يوجهها باستمرار لخدمة قناعتها الخاصة؛ حيث يرى أن الأفكار عن الثعبان عند الإغريق ناتجة عن قصة سقوط الإنسان في الخطيئة الأولى. وهو ما يجعل دراسة دايين تبدو متشابهة إلى حد بعيد مع دراسة كوخ.

قدم مالى عام ١٨٦٧ دراسة تقريرية عنوانها:
Mähly (J.), *Die Schlange im Mythos und Cultus der Classischen Völker, Basel, Schultze, 1867*

جاء عمل مالى أكثر توازنا من عمل كوخ أو عمل دايين، ذلك أنه تناول المفهوم الإيجابي عن الثعبان بجانب المفهوم السلبي؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أنه حرر

تفكيره من سيطرة المفهوم المسيحي عن ثعبان سفر التكوين. ربط مالى بين تغيير الثعبان لجلده وبين ارتباط الثعبان بالشفاء والخلود، كما رأى أن الثعبان كان تجسيدا لروح الميت التى تحرس قبره.

أثمر تعاون كلارك وويك وويلدر فى عام ١٨٧٧ عن إصدار عمل مشترك تقريرى الطابع يحمل عنوان:

Clarke (H.), Wake (C.S.), Wilder (A.), *Serpent and Siva worship and mythology, in Central America, Africa, and Asia. And The origin of serpent worship.* Two treatises, J.W. Bouton, New York, 1877

تناول هذا العمل الأفكار الدينية والأسطورية عن الثعبان فى أمريكا الوسطى وأفريقيا وآسيا؛ ومن ثم لم يتعرض للأفكار عن الثعبان فى أوروبا، وتحديدا فى بلاد الإغريق.

بعد ما يقرب من حوالى عشر سنوات ١٨٨٨ قام ويك أحد أعضاء فريق العمل بنشر كتاب بعنوان:

Wake (C.S.), *Serpent-worship, and other essays*, George Redway, London, 1888

ناقش فى الفصل الثالث منه (ص ٨١-١٠٥) مبحث أصل عبادة الثعبان، وهو شكل موجز للدراسة السابقة، ليخرج بالنتيجة نفسها التى سبق واستنتجها مع فريق العمل: أن عبادة الثعبان نشأت من تقديس الموتى، الذين جسد الثعبان الصورة المرئية لأرواحهم.

ما يكاد أن يحول الحول حتى أصدر جينجس عمله المعروف :

Jenngis (H.), *Ophiolatrea: An Account of The Rites and Mysteries Connected with The Origin, Rise, and Development of Serpent Worship in Various Parts of The World, Enriched with Interesting Traditions, and A Full Description of The Celebrated Serpent Mounds & Temples, The Whole Forming An Exposition of One of The Phases of Phallic, or Sex Worship*, London, 1889.

ينتمى عمل جينجس للدراسات التقريرية، إلا أن جينجس كان يتدخل برؤيته الخاصة فى بعض الجوانب، حيث رأى أن عبادة الثعبان كانت مرتبطة بدرجة كبيرة بالطقوس الجنسية والعبادات الفالية، معتمدا على التشابه فى الشكل بين الثعبان والعضو الذكري.

بعد مرور ما يقرب من نصف قرن يظهر عمل جديد عن الثعبان فى الحضارات المختلفة بعنوان:

Howey (M.O), *The Encircled Serpent a Study of Serpent Symbolism in All Countries And Ages*, Arthur Richmond, London, 1955

يندرج عمل هاوى تحت الدراسات التقريرية، حيث يعرض مجموعات من الرموز الدينية والأسطورية التى تماثلت فى أنحاء مختلفة من العالم، فى محاولة للربط بينها. ولا يقدم العمل جديدا يذكر عن الأعمال السابقة.

بعد بضع سنين من عمل هاوى صدر عمل هندرسون وأوكس وعنوانه:

Henderson (J.) and Oakes (M.), *The Wisdom of The Serpent : The Myths of Death, Rebirth, and Resurrection*, George Braziller, New York, 1963.

يتضح من عنوان هذا العمل أنه تدليلى، تناول من خلاله هندرسون وأوكس الأدلة المنتشرة فى الحضارات القديمة على علاقة الثعبان بالموت والبعث والتجدد بكل أشكاله، وانتقيا من الحضارة الإغريقية شخصيات مثل: آتيس وأدونيس وبرسيفوني وديونيسوس، وكما هو ملحوظ لم يتعامل الباحثان مع الأفكار الأخرى التى أفرزتها الحضارة الإغريقية عن الثعبان، وإنما أكتفيا بما يخص موضوعهما.

بعد عقدين من الزمن ظهر عمل جديد، إذ أصدرت جامعة نيويورك عمل منذكر صاحب الدراسة التدليلية، التى تحمل عنوان:

Mundkur (B.), *The Cult of the Serpent, An Interdisciplinary Survey of Its Manifestations and Origins*, Albany: State University of New York Press, 1983.

تدور دراسة منذكر حول الصفات الطبيعية للثعبان وتأثيراتها النفسية على الإنسان، مما أدى إلى حدوث عقدة فى اللاوعى تعرف بعقدة " رهاب الثعابين" "Ophidiophobia"، نتيجة لهذه العقدة أصبح البشر يعبدون الثعابين عبادة رهبة لا رغبة. طاف منذكر على الحضارات المختلفة قديمها وحديثها يجمع ما يتفق ووجهة نظره، إلا أنه عند تعرضه للحضارة الإغريقية تعامل مع الأفكار الإغريقية عن الثعبان تعامل غير المتخصص فوقع فى العديد من الأخطاء، وقد وجه له فنتروز نقدا لاذعا استوجب رد منذكر مرتين دفاعا عن عمله.¹

يضاف لما سبق من الدراسات التقريرية الموسوعات ودوائر المعارف العامة والمتخصصة، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

MC.Culloch (J.), Crooke (W.), Welsford (E.), *Serpent Worship, in Encyclopedia of Religion and Ethics*, XI, ed. By Hastings (J.), London, 1920, p.399-432.

Hartmann (L.), Gossen (H.), Steier (A.), s.v. Schlange, in RE, 2a, 1923, p.494-557.

بـ الدراسات المتخصصة

ظهرت إلى جانب الدراسات التي تعاملت مع الحضارات المختلفة دراسات أخرى أكثر تخصصا، حيث تناولت الأفكار عن الثعبان فى حضارة معينة، وهو ما لا يمنعها من التعامل مع الحضارات المختلفة لتتبع أصول الأفكار، أو لتفسيرها.

¹ - نقد فنتروز نشر فى مقال بعنوان:

Fontenrose (J.), Review of: Baladji Mundkur, *The Cult of the Serpent*, Cumulative Listing of Essays & Book Reviews From Asian Folklore Studies, vol.42.2, 1983, p.292-4.

نشر ردا منذكر يليه رد سريع من فنتروز تحت عنوان:

Mundkur (B.) and Fontenrose (J.), Correspondence: On Fontenrose's Review of *The Cult of the Serpent*, Cumulative Listing of Essays & Book Reviews From Asian Folklore Studies, vol.43.2, 1984, p.333-7.

وعاد منذكر ليرد مرة أخرى ويغلق باب النقاش فى مقال بعنوان:

Mundkur (B.) and Motomistu (U.), Correspondence: Again On Fontenrose's Review of *The Cult of the Serpent*, Cumulative Listing of Essays & Book Reviews From Asian Folklore Studies, vol.44.1, 1985, p.153-4

والباحث إذ يعرض هذه الدراسات، على الرغم من أنها لا تتعرض للحضارة الإغريقية إلا من باب التمثيل، إنما يعرضها لأنها تسهم في فهم أصول الأفكار عن الثعبان وتطورها، وهو ذروة سنام المنهج الأنثروبولوجي بصفة عامة، الذي انتهجه الباحث في معظم فصول البحث.

تنقسم الدراسات التي تتناول الثعبان في حضارة واحدة إلى ثلاثة أنواع:

١- دراسة تتناول كل الأفكار عن الثعبان في حضارة ما.

يتناسب هذا النوع مع الحضارات التي لم يلعب الثعبان فيها دورا بارزا، أو التي لم يصلنا من مصادرها سوى معلومات قليلة؛ ومن ثم يستطيع باحث بمفرده أن يتصدى لمثل هذه الدراسة ويكون تفسيراً وتأصيلاً مستعينا بالربط بين المعلومات التي تمده بها المصادر وبما أنتجه الباحثون في الدراسات المتخصصة. ويؤتي المنهج الأنثروبولوجي نتيجة جيدة في التكهن بما نقص من معلومات ومراحل التطور.

أهم الدراسات التي تنتمي لهذا النوع:

الحضارة الهندية:

Oldham (C.F.), *The Sun and the Serpent: A Contribution to the History of Serpent-worship*, A. Constable & co., Ltd., London, 1905.

Sinha (B.), *Serpent worship in ancient India*, Book Today, New Delhi, 1979

آسيا الصغرى:

Vetters (H.), "Der Schlangengott", in: *Studien zur Religion und Kultur Kleinasien*, Festschrift F. K. Dörner, Leiden, 1978, 974-978

الحضارة العربية:

Noldeke (T.), *On Serpent-beliefs in Arabia*, Zeit. F. Volkerpsychol, I, 1860.

ثناء أنس الوجود، رمز الأفعى في التراث العربي، القاهرة ، ١٩٨٤

قبائل شمال شرق أفريقيا:

Wagner, (D.) *Die Schlange in Kult, Mythos und Vorstellung der nordostafrikanischen Stämme*, Ludwig-Maximilians-Universität München, 1970.

يناقش واجنر فى هذا العمل صورة الثعبان فى العبادات والأساطير والأعمال الفنية عند بعض القبائل الكينية والتترانية والأثيوبية.

٢-دراسة تتناول كل الأفكار عن الثعبان فى مجال أو أكثر أو فترة زمنية محددة فى حضارة ما.

يتناسب هذا النوع مع الحضارات التى لعب الثعبان فيها دورا بارزا، ويرغب الباحث فيها أن يصل إلى تكوين تفسير متين، يصدق على معظم ما تناولته المصادر فى مجال معين، مثل الديانة أو الأساطير أو الآثار، أو فترة زمنية محددة. ويسهم هذا النوع من الدراسات فى فهم جانب من الأفكار عن الثعبان، وبالتالي فإنه يمهد مع غيره من الدراسات المشابهة فى المجالات الأخرى لقيام دراسات أشمل تربط بين المجالات المختلفة؛ لتصل إلى تعريف جامع مانع لدور الثعبان فى حضارة ما وتتبع نشأة الأفكار عنه وتطورها. ويعتمد هذا النوع من الدراسات على الأبحاث المقالية بجانب المادة المصدرية. وتؤتى المناهج على تنوعها فيه بنتائج جيدة.

أهم الدراسات التى تنتمى لهذا النوع:

الحضارة الهندية:

Fergusson (J.), *Tree and Serpent Worship: Or Illustrations of Mythology and Art in India in the First and Fourth Centuries after Christ. From the Sculptures of the Buddhist Topes at Sanchi and Amravati, India Museum, London, 1868*.

حدد فيرجسون عمله فى فترة زمنية معينة وهى من القرن الأول الميلادى إلى القرن الرابع الميلادى. ويتناول فى هذا البحث الثعبان فى الأساطير والديانة والآثار فى الهند.

Cozad (L.), *Sacred Snakes: Orthodox Images of Indian Snake Worship*, The Davies Group Publishers, Colorado, 2004 .

تعالج هذه الدراسة ملامح من الأفكار الدينية عن الثعبان في الهند.

الحضارة المصرية:

Cooper, (W. R.) *The Serpent Myths of Ancient Egypt Being a Comparative History of These Myths*, Robert Hardwicke, London, 1873

Sayce (A.H.), *Serpent Worship in Ancient and Modern Egypt*, Contemporary Review (Oct. 1893),

Keimer (L.), *Histoire des Serpents dans l'Egypte Ancienne et moderne.*, Le Caire : Imprimerie de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, 1947

ثناء جمعة الرشيدى، الثعبان ومغزاه عند المصرى القديم: من البدايات الأولى

وحتى نهاية الدولة الحديثة، إشراف: جاب الله على جاب الله، علا العجيزى، رسالة

دكتوراة، غير منشورة، كلية الآداب بقنا، ١٩٩٨.

Yasser Sabek, *Die Schlange und ihre Verehrung in Ägypten in pharaonischer und moderner Zeit*, Internet-Beiträge zur Ägyptologie und Sudanarchäologie, Vol. IV, Berlin 2003, p.137-157.

جزر ميلانيسيا^١:

Ritter, H., *Die Schlange in der Religion der Melanesier*, Verlag fur Recht und Gesellschaft, Basel, 1945

١ - ميلانيسيا هي المنطقة الممتدة من الجانب الغربى للمحيط الهادى الشرقى إلى بحر آرافورا، شمال وشمال شرق أستراليا. كان هذا الاسم مستعملاً من قبل جولز دومونت درفيل فى ١٨٣٢ للدلالة على المجموعة العرقية والجغرافية المختلفة عن جزر بولنيسيا وماكرونيزيا. ويجمع هذا التعبير هذا بين مجموعتين مميزتين جداً، الأوسترونيسيين والبابوانيين.

٣- دراسة تتناول فكرة واحدة عن الثعبان فى مجال أو أكثر فى حضارة ما.

يتناسب هذا النوع مع الأبحاث المقالية، حيث لا يسمح عامل المساحة إلا بتناول جزئية من موضوع فى مجال أو أكثر. ويشكل هذا النوع حجر الزاوية فى النوعين السابقين. والأمثلة على هذه الأبحاث لا تعد ولا تحصى، ومن ثم فإنه من الصعب أن يقوم الباحث بحصرها فى هذا المقام.

الدراسات عن الثعبان فى الحضارة الإغريقية

تنتمى الدراسات الحديثة عن الثعبان عند الإغريق إلى النوع الثانى والثالث من الأبحاث المتخصصة. وتتحصر أبحاث النوع الثانى فى الجانب الدينى والجانب الفنى.

أصدر كويستر أول هذه الأبحاث عام ١٩١٣ فى شكل دراسة أثرية فنية تتناول صورة الثعبان فى الفن:

Küster (E.), *Die Schlange in der griechischen Kunst*, Naumberg. Lippert. 1913.

و ضم كويستر فى نفس العام إلى هذه الدراسة دراسة أخرى عن الثعبان فى الديانة الإغريقية:

Die Schlange in der griechischen Kunst und Religion, Religionsgeschichtliche Versuche und Vorarbeiten, Giessen, 13, 2. 1913

قدم كويستر دراسة أثرية بدأت بالعصر الحجرى القديم حتى العصر الكلاسيكى توضح مدى الاهتمام الذى حظى به الثعبان منذ القدم على أرض الإغريق وخرج بنتيجة هى أن الثعبان كان يستخدم فى الفن إما للزخرفة أو ليرمز لفكرة معينة. تناول كذلك كويستر فى دراسته علاقة الثعبان بالآلهة والأبطال، وارتباطه بالقبور والعبادات الأرضية المقدمة للبطل الميت، ويرى كويستر من خلال بحثه أن عبادة الموتى هى المحرك الأول لتقديس الثعبان عند الإغريق.

قدم ليسجانبج دراسة دينية أخرى فى عام ١٩٤٠:

Leisegang (H.), *Das Mysterium der Schlange. Ein Beitrag zur Erforschung des griechischen Mysterienkultes und seines Fortlebens in der christlichen Welt*, Eranos-Jahrbuch 7, 1940, p. 151-250.

تناول خلالها ما ورد فى بعض النقوش الدينية عن الثعبان، ثم عرض لبعض مظاهر تبجيل الثعبان فى الديانة الإغريقية، وقد تعامل ليسجانبج مع هذه المعلومات بوصفها خلفية للتصور المسيحى عن الثعبان. وتمت ترجمة هذه الدراسة إلى الإنجليزية وأعيد نشرها مرة أخرى:

"*The Mystery of the Serpent*", in *The Mysteries*. Papers from the Eranos Yearbooks ed.: J.Campbell, Bollingen Series XXX/2, Princeton 1978, 194-260.

قدمت إليس ميتروبولوس بعد ما يقرب من حوالى أربعة عقود دراسة أخرى جديدة من حيث تناول ولكنها ليست بالجديدة من حيث الموضوع، حيث تناولت علاقة الثعبان بالآلهة والأبطال، وقد قسمت الأفكار المصورة على الأعمال الفنية إلى موضوعات، ويمكن القول أن بحثها يسد فراغات كثيرة فى الدراسات الأثرية، كانت قد خلفتها دراسة كويستر، هذا بالإضافة لما تضمنه بحثها من مكتشفات حديثة مقارنة بكويستر الذى يسبقها بنصف قرن أو يزيد.

Mitropoulou (E.), *Deities and Heroes in the Form of Snakes*, Pyli Editions, Athens, 1977

قدمت إيفا جرابو بحثا عام ١٩٩٨ تناول تصويرات الثعبان على المزهريات ذات الأشكال السوداء.

Grabow,(E.), *Schlangenbilder in der Griechischen Schwarzfigurigen VasenKunst*, Scriptorium, Munster, 1998.

وقد عالج هذان البحثان الموضوع من جانبه الأثرى بشكل متميز، على وجه الخصوص ما قدمته ميتروبولوس، وبالتالي فإن الباحث سوف يتعرض للأعمال الفنية بصورة انتقائية، على سبيل الاستشهاد المصدري وليس الدراسة الإجمالية.

قام بعض الباحثين بإنتاج أبحاث تنتمي إلى النوع الثالث من الدراسات المتخصصة، أسهمت بدور مهم في رفع بعض الغموض الذي غلف أفكار الإغريق عن الثعبان، أهمها:

-إسهامات هاريسون

اهتمت جين هاريسون في أعمالها بعلاقة الثعبان بالآلهة والأبطال، ولكنها كانت تهدف دوماً إلى فهم طبيعة الإله أو البطل الميت، وليس اهتماماً بالثعبان.
Harrison (J.E.), -"Delphika: (A) The Erinyes. (B) The Omphalos",
Journal of Hellenic Studies 19 (1899), 205-251
-Prolegomena to the Study of Greek Religion,
Cambridge, 1903,p.332-362
-Themis. A Study of the Social Origins of Greek
Religion, Cambridge, 1912, ch:260-445,passim.

- إسهامات فونتروز

تناول فونتروز في إطار دراسته لأسطورة بيثون مجموعة من الأساطير المتشابهة في حضارات عدة، التي ارتكزت موضوعاتها على أساطير الصراع بين الإله وخصمه الثعباني.

Fontenrose (J.), *Python: A Study of Delphic Myth and Its Origins*, Biblo-Tannen, New York, 1974

- إسهامات بودسون

أفرزت قريحة عالمة الحيوان ليليان بودسون أبحاثاً ذات طابع خاص، تصب جميعها في تحديد الماهية الطبيعية لثعابين الإغريق التي وردت في الأسطورة والدين والفن، حيث تحدد بودسون أنواع الثعابين وتصنفها طبقاً لمعطيات العلم الحديث ومسمياته.

Bodson (L.), -" *Les Grecs et leurs serpents. Premiers résultats de l'étude taxonomique des sources anciennes* ",
dans/in L'Antiquité classique (Belgique),
50, 1981, pp. 57-78.

- " *La pathologie des morsures de serpents venimeux dans la tradition gréco-latine* ", dans/in

- Confrontations* (Laboratoires Choay – Paris), 59, 1982, pp. 1-6 (NB no page proofs).
- “ *Observations sur le vocabulaire de la zoologie antique: les noms de serpents en grec et en latin*”, dans/in *Documents pour l’histoire du vocabulaire scientifique* (Paris, GRECO-C.N.R.S.), 8, 1986, pp. 65-119
 - “ *Nature et fonctions des serpents d’Athéna* ”, dans/in MACTOUX Marie-Madeleine et GENY Evelyne, éd./ed., *Mélanges Pierre Lévêque*, IV, Besançon, Presses universitaires de Besançon, 1990, pp. 45-62.

- إسهامات سانكاسانو

جذب الثعبان انتباه ماريالوتشيا سانكاسانو في أكثر من مجال، فقدمت بحثاً عن مرادفات اسم الثعبان ومشتقاتها في اللغة الإغريقية والفروق بينها.

Sancassano, *Il lessico greco del serpente. Considerazioni etimologiche*, Athenaeum 84.1, 1996, 49-70

بعد عام واحد عادت ماريالوتشيا وقدمت بحثاً آخر عن صورة الثعبان في الإلياذة والأوريستيا.

Il serpente e le sue immagini. Il motivo del serpente nella poesia greca dall'Iliade all'Orestea, Côme, 1997, 205 p. (Biblioteca di Athenaeum, 36): "une contribution à l'approfondissement de l'imagination zoologique en Grèce".

أسهمت الدراسات السابقة بكل أنواعها في تقديم صورة واضحة عن الثعبان في أفكار الشعوب المختلفة، إلا أن هذه الدراسات - كما يتضح - لم تتناول الثعبان في الأساطير الإغريقية بدراسة وافية، على الرغم من ثراء الأفكار عنه في الأساطير وأهميتها؛ ومن ثم فإن تناول الثعبان من خلال الأساطير الإغريقية بالدراسة قد يسمح بإضافة نتائج جديدة لم تقدمها الدراسات السابقة.

سوف يتناول هذا البحث الأفكار التي كونها الإغريق عن الثعبان. ولما

كانت هذه الأفكار في معظمها أسطورية، جاء عنوان البحث على النحو التالي:

"الثعبان بين الأسطورة والرمز عند الإغريق"

حيث سيتناول الباحث صورة الثعبان فى الحضارة الإغريقية من الزاوية الأسطورية، وما انطوت عليه الأساطير حول الثعبان من رموز وأفكار أسطورية ودينية، تعبر عن التصور والمعتقد الإغريقى. وسوف يركز البحث الأضواء على الثعبان أو الشخصية الثعبانية، أكثر من تركيزه على من يصابها من شخصيات أسطورية أخرى، قد يبعدنا الخوض فى التعامل معها عن الهدف الأسمى للبحث. ولابد وأن نشير إلى أن حدود الفترة الزمنية التى يتعامل فيها البحث مع المصادر تبدأ منذ حوالى الألف السادس ق.م. حتى القرن الخامس الميلادى.

يضيف هذا البحث حلقة جديدة فى سلسلة الدراسات التى تمت على الثعبان فى الحضارات المختلفة، حيث يتناول الثعبان فى الحضارة الإغريقية من وجهة أسطورية-دينية، فى حين أن الدراسات السابقة ركزت على الجانب الأثرى-الدينى، وسوف تسهم هذه الدراسة كذلك فى توضيح دور الحيوان فى الأساطير الإغريقية عن طريق تناول أحد النماذج الحيوانية، كما ستقدم تفسيرات جديدة لبعض الأساطير التى لعب فيها الثعبان دورا بارزا، بالإضافة لذلك سوف تؤصل الدراسة لأفكار الإغريق عن الثعبان وتتابع مراحل تطورها، كما ستعطى صورة متكاملة- إلى حد ما- عن الأفكار التى أنتجها الإغريق عن الثعبان. وسوف تخدم الدراسة أيضا فى فهم تطور الفكر الدينى الإغريقى؛ إذ تلقى الضوء على الأصول الطوطمية للعبادات الإغريقية؛ ومن ثم ينقسم البحث إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: طبيعة الثعبان وطبيعة السكان

يمهد الباحث بهذا الفصل مستعينا بمعطيات مستمدة من علم اللغة وعلم الأحياء، بغرض الاتفاق على الألفاظ السليمة، التى ستشير إلى الثعبان فى اللغة العربية- لغة البحث- وما يقابلها فى الإغريقية- لغة المصادر- وعلاقة هذه الأسماء بأنواع وسلالات الثعابين. يتبع ذلك شرحا مفصلا لطبيعة الثعبان وسلوكه فى الواقع، مما يساعدنا على فصل الحقيقة عن الخيال فى الأساطير. كما سيعطى الباحث لمحة عن تغير التركيبة السكانية وما صاحبها من تطور فى الفكر الدينى؛

مما يساعد فى تحديد الفترة التى تنتمى إليها أسطورة ما أو عقيدة أو طقس، وتمييز الأفكار الأصلية من الوافدة؛ ومن ثم ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين:

(أ) طبيعة الثعبان

(ب) طبيعة السكان

الفصل الثانى: الثعبان رمز الضرر

يتناول هذا الفصل الشخصيات الثعبانية التى كانت مصدر ضرر للبشر، والتى تصدت لها الآلهة وواجهها الأبطال؛ ومن ثم فهذا الفصل ينقسم إلى مبحثين:

(أ) الثعبان فى مواجهة الإله

سوف يتناول فى هذا الفصل نماذج من الأساطير الإغريقية، يوضح من خلالها الدور الذى أدته الكائنات الثعبانية فى مواجهة الإله، كما سيناقش الباحث سبب وجود الثعبان فى تكوين شكل خصم الإله.

(ب) الثعبان فى مواجهة البطل

سوف يتناول فى هذا الفصل نماذج من الأساطير الإغريقية، يوضح من خلالها الدور الذى أدته الكائنات الثعبانية فى مواجهة البطل، كما سيناقش الباحث سبب وجود الثعبان فى تكوين شكل خصم البطل.

الفصل الثالث: الثعبان رمز النفع

يتعامل هذا الفصل مع الأساطير والمعتقدات الدينية، التى ظهر فيها الثعبان مرتبطا بمنافع للبشر. وينقسم إلى أربعة مباحث:

(أ) علاقة الثعبان بالحماية

(ب) علاقة الثعبان بالعرافة

(جـ) علاقة الثعبان بالعلاج

(د) علاقة الثعبان بالتجدد

الفصل الرابع: نشأة الأفكار عن الثعبان وتطورها.

يبحث هذا الفصل فى أصل الأفكار التى طرحتها الفصول السابقة، ومعرفة متى وأين نشأت؟ وكيف تطورت؟ وما مدى أصالتها؟ وينقسم إلى نقطتين:

(أ) الأصول الخاصة للأفكار عن الثعبان.

(ب) الأصول العامة للأفكار عن الثعبان.

وسوف يلحق الباحث بآخر البحث خاتمة، ثم ملحق بقوائم إحصائية، وكتالوجا للصور، وسوف يلحق هذا الكتالوج بالمعاجم والقواميس والموسوعات ودوائر المعارف، ثم بالمصادر الأدبية، ثم المراجع مرتبين جميعا ترتيبا هجائيا.

مما دفع الباحث لاختيار هذا الموضوع رغبته في تقديم صورة عن دور الحيوان في الأساطير الإغريقية، بالإضافة لثراء المادة الأسطورية عن الثعبان، النموذج الحيوانى الذى قامت عليه الدراسة، كما يواكب الموضوع بأفكاره المتشابهة فى الحضارات المختلفة إحدى القضايا الفكرية المستحدثة، ونقصد بذلك الجدل حول تلاقى الحضارات أو تنافرها.

صادف الباحث بعض العقبات أثناء تعامله مع هذه الدراسة، عل أهمها كانت عدم وجود مسميات علمية عربية دقيقة لسلالات الثعابين وأنواعها، مما حدا بالباحث إلى نحت أسماء جديدة مستمدة من الاسماء العلمية اللاتينية. كما تغلب الباحث على عقبة ندرة المراجع بالإشتراك على بعض مواقع شبكة الإنترنت التى تحوى مكتبات علمية مثل:

www.Questia.com

www.projectmuse.com

www.jstor.com

كذلك قام الباحث بمراسلة بعض الأساتذة الأجانب الذين تعاونوا معه بدرجة كبيرة، وأمدوه ببعض المراجع، مثل: ليليان بودسون من جامعة لييج Leige فى بلجيكا، ومريام ديكستر من جامعة كاليفورنيا California بالولايات المتحدة الأمريكية.

اعتمد الباحث على العديد من المصادر الإغريقية، التى جعلها أساسا للمقدمات، التى بنى عليها نتائجه، أهم هذه المصادر:

Homerus,- Ilias

- Odyssea

Apollodorus (pseudo), Bibliotheca

Hesiodus, Theogonia

Apollonius of Rhodes., Argonautica
Herodotus, Historiae

وقد اعتمد الباحث على الطبعات المنشورة في

Thesaurus Linguae Graecae, Univ. of California Irvine, 1999

واستفاد الباحث - بالإضافة للمصادر - بالعديد من المراجع أهمها، إلى جانب

الدراسات السابقة على هذا البحث:

Nilsson (M.P.), *Greek Popular Religion*, New York, Columbia
Univ. Press, 1940

Graves (R.), *The Greek Myths*, 2 vols, Penguin, London, 1955

Burkert (W.), *Greek Religion*, trans: John Raffan, Basil
Blackwell, Oxford, 1985

- *Savage Energies: Lesson Lessons of Myth and Ritual in
Ancient Greece*, Translated by Peter Bing, Univ. of
Chicago Press, 2001

عبد المعطى شعراوى، أساطير إغريقية، ج ١-٣، الأنجلو المصرية، القاهرة،

١٩٩٢-٢٠٠٥

كذلك استفاد الباحث من بعض مواقع شبكة الإنترنت، في تكوين صورة عامة
وأولية عن الموضوع، وفي الحصول على العديد من الصور التي استشهد بها،
وأهم هذه المواقع :

<http://www.perseus.tufts.edu/>

http://www.zeroland.co.nz/mythology_myths.html

<http://www.abcgallery.com/mythindex.html>

<http://homepage.mac.com/cparada/GML/index.html>

استعان الباحث بالأسلوب الإنتقائي Eclecticism في التعامل مع
الأسطورة، فاستخدم المنهج الأنثروبولوجي، خاصة مدرسة الأسطورة والطقس، في
تحليل العناصر الأسطورية والطقوس الدينية بصفة عامة، والمنهج المقارن في

تفسير بعض الأساطير مثل: أسطورة تيفون وأسطورتى ثعبان كولخيس والثعبان لادون، كما استخدم نفس المنهج فى توضيح علاقة الأساطير الإغريقية عن الثعبان بالموروث الأسطورى الحضارى، واستعان بالمنهج التاريخى فى تحليل أساطير أخرى مثل: أسطورة كادموس وأسطورة هيدرا، ومنهج التحليل اللغوى فى تحليل أسطورتى ثعبان كولخيس ولادون، ومنهج التحليل النفسى فى البحث عن الأصل العالمى للأفكار عن الثعبان. أما عن أدوات البحث فاستخدم التحليل المنطقى فى التعامل مع قضايا البحث، والمنهج الوصفى فى التعامل مع المادة الأثرية.

بقى أن يشير الباحث إلى أنه اعتمد فى اختصارات معظم أسماء الكتاب الإغريق واللاتين وأعمالهم على:

Liddell, (H. G.), (R.) Scott and (H. S.) Jones. "Liddell-Scott-Jones, Greek-English Lexicon, Clarendon press, Oxford, 1996.

أما تواريخ الكتاب وتواريخ أعمالهم فاعتمد فيها على:

The Oxford Classical Dictionary, Edited by Simon Hornblower and Antony Spawforth, Univ. Press, 2000.

وفى اختصارات أسماء الدوريات على :

L'Année philologique, A critical and analytical bibliography of Greek and Roman Antiquity created in 1924 by J. Marouzeau, continued by Juliette Ernst, edited by UPR 76 (CNRS), published by the Société Internationale de Bibliographie Classique

الفصل الأول

طبيعة الثعبان وطبيعة السحابة

(أ) طبيعة الثعبان

(ب) طبيعة السحابة

(أ) طبيعة الثعبان

لم تجف الأقلام، ولم ينضب الحديث، عما حملته الحضارة الإغريقية فى أحشائها من غريب القصص وإبداعات الخيال، حيث ألبس الإغريق مظاهر الحياة رداء أسطوريا، وشوّه بتطريزات من الحقائق المقبولة، فاختلط الواقع بالخيال. ولما كان الواقع قابلا للتحقق؛ لأنه موجود، فمعرفة الواقع وحصره تيسر كشف الخيال وفصله. فبأضدادها تتميز الأشياء. وبما أن البحث سوف يتعامل مع مادة ممزوجة من الواقع والخيال، فمن المنطقى أن نثبت معارفنا الواقعية؛ حتى نستطيع أن نميز الخيال المزاد. ويزيد من ضرورة ذلك أن موضوع البحث يدور حول كائن تكاد تكون المعلومات عنه سطحية لغير المتخصصين.

الثعبان فى اللغة العربية والإغريقية

يجب فى البداية تحديد الألفاظ والمترادفات التى سوف يستخدمها الباحث فى الإشارة للحيوان محل الدراسة، لاسيما أنه كائن متعدد الأسماء، سواء فى اللغة العربية، التى هى لغة البحث، أو اللغة الإغريقية، التى هى لغة المصادر.

أولاً: الثعبان فى اللغة العربية

درج العرب على استخدام أسماء عدة للإشارة لهذا الكائن^١، أشهرها:

الثعبان: " قيل كل حية ثعبان، والجمع ثعابين..... والحيات كلها ثعبان، الصغير والكبير، والإناث والذكوران^٢."

الحية: " الحية تقال للذكر والأنثى، والهاء للإفراد كبطة ودجاجة، على أنه قد روى

^١ - أطلق العرب أيضا على الثعبان عددا من الألقاب والكنى منها: العيم والعين والصم والأزعر والأبتر والناشر والأين والأرقم والشجاع والأزب والأرقش والأرقط وذو الطفيتين والعربد وأبو البختري وأبو الربيع وأبو عثمان وأبو العاصى.... إلخ.

راجع: الدميرى، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ٣٨٣

^٢ - ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٢٣٧

عن العرب رأيت حيا على حية، أى ذكرنا على أنثى.^١
 الأفعى: "الأفعى حية رقشاء طويلة العنق عريضة الرأس، لا ينفع منها رقية، ولا ترياق، وربما كانت ذات قرنين، والأفعوان الذكر..."^٢
 الأصل: "الأصل حية قصيرة تثب فتساور الإنسان، وتكون برمل عاقر شبيهة بالرئة منضمة، فإذا انتفخت ظننتها بها ولها رجل واحدة تقوم عليها، ثم تدور فتثب لا تصيب نفختها شيئا إلا أهلكته؛ لأن السم فيها..."^٣
 الصل: "الصل الحية التى تقتل إذا نهشت من ساعتها غيرها، والصل بالكسر الحية، التى لا تنفع فيها الرقية..."^٤
 التنين: "حية عظيمة."^٥
 الحنش: "الحية وقيل الأفعى..."^٦

تعد كلمتا ثعبان وحية كلمتين جامعتين للجنس، كما يتضح من العرض السابق، إذ أنهما يجمعان المذكر والمؤنث، والسام وغير السام؛ من ثم سوف يستخدم الباحث كلمة ثعبان للإشارة لكافة أنواع الجنس دون تخصيص^٧، كما سيستخدم كلمة أفعى وأصله و صل للإشارة إلى الثعابين السامة تبعا لصفات الثعبان المشار إليه، وسوف تشير كلمة تنين للثعبان الضخم، وكذلك إلى تنين العصور الوسطى الأسطورى.

^١ - الرازى، مختار الصحاح جـ ١، ص ٧٠

^٢ - الفراهيدى، العين، جـ ٢، ص ٢٦٠

^٣ - ذكر علاء، جـ ٧، ص ١٥٧

^٤ - ابن منظور، لسان العرب جـ ١١، ص ٣٨٥

^٥ - الفيروز آبادى، القاموس المحيط، جـ ١، ص ١٥٢٧

^٦ - ابن منظور، لسان العرب، جـ ٦، ص ٢٨٩

^٧ - فضل الباحث كلمة ثعبان عن كلمة حية، مما قد تُحدثه تاء الإفراد من استدعاء لفكرة التأنيث، كما أن كلمة حية صارت فى المعنى الدارج تشير فقط إلى السام من الثعابين.

ثانيا: الثعبان فى اللغة الإغريقية

استخدم الإغريق مرادفات مختلفة^١ أشاروا بها إلى الثعبان، فأطلقوا عليه:

ὄφις^٢ ثعبان

δράκων^٣ ثعبان

ἔχιδνα^٤ حية سامة

ἔχιδνα^٥ حية سامة، وقد تستخدم للثعبان العاصر

يبدو جليا أن اللغة العربية اتسمت بالغزارة فى المترادفات التى تشير للثعبان، مقارنة بالمترادفات الإغريقية؛ عل السبب فى هذا أن العرب كانوا أكثر عرضة من الإغريق لمصادفة الثعبان فى بيئتهم الصحراوية شديدة الجفاف، كما أن

^١ - سوف يتعرض الباحث لأسماء الثعبان الإغريقية الصريحة العامة، وبالتالى لن يتعرض هنا لكلمات مثل: παρείας، التى تطلق فقط على ثعبان اسكليبيوس، كما لن يتعرض لكلمات عامة مثل: κνώδαλον، التى تشير إلى أى حيوان متوحش أو ضارى ومنها الثعابين.

تجدر الإشارة إلى أن الباحث رتب المرادفات التى تشير للثعبان تبعا لشيوعها، حيث قام بعمل إحصائية لهذه الأسماء فى حالة الفاعل المفرد. أنظر (ملحق ١)

^٢ - ورد ذكرها، على سبيل المثال، عند

E.Supp.703; Ba.1026,1331.

^٣ - ورد ذكرها، على سبيل المثال، عند

Porph. Abst.3.8

وتتبادل الاستخدام مع ὄφις عند

Hom. Il.12.202,208; Hes.Th.322,825; Arist.H.A.609a.4

وربما يكون من نافلة القول أن يشير الباحث إلى أن كلمة δράκων أسم فاعل ماضى بسيط قوى مشتق من الفعل δέρκομαι، الذى من معانيه الأساسية "يحيا"، ومن ثم فإن كلمة δράκων تستدعى إلى الذهن كلمة "حية"، التى تشير أيضا إلى الثعبان فى اللغة العربية.

^٤ - ورد ذكرها، على سبيل المثال، عند

Pl.Smp.217e; Arist.H.A.511a.16

^٥ - ورد ذكرها، على سبيل المثال، عند

Hdt.3.108; S.Tr.771; Pl.Smp.218a

العرب اشتهروا بالفصاحة والبيان، فضلا عن أنهم عاشوا فى أماكن متباعدة ومتفرقة، وورثوا غيرهم من الحضارات بعد الفتوحات الإسلامية؛ مما أثرى لغتهم بالمفردات.

يتضح من عدد المترادفات، التى استخدمتها اللغة العربية والإغريقية للإشارة للثعبان وأصنافه، أنه كان كائنا محيرا ومثيرا للدهشة، ويصعب وصفه بصفة واحدة أو مناداته باسم واحد؛ فهل كان الثعبان كائنا محيرا بصفاته الخلقية التى برأه الله بها، وبطبيعته السلوكية التى جُبِلَ عليها؟.

الثعبان فى الطبيعة^١

الأصل والتطور

يعتقد علماء الأحياء أن الزواحف ظهرت على الأرض فى العصر الكربونى؛ أى منذ ٣٠٠ مليون سنة. وكانت الحيوانات فى ذلك العصر تعيش تحت الماء. وتميزت البرمائيات بأنها الكائنات الوحيدة القادرة على الخروج من الماء، ولكنها لم تكن تستطيع الابتعاد كثيرا عن الماء؛ لأن بيضها لم يكن له قشرة تحميه من الجفاف. وكان لدى بعض البرمائيات القدرة على وضع بيض مغطى بجلد أو قشرة لا تُنفذ الماء، وكانت تتكون لصغار هذه المخلوقات رئات تتنفس الهواء، فأصبحت قادرة على العيش على الأرض غير معتمدة على الماء، وأصبح من هنا لدينا هذه السلالة من البرمائيات صعودا إلى درجة الزواحف، وهى الدرجة الأعلى من البرمائيات. كان يختلط الفارق عند الناس بين الزواحف والبرمائيات؛ لوجود زواحف مثل التماسيح والسلحفاة البحرية تعيش فى الماء، ولكن يمكن التمييز بينها بالطريقة التى تضع بها البيض، فالبرمائيات برغم أنها قد تعيش على الأرض وهى بالغة- مثل الضفادع- إلا أنها لا بد أن تضع بيضها فى الماء أو فى مكان رطب، كما أن البرمائيات عند فقسها من البيض تعيش فترة من حياتها فى الماء، وتتتنفس

^١ - سوف يتناول الباحث معارف الإغريق عن طبيعة الثعبان، والتى كانت تقترب إلى حد كبير مما قدمه العلم الحديث. انظر ص ١٤٩ وما بعدها

بالخياشيم - كالأسماء - إلى أن تكبر وتتغذى الهواء، أما الزواحف فتضع بيضها على الأرض حتى لو كان الحيوان يعيش في الماء، مثل التماسيح والسلاحف البحرية^١.

التكوين الجسدى

ينتمى الثعبان إلى عالم الزواحف، إلا أنه كائن ذو طبيعة مختلفة، فعلى الرغم من أن الثعبان له فتحتان أنفيتان، هما هذان الثقبان الصغيران، اللذان يوجدان واحد أعلى كل جانب بين نهاية الفك والعين، فإنه لا يشم بهما، لكنه يستعملهما للتنفس فقط. ويستخدم الثعبان لسانه المشقوق دائم الحركة في الشم، فيضع طرف لسانه في سقف فمه، حيث يوجد جيب صغير غنى بالنهايات العصبية التي تؤدي وظيفة الشم الفعلية. وتتمتع بعض الثعابين بفتحات فوق منطقة الفم، هذه الفتحات والتي تسمى اللدبة عبارة عن رادار حرارى، حيث تسمح للثعبان بالرؤيا ليلا أو في الظلام الدامس. ولا يستطيع الثعبان أن يغمض عينيه؛ إذ ليس للثعبان جفون، وإنما قشور شفافة مثل النظارات، وتظل عينا الثعبان مفتوحتين، حتى وهو نائم. ويتمتع الثعبان بعمود فقري يصل في بعض الأنواع إلى أربعمئة عظمة صغيرة. ويشبه هيكل الثعبان قطارا طويلا مكونا من عربات ذات ضلوع، وهى ضلوع متحركة تتصل بكل الفقرات ما عدا الفقرتين الأماميتين. ويبدو أن الثعابين حيوانات فقدت أطرافها، ولم يكن الثعبان دائما ذلك المخلوق المتواضع الذى يزحف على بطنه، ويظهر الدليل على ذلك فى بعض البوات^٢ Boas والأصلاط Pythons، فيبدو بوضوح تركيبان صغيران من العظم على كل جانب من جهة البطن، وأمام الذيل

١ - Colbert (E.H.), *The Age of Reptiles*, Dover Publications Inc., New York, 1997, p.33-48.

Rage (J.C.), *"Origin & Evolution of Snakes"*, in *Snakes: A Natural History*, ed: Bauchot (R.), Sterling Publishing Co. Inc., New York, 1997, p. 26-34.

٢ - نوع من الأفاعى كبير الحجم يقضى على فريسته عن طريق العصر.
Encyclopædia Britannica, s.v. Boa.

مباشرة، هما كل ما بقى خارج جسم الثعبان، مما كان أرجلا يوما ما. ويبدو أن الثعابين عندما أصبحت أكثر تمرسا على عاداتها، وجدت أنها ليست فى حاجة شديدة إلى الأرجل. وأصبحت الأرجل بعد ذلك أصغر فأصغر جيلا بعد جيل، حتى اختفت فى النهاية، وأصبحت الثعابين الآن لا تملك هذين المهمازين إلا فى حالات قليلة. وقد وهب الله الثعابين طرق عدة للسير، فهناك مثلا الالتواء الجانبى، والالتفاف الجانبى، والحركة الانقباضية، وهى حركات تميز بعض الأنواع عن بعضها.^١

يظهر الثعبان كأنه كله رأس وذيل، ولكنه ليس كذلك فى الواقع؛ ولكى يعرف المرء من أين يبدأ الذيل، لابد وأن ينظر إليه من أسفل، إذ يوجد اختلاف واضح فى ترتيب الحراشف فى جهة ما من نصفه الخلفى، فعندما تبدأ مجموعة من الحراشف الصغيرة فى الظهور، يمكن تحديد نهاية الجسم وبداية الذيل. وتظهر عند بداية الذيل صفيحة الشرج، وهى عبارة عن حرشفة مستديرة محددة بها فتحة. وتتحشر أعضاء الثعبان الداخلية كلها فى قلب الجسم، وهى تشبه أعضاءنا إلى حد ما، فيتمتع الثعبان بقلب، ومعدة، وكليتين، وكبد، وأمعاء، ورئة واحدة غالبا. وتتناسب أعضاء الثعبان مع جسمه من حيث الدقة والطول والترتيب، فلا تقع الأعضاء - التى يوجد إثنان منها مثل الكليتين - الواحد بجانب الآخر كما فى أجسامنا، ولكن يقع الواحد منهما خلف الآخر فى كل جنب من جانبي الجسم، ويوجد المخ بطبيعة الحال فى الرأس، ولكنه ليس مخا كبيرا؛ ذلك أنها ليست فى ذكاء القوط والكلاب. ولا ينمو للثعابين فراء أو ريش يحميها، حالها فى ذلك حال كل الزواحف، ولكنها ليست عارية على أى حال، بل يغطى جسدها كله حراشف، التى تكون إما كبيرة جدا ترى بالعين المجردة، أو صغيرة جدا لا نستطيع أن نراها إلا بالمجهر، وقد تكون هذه الحراشف أحيانا مربعة، وأحيانا مستديرة، أو بيضاوية، أو

^١ - Greene (H.W.), *Snakes, The evolution of Mystery in Nature*, University of California Press, 1997, 11-34.

مستطيلة، أو مثلثة، أو عديدة الجوانب، وتكون حراشف الظهر أحيانا ذات شكل واحد، بينما حراشف البطن ذات شكل آخر مختلف، كما قد يكون لكل زوج من حراشف الرأس شكل خاص مختلف عن الأزواج الأخرى، وتتسم كل هذه الحراشف بأنها قوية وصلبة، وقد يظن المرء أن فى هذا الغطاء الحماية الكافية، إلا أن كل ثعبان يرتدى فوق هذا الغطاء الحراشف طبقة خارجية من الجلد الرقيق، وهى مهمة جدا له، وإن كان يغيرها دائما؛ لأنه كلما نما الثعبان يصبح الجلد ضيقا عليه^١. ولما كانت الثعابين مستمرة النمو طيلة حياتها، فهى تحتاج إلى غطاء جديد كل بضعة أسابيع أو أشهر، ويختلف الأمر بالنسبة للثعابين الصغيرة؛ لأنها تنمو أسرع، فهى تغير جلدها أكثر من الثعابين الكبيرة. وينسلخ الثعبان من جلده القديم بمهارة ونظام؛ إذ يحك فكه أولا على سطح خشن، كصخرة مثلا، فيصبح الجلد حول أطراف الفكين منسلخا، ويستمر الثعبان فى الحك ودفع جسمه ضد الصخرة، حتى يبدأ الجلد فى الانسلاخ عن الجسد، وعندما يحدث هذا يتحرك الثعبان إلى الأمام، ويزحف خارجا من جلده القديم، فيبدو لامعا وأملس وزاهى اللون، كأنما فرغوا من الاستحمام. أما فيما يخص الجلد الذى ينسلخ منه فإنه يتركه مقلوبا وفى الغالب قطعة واحدة رقيقة، ويظهر به آثار قشور الثعبان كافة^٢.

أماكن العيش

يقطن الثعبان الصحارى والغابات والمروج، ويوجد على قمم الجبال وفى الأنهار والمستنقعات. وتتحرك بعض الثعابين بين الأشجار، وعلى الأفرع العالية، وبعضها يحفر حفرة تحت الأرض. وتختلف الثعابين عن الطيور والثدييات فى حرارة الجسم، حيث تستقل حرارة جسم الثدييات والطيور عن حرارة الجو، فمهما تبلغ برودة الجو فإن حرارة أجسام معظم الثدييات تبقى تقريبا ثابتة، ولكن حرارة أجسام

^١ - Saint-Girons (H.), "Physiology", in *Snakes: A Natural History*, op.cit., p.76-92.

^٢ - *Encyclopaedia Britannica*, s.v. Snake

الثعابين تعتمد على درجة حرارة الوسط المحيط بها، فإذا كان الهواء الذى حولها بارداً، هبطت درجة حرارتها؛ ولهذا تقوم الثعابين بالبيات الشتوى لتهرب من البرد، فهى إما أن تبيت أو تتجمد فى المناطق الجليدية؛ إذ أن الثعابين لا تستطيع الحركة بتاتا فى درجات الحرارة المنخفضة جداً، وتكون فى أحسن حالة لها مادامت تنعم بدفء الجو، وتسعى الثعابين إلى حرارة الشمس؛ لتحافظ على ذلك الدفء، وعندما تشعر أنها أصبحت ساخنة تزحف إلى الظل تاركة أشعة الشمس، ولكن عندما تزداد الأيام برودة، ولا تكفى أشعة الشمس لترفع درجة حرارتها، فإنه يصبح من الضرورى أن تتسحب لتبحث عن مكان تحت الأرض لتبيت^١.

طرق التغذية

تتغذى الثعابين على القوارض والبرمائيات والثدييات والزواحف بأنواعها، والكبير منها يستطيع ابتلاع الغزلان الصغيرة والأرانب وحتى التماسيح، ويتخصص بعضها فى أكل الحيات الأخرى. وتمتلك الثعابين عدة أساليب فى الصيد، فتبتلع بعض الأنواع فريستها حية، بينما تعصر الثعابين من فصيلة البوا والأصليات الحديثة فريستها دون أن تسحقها؛ حيث تلف نفسها حول الفريسة عدة لفات حتى تختنق الفريسة وتموت؛ ومن ثم تبتلعها وهى ميتة، وتلسع الأنواع السامة من الحيات الفريسة، ثم تتركها تهرب لتموت، وتتبعها بعد ذلك بواسطة شم أثرها حتى تصل إليها لتبلعها وهى ميتة^٢.

الجنس والتكاثر

لا يوجد اختلاف واضح بين الذكر والأنثى فى الثعابين، فإذا كان هناك ثعبانان، أحدهما أنثى والآخر ذكر، وكلاهما متساو فى الطول تقريباً، فمن الصعب أن يفرق المرء أحدهما عن الآخر، ولكن غالباً ما تكون الأنثى أطول جسماً، أما

^١ - Greene, *op.cit.*, p.35-50

Gasc (J.P.), "Locomotion", in *Snakes: A Natural History*, *op.cit.*, p.60-76

^٢ - م.هخت، الثعابين، ترجمة عبد الحليم كامل، مراجعة محمد صابر سليم، دار المعارف،

الذكر فأطول ذيلاً، وتوجد درانات صغيرة أو عقد للذكر في بعض الثعابين، وتقع على كل حشفة من الحراشيف الموجودة حول قاعدة الذيل، وقد توجد هذه الدرانات على الرأس والذقن. ولا تعرف الثعابين حياة الأسرة، ولا يوجد شيء من قبيل الارتباط الزوجي القائم، وقد نجد أحيانا ثعبانين يعيشان معا، وهما إنما يفعلان ذلك لأن الغذاء متوفر في هذه البقعة الموجودين بها، ولا يُرد هذا لأنهما يعيشان معيشة مشتركة. ومن دروب الخيال الاعتقاد السائد أن الثعابين السامة تسافر أزواجا، وأن المرء إذا قتل واحدا منهما فإن الآخر يخرج ويثأر لرفيقه. وتتسم عملية التكاثر لدى الثعابين بطقوس ومراسم معينة، وهي كالتالي:

البيات الشتوي: تجتمع الثعابين عادة في أحد الشقوق أو المغارات لتقضي فيها فترة الشتاء أو ما يسمى بالبيات الشتوي، وتعد هذه العملية ذات أهمية خاصة بالنسبة للثعابين، فهي المسؤولة عن تنشيط هرمون التكاثر لدى الثعابين^١.

مرحلة الطلح واستعراض القوى: بعد انقضاء الشتاء تخرج الثعابين من جحورها، وأول ما تفعله هو تغيير ثوبها، ثم تبدأ بعد ذلك مراسم التزاوج بعرض العضلات بالنسبة للذكور، حيث تتقاتل الذكور مع بعضها البعض في مصارعة- تشبه رقصة الباليه- وكل منهم يحاول الإيقاع بالآخر، حتى يفر أحدهما ويبقى المنتصر ليتجه إلى الأنثى، التي تقبل معاشرته بعد هذه المعركة.

مرحلة التزاوج: يتم الإتصال بين الذكر والأنثى التي تكبره حجما، وقد تستغرق هذه العملية عدة ساعات لينفصل كل منهم عن الآخر، وتبدأ مرحلة تكوين البيض لدى الأنثى.

وضع البيض: بعد عدة أيام من التلقيح تبدأ الأنثى بالبحث عن عش تضع فيه بيضها، هذا العش لا بد وأن تتوفر فيه الحرارة والرطوبة اللازمين لفقس البيض،

Greene, *op.cit.*, p.117ff

David (P.) and Others, "Habitats & Life Styles", in *Snakes: A Natural History*, *op.cit.*, p.124-144.

لتبدأ بعد ذلك في وضع البيض الذى يختلف عدده من نوع لآخر، ولكنه قد يصل فى المتوسط إلى ٢٥ بيضة.

حضان البيض: الثعابين حيوانات غير اجتماعية؛ أى أنها لا تعيش في نظام أسرى؛ ومن ثم فعندما تضع البيض تتركه ليفقس دون أى رعاية منها، إلا أن بعض الأنواع تحرس البيض حتى يفقس ويخرج منه الصغار، ثم تتركهم ليعيشوا حياتهم دون أى رعاية.

فقس البيض : عندما يفقس البيض، الذى يستغرق عادة قرابة ستة أسابيع، يبدأ الصغار بالخروج إلى الحياة معتمدين على أنفسهم، وتشبه الثعابين الصغار الثعابين الكبار تماما، فلو كان الثعبان الكبير سام، فإن الصغار سيكونون مثله.^١

تصنيف الثعابين

توجد أسس كثيرة يمكن الاعتماد عليها فى تقسيم أصناف الثعابين، ويمكن اعتبار بعض هذه الأسس ركيزة للتصنيف، فمثلا هناك تصنيف بحسب السمية الموجودة لدى الثعابين، حيث تنقسم الثعابين إلى سامة وغير سامة، وتنقسم الثعابين السامة إلى قسمين: ثعابين ذات سمية شديدة، وثعابين ذات سمية ضعيفة. وتنقسم الثعابين غير السامة إلى قسمين: ثعابين عاصرة، وثعابين غير عاصرة. يمكن كذلك تصنيف الثعابين طبقا للبيئة التى تنتمى إليها، فمثلا هناك ثعابين صحراوية، وثعابين الصخور، وثعابين الأشجار، وثعابين البرك والمستنقعات، وثعابين البحار والمحيطات. ويمكن التصنيف بناءً على وجود الأنياب، لنصل لتصنيف محتواه: ثعابين عديمة الأنياب، وثعابين ذات أنياب أمامية متحركة، وثعابين ذات أنياب أمامية ثابتة، وثعابين ذات أنياب خلفية.^٢

طرق الدفاع

^١ Greene, *op.cit.*, p.117ff

David (P.) and Others, "*Habitats & Life Styles*", in *Snakes: A Natural History*, *op.cit.*, p.124-144.

^٢ *Encyclopaedia Britannica*, s.v. Snake

جمعت الطبيعة على الثعابين أعداءً عدة، كالورل والثعلب والقطط البرية والعقبان والظربان، وتدافع الثعابين عن نفسها مثل غيرها من الحيوانات، فعندما يتعرض حيوان ما للخطر يُظهر شراسة لم تُعهد فيه وضراوة لم تشاهد من قبل، وتتنوع طرق الدفاع لدى الثعابين، وتختلف من ثعبان لآخر، ويستخدم الثعبان هذه الطرق بحسب ما سُخر له منها، فمن الثعابين من يملك طرق عديدة، ومنها ما لا يملك سوى طريقة أو طريقتين يستخدمهما حسب حاجته، فإن لم تفلح واحدة استخدم الأخرى، أو قد يستخدمهما معا. ومن هذه الطرق ما يلي:

- العض Bite .
- حقن السم Venom Injection .
- إصدار روائح كريهة Malodour .
- التبرز والتبول على العدو Excretion .
- فرد منطقة الرقبة Spreading Hood .
- رفع الذيل Raising Tail .
- الدفن Burying .
- قذف السم Spitting Poison .
- الفحيح Hiss .
- الجرس Rattle .
- القرقرة Rumbling .
- الارتكاز والوقوف Support, Stand .
- وجود رسومات على الجسم Traces, Marks, Signs .
- التلون Colouring .
- تشابه الذيل والرأس Head And Tail Resemblance .
- التكور Coiling .
- التخفى Disguise .
- القفز والطيران Jumping and Flying .

- العصر Constriction .
- نفخ الجسم Body – Swelling .
- التفطح Flatting .
- التخشب Boarding .
- بصق الدم Spitting Blood .
- التظاهر بالموت Died-pretence .
- فتح الفم Mouth Open ^١ .

الثعبان الإغريقي بين علم اللغة وعلم التصنيف^٢

أمدت عالمة الحيوان ليليان بودسون الباحث ببعض من أبحاثها المتميزة، قامت فيها بتصنيف أنواع الثعابين، التي تحدث عنها الإغريق في كتاباتهم، أو صوروها في أعمالهم الفنية^٣، كما قامت بالربط بين المرادفات اللغوية الإغريقية التي تشير

^١ - كامل محمد زيني بدوى، موسوعة عالم الثعابين.

http://www.kbsnakes.com/main_files/defense.htm

^٢ - علم التصنيف *Taxonomy*: اسم مكون من كلمتين إغريقيتين *τάξις* التي تعنى تصنيف أو تنظيم، و *νόμος* ومعناه قانون أو قواعد علم، ويهتم العلم بتصنيف الكائنات الحية إلى عائلات وفئات متعددة ومتراصة.

Encyclopædia Britannica, s.v. Taxonomy

تجدر الإشارة إلى أن للحيوانات والنباتات نوعين من الأسماء هما: الاسم العلمى، وهو اسم اصطلاحى لاتينى. والاسم الشائع، وهو اسم متعارف عليه يختلف من لغة إلى أخرى وأحيانا من منطقة إلى أخرى. ولم يجد الباحث فى اللغة العربية مرادفات للعديد من أصناف الثعابين، ربما لأنها غير موجودة فى البيئة العربية، ولم يهتم الباحثون العرب بالربط بين المرادفات العربية للثعبان والمصطلحات اللاتينية، كما تغاضوا عن نحت أسماء للأصناف التى لم يألفها العرب، ومن ثم فسوف يلجأ الباحث لترجمة الأسماء الشائعة فى اللغة الإنجليزية والمصطلحات اللاتينية مع وضع صور توضيحية لكل نوع من أنواع الثعابين تجنباً للخلط أو اللبس.

^٣ - Bodson (L.), " *Les Grecs et leurs serpents. Premiers resultants de l'étude taxonomique des sources anciennes* " Ant. Cl, 50, 1981, pp. 57-78.

للثعبان، وما يوازيها في علم الحيوان الحديث، وحددت أصناف هذه الثعابين وفصائلها ومواطنها من خلال علم التصنيف^١.

ترى بودسون أن معظم ثعابين بلاد الإغريق تنتمي إلى عائلة الثعابين غير السامة *colubridae*^٢ وما يندرج تحت هذه العائلة من فئات، على وجه التحديد فئة ثعابين المحاصيل *Elaphe*^٣ ومنها:

- الثعبان الأسكليبي *Elaphe Longissima* (شكل ١)
- الثعبان ذو الخطوط الأربعة *Elaphe quatuorlineata* (شكل ٢)
- الثعبان السلم *Elaphe Sclaris* (شكل ٣)

^١ - Bodson, "Observations sur le vocabulaire de la zoologie antique : les noms de serpents en grec et en latin", GRECO-C.N.R.S., 8, 1986, pp. 65-119.

^٢ - اشتق اسمها من الكلمة اللاتينية *coluber*، والتي تعني "ثعبان" وهي تشير في علم الحيوان إلى الثعابين غير السامة، والتي تمثل ثلثي الثعابين على وجه الأرض.

Encyclopaedia Britannica, s.v. colubrid

^٣ - يرى الباحث أن اسمها إشتق من كلمة *ἔλαφος* بمعنى "أيل". وتعرف هذه الفئة في الإنجليزية بأسماء شائعة أخرى مثل: ثعابين الثعلب، وثعابين الجرذ، وهي ثعابين غير سامة.

Encyclopaedia Britannica, s.v. rat snake

^٤ - اسمه العلمي باللاتينية يعني "الأطول"، وجاء اسمه الشائع من ارتباطه بأسكليبيوس إله الطب الإغريقي، وهو ثعبان طويل غير سام، ومتسلق جيد للأشجار.

Encyclopaedia Britannica, s.v. rat snake

^٥ - اسمه العلمي باللاتينية بنفس معنى اسمها الشائع، ويعني "ذو الخطوط الأربعة"، وينتشر هذا النوع في جنوبى أوروبا، ويتميز بالطول، حيث يبلغ حوالى ستة أقدام، ويغطي جسده أربعة خطوط طولية، وهو ثعبان غير سام.

Encyclopaedia Britannica, s.v. rat snake

^٦ - يبدو أن اسمه مشتق من الكلمة اللاتينية *scala* والتي تعني "سلم"، وهو نفس اسمه الشائع، وذلك لأن جسده يحتوى على خطين طوليين يصل بينهم عدة خطوط عرضية قصيرة، فيما يشبه السلم، وهو ثعبان غير سام.

Coulevre à échelons - Elaphe scalaris - Ladder snake

http://www.planetepassion.com/SPECIES%20FACT%20SHEETS/SNAKES/Coulevre_%C3%A0_%C3%A9chalons-Elaphe_scalaris.htm

- الثعبان النمر^١ *Elaphe Situla* (شكل ٤)
عرف الإغريق كذلك- فى رأى بودسون- الأصليات^٢ *Pythons* (شكل ٥)، كما
ضمت أرض الإغريق الثعابين السامة من عائلة الأفاعى^٣ *Viperidae* وخاصة
الفئات التالية:

- الأفعى قرنية الأنف^٤ *Vipera ammodytes* (شكل ٦)
- أفعى الصخر^٥ *Vipera xanthina* (شكل ٧)
- الأفعى الكوفية (نسبة لمدينة الكوفة)^٦ *Vipera lebetina* (شكل ٨)

^١- اسمه العلمى باللاتينية يعنى "الجرة"، أما اسمه الشائع فيتناسب مع مظهر جلده، حيث يشبه
جلده جلد النمر من حيث الألوان والزركشات، وهو ثعبان غير سام.

Encyclopaedia Britannica, s.v. rat snake

^٢- هو ثعبان ضخيم عاصر غير سام، ينتمى إلى عائلة الأصليات *Pythonidae*، يبلغ طوله فى
بعض الأحيان حوالى ستة أمتار، أخذ اسمه من اسم بيثون الحية الضخمة التى قتلها أبوللون.

Encyclopaedia Britannica, s.v. python

^٣- تشير إلى عائلة كبيرة من الثعابين السامة للإنسان.

Encyclopaedia Britannica, s.v. viper

^٤- يرجح الباحث أن اسمها العلمى مشتق من كلمتين إغريقيتين هما: كلمة ὄφις وتعنى
الرملة، وكلمة δούπη التى تعنى غواص. ولهذه الأفاعى أسماء أخرى شائعة مثل ذات الأنف
الطويل، وذات القرن، وأفعى الرمل. ويعيش هذا النوع السام فى جنوبى أوروبا وخاصة البلقان،
وأجزاء من الشرق الأوسط. ويتميز بوجود زائدة عند الأنف تشبه القرن.

Vipera ammodytes

http://en.wikipedia.org/wiki/Vipera_ammodytes

^٥- جاء اسمها العلمى من الكلمة الإغريقية ξαυθός التى تعنى أشقر، ويطلق على هذا النوع
السام أسماء شائعة كثيرة منها: الأفعى الساحلية، والأفعى العثمانية، والأفعى التركسية، وأفعى
الشرق الأدنى. وتنتشر فى بلاد الإغريق وتركيا وجزر بحر إيجه.

Vipera Xanthina

http://en.wikipedia.org/wiki/Vipera_xanthina_xanthina

^٦- يرجع أصل اسمها العلمى إلى الكلمة الإغريقية λέβης أو اللاتينية lebes، وكلاهما تعنى
قدر أو مرجل. ويطلق على هذا النوع السام من الأسماء الشائعة أيضا ذات الأنف الأثلم، وأفعى
المشرق، وينتشر بدرجة كبيرة فى شمال أفريقيا والشرق الأوسط.

Vipera lebetina

ترى بودسون أيضا أن الإغريق كانوا على علم بالكوبرا المعروفة بالكوبرا المصرية^١ *Naja haje* (شكل ٩). وتربط بودسون بين مرادفات الثعبان عند الإغريق وما يقابلها في التصنيفات الحديثة، فتوضح أن الإغريق استخدموا كلمة ἔρπιτον لتشير إلى أي نوع من الزواحف، وكلمة ὄφις لتشير إلى أي نوع من أنواع الثعابين، وكلمة δράκων لتشير إلى الثعابين غير السامة *Colubridae*، وخاصة ثعابين المحاصيل *Elaphe* وكلمة ἔχιδνα لتشير إلى فصيلة الأفاعي *Viperidae* وكلمة ὄσπις لتشير إلى الكوبرا وخاصة المصرية *Naja haje*. وتوضح ماريالوتشيا سانكاسانو أن الإغريق اشتقوا من مترادفات الثعبان، كلمات أخرى تفرق المذكر عن المؤنث، فتشير كلمة δράκαινα إلى مؤنث δράκων، وتشير كلمة ἔχιδνα إلى مؤنث ἔχιδνα^٢.

(ب) طبيعة السكان

تكونت التركيبة السكانية للإغريق بعد الألف الأول ق.م. من خليط جنسي وعرقى متراكم. يمكن تحديد مصادره في أربع فئات:

الفئة الأولى: سكان جزيرة كريت من المينويين

أثبتت اللقى والمكتشفات الأثرية أن أرض كريت حملت على ظهرها حضارة قديمة، ترجع إلى أوائل الألف الثالث ق.م.، أصطلح على تسميتها بالحضارة المينوية. يتضح من البقايا الأثرية أن الحضارة المينوية كانت تقوم على الزراعة والتجارة، وكان أهل كريت يناشدون آلهة الخصوبة الأرضيين، وكان على

=http://en.wikipedia.org/wiki/Vipera_lebetina_lebetina

^١ - يعيش هذا النوع في أفريقيا، وينتشر في شمالها. يتميز هذا النوع بأنه شديد السمية، ويمارس حياته ليلاً أو في الصباح الباكر. يبدو رأسه مفلطحاً ويبرز منه خطام. وسميت بالمصرية لظهورها في صورة الثعبان الحامي للآلهة والفرعون في الحضارة المصرية القديمة.

Encyclopaedia Britannica, s.v. asp

^٢ - Sancassano (M.L.), "Il lessico greco del serpente. Considerazioni etimologiche", *Athenaeum* 84.1 (1996), p.49-70

رأس الآلهة إلهة أنثى، وكانت الآلهة الكريتية ذوى أشكال حيوانية، أو يُصورون بصحبة حيواناتهم المقدسة^١.

الفئة الثانية: سكان البلقان الأصليين

قطن أرض البلقان شعب بحرمتوسطى يتحدث لغة غير معروفة، لكنها ليست اللغة الإغريقية. عرف الإغريق فيما بعد هذا الشعب باسم البلاسجيين Πελασγοί، وأغلب الظن أن البلاسجيين عبدوا آلهة أرضية منوطة بالخصوبة والنماء، وكانت الإلهة الأم هى محور العبادات، كما هو العهد بشعوب البحر المتوسط، وكانت هذه الآلهة ذوى أشكال حيوانية^٢.

الفئة الثالثة: الوافدون

تعرضت أرض البلقان لموجات متتابة من الهجرات على فترات متباعدة ومن بقاع مختلفة، وكان التيار الهند أوربي القادم من الشمال الشرقى أكثرها تميزاً وأثراً^٣. وقد تكون من هذا التيار شعب الآخيين أو الدنائيين، وكان الآخيون يتحدثون لغة هندأوربية هى الإغريقية، وكانوا من الشعوب المحاربة، مثل معظم الوافدين، وكانوا يعبدون آلهة سماوية ذوى أشكال ناسوتية. وقد نتج عن هذه التوليفة السكانية من البلاسجيين والوافدين الجدد حضارة جديدة، عُرفت فى العصر الحديث بالحضارة الموكينية^٤.

^١ - Dietrich (B.C.), *The Origins of Greek Religion*, Walter de Gruyter & Co., Berlin, 1973, p.69-127.

^٢ - Myres (J.L.), " *A History of the Pelasgian Theory*", JHS, Vol. 27, 1907, pp. 170-225

^٣ - Kitto (H.D.F.), *The Greeks*, Penguin books, Melbourne, London , Baltimore, 1952, p. 15.

Samuel (A.), *The Mycenaeans in history*, a Spectrum book, New Jersey, 1966, p.3

^٤ - سيد أحمد على الناصرى، "أضواء على الحضارة الموكينية"، مستخرج من حوليات كلية الآداب، جامعة القاهرة، م ٢٩، ١٩٦٦، ص ٧٢، وفى أماكن متفرقة

الفئة الرابعة: الدوريون Δωριεῖς

هاجمت قبائل من الشمال الغربى سكان البلقان، والتي أطلق الإغريق - فى الفترات اللاحقة - عليها اسم الدوريين. وطأت أقدام الدوريين أرض البلقان حوالى عام ١٠٠٠ ق.م.، حيث أسقطوا قلاع الحضارة الموكينية، وقضوا على عصر الأبطال، إلا أن المصادر لا تمدنا بالكثير من المعلومات عن هذه الفترة؛ ولذلك يعتبرها الباحثون فترة مظلمة.

أثر الوافدين فى تطور الفكر الدينى

أتى الوافدون حاملين معهم آلهتهم، مع ذلك لم يغفلوا تكريم آلهة البلاد الأصليين، فكانوا يطابقون فى بعض الأحيان بين أحد معبوداتهم وبين أحد الآلهة الأصليين،^١ وتم فى آونة أخرى دمج إلهين أحدهما من الآلهة الأصلية للبلاد والآخر من آلهة الوافدين،^٢ وهو ما يعكس وجود تعايش سلمى بين هذه الأجناس، إذ يعد اندماج الآلهة أحد النتائج الطبيعية لإندماج مجتمعين، إلا أن ذلك لا يمنع وجود آلهة ظلت بمنأى عن هذا الإندماج،^٣ وإن كان من الصعب معرفتها جزماً.

^١ - Nilsson (M.P.), *A History of Greek religion*, translated by : F. J. Fielden, oxford, 1949, p. 22 .

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصاراً بـ (H.G.R)

^٢ - Rose (H.J.), *Ancient Greek Religion*, Hutchinson's Univ. Library, New York, 1946, p.54 .

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصاراً بـ (A.G.R)

^٣ - Burkert (W.), *Greek religion*, translated by John Raffan, Basil Blackwell, Oxford, 1985, pp.18-19 .

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصاراً بـ (G.R.)

Halliday (W.R.), *The Cambridge ancient history*, Cambridge, 1924, vol: I, p. 612ff .

^٤ - روبرتسن سميث، محاضرات فى ديانة الساميين، ترجمة : د. عبد الوهاب علوب، مراجعة وتقديم : د. محمد خليفة حسن، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٣٩.

ويبدو أنه كان من نتاج تأثير الوافدين المتحدثين بالإغريقية تحول الآلهة من الشكل الحيواني^١ إلى الصورة الناسوتية، وهو ما يعد مرحلة أكثر تقدماً في حياة الإنسانية، إذ أنها تتولد من شعور الإنسان بذاته وثقته في قدراته، ومن ثم يصور الآلهة على هيئته^٢.

تحول كذلك المجتمع من الأمومية إلى الأبوية، فبعد أن كانت الصدارة في العبادة للإلهة الأم، ترأس مجمع الآلهة إله من الذكور، وهو ما يعد أيضاً أحد

^١ - عن عبادة الحيوان في بلاد اليونان القديمة راجع :

Burkert, G.R., p.64ff

Halliday, op. cit., p.622ff .

^٢ - Harrison (J.), *Prolegomena to the study of Greek religion*, Meridian Books, Cambridge, 1921, p. 258f .

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصاراً بـ (*Prolegomena*) يرى الأنثروبولوجيون أن المعبودات وتصويرها مرت بأربع مراحل، تتواءم هذه المراحل مع تقدم الفكر الإنساني وتطور ظروف المجتمع، وهي كالتالي:

الشكل المطلسم: كان الإنسان يتقرب إلى أشياء جامدة كالصخور والتماثيل والتعاويذ، بحثاً عن الحماية والعون، وتتناسب هذه العبادات مع مرحلة ما قبل الرعي، حيث كان الإنسان يشعر بسيطرة الطبيعة عليه.

الطوطم الحيواني: صور الإنسان في مرحلتى الرعي والزراعة آلهته في صورة حيوانية، لشعوره بفضل ماشيته، وتفوق غيره من الكائنات عليه.

الشكل المسخى: عندما شعر الإنسان لبعض الوقت أنه له دور لا يقل عن غيره من الكائنات في تسيير عجلة الحياة، صور آلهته في صورة نصفها حيواني والنصف الآخر آدمي.

الشكل الناسوتي: عندما سيطر الإنسان على جموح الطبيعة، وهيمن على غيره من الكائنات، صور آلهته على شاكلة.

وقد طبق بادج هذه المراحل على الديانة المصرية القديمة في كتابه :

Budge (A.W.), *From fetish to god in the ancient Egypt*, Oxford, 1934

وفي الحضارة الإغريقية:

Harrison, *Prolegomena*, ch:1-3 et passim

مظاهر التطور الحضارى^١، كما تحولت الآلهة المحلية المختلفة إلى آلهة عامة يعبدها المواطنون كافة، والتي عُرفت بالآلهة الأوليمبية، وهو ما يعكس حدوث تطور فى المجتمع ومؤسساته التى ينتمى إليها الفرد، حيث يعد ذلك انتقالا من دين العشيرة إلى دين الدولة.^٢

يمكن كذلك التأثير الواضح للوافدين على الحياة الدينية فى تلك الأسماء الإغريقية التى حملتها معظم الآلهة، وتحول الآلهة من آلهة أرضية إلى آلهة سماوية.^٣

يمكن القول أن هذه التراكمات الدينية خلفت وراءها آلهة منفصلة وأساطير محيرة، تعكس جميعا بشكل متداخل وجود امتزاج دينى وأسطورى لأكثر من حضارة وأكثر من عرق على أرض الإغريق.

^١ - يرى الأنثروبولوجيون أن الإنسان كان ينظر فى المراحل المبكرة إلى الأم بوصفها مصدر الحياة والخير والعطاء، فجعلها كبيرة الآلهة، ثم تطورت المجتمعات إلى مجتمعات محاربة، ف شعر الإنسان بعظم دور الأب، فجعل كبير الآلهة من الذكور، ثم تحول المجتمع إلى الملكية، فأصبح كبير الآلهة هو ملك الآلهة؛ إذ أن الإنسان كان يصور مجتمع الآلهة فى صورة مشابهة لمؤسسته ونظامه الحاكم. عن مردود تطور المجتمع على الفكر الدينى راجع:

كافين رايلي، الغرب والعالم تاريخ الحضارة من خلال موضوعات، ترجمة: د. عبد الوهاب

محمد المسيرى، د. هدى عبد السميع حجازى، مراجعة: د. فؤاد زكريا،

عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون، الكويت، عدد ٩٠، القسم الأول،

ص ٤٨-٦٩ .

^٢ - عندما يتحول المجتمع من مجتمع عشائرى بسيط إلى مجتمع الدولة أو الدولة ينتج عن ذلك- طبقا للمنهج الأنثروبولوجى- دمج بعض الآلهة المحلية، وتوحيد المجمع الإلهى فى آلهة معدودة يعبدها الجميع.

روبرتسن سميث، سبق ذكره، ص ٢٩ وما بعدها.

^٣ - أصبح من المتعارف عليه أن الآلهة السماوية أكثر رقىا من الآلهة الأرضية. راجع:

James(E.O.), *The worship of the sky-god a comparative study in Semitic and Indo-European religion*, University of London, 1963, p. 114-137.

الفصل الثانی

الْثَّعْبَانِ رَمَزُ الضَّرَرِ

(أ) الثَّعْبَانِ فِي مَوَاجِهَةِ الْإِلَهِ

(ب) الثَّعْبَانِ فِي مَوَاجِهَةِ الْبَطْلِ

(أ) الثعبان فى مواجهة الإله

تتصدر ملحمتا الإلياذة والأوديسيا (حوالى القرن الثامن ق.م.) الصفحات الأولى من التاريخ المكتوب للحضارة الإغريقية، وتفتح ربة الشقاق صدارة الأحداث فى الإلياذة، وما إن يتقدم المرء بيتا تلو الآخر، حتى ينجذب إلى أشكال من النزاعات، والصراعات، والقتال. يدب النزاع بين الربات الثلاث، هيرا ^١ Hērā وأثينا ^٢ Athēnā وأفروديتى ^٣ Aphrodītē، ويثمر النزاع عن قتال بين شعبين، هما الإغريق والطرواديين، ويتخلل القتال مواجهات بين بعض الأبطال، مثل: المواجهة بين هيكتور ^٤ Ektōr وأخيلليوس ^٥ Achilleus، أو تحدى بين بطل وإله، مثل: تحدى أوديسيوس ^٦ Odysseus لإله البحر بوسيدون ^٧ Poseidon.

تمثل الإلياذة والأوديسيا جزءا من التراث الأسطورى الإغريقى. وبزخر التراث الأسطورى الإغريقى بأشكال متعددة من المواجهات، التى كانت تشتعل بين طرفين، أو قوتين، أو قطبين، لكن فى بعض الأحيان يكون أحد أطراف هذا الصراع غير آدمى من المسوخ ^١ العجيبة، أو الممسوخات ^٢ المشوهة، أو الوحوش ^٣، التى شكلت مجتمعة علامة مميزة للأسطورة الإغريقية، وعنصرا مهما فى مكوناتها.

^١ - سوف يشير الباحث بكلمة مسخ لما ولد فى صورة غير طبيعية، مثل أرجوس ^٤ Argos ذى العيون المنثورة على جسده.

^٢ - سوف يشير الباحث بكلمة ممسوخ لما تم تحويله من صورة أصيلة إلى أخرى بديلة، ويكون هذا التحول رغما عن الكائن مثل تحول كالليستو ^٥ Kallistō إلى دب.

كما سيشير بكلمة تقمص لعملية دخول أحد الآلهة أو البشر فى صورة أخرى بإرادته، وبالتالى سوف يكون لدينا متقمص: وهو المتحول، ومتقمص: وهو المتحول إليه، مثل تحول زيوس إلى نسر ليخطف جانميديس ^٦ Ganymēdis.

^٣ - ستشير كلمة وحش للحيوانات الطبيعية من حيث الشكل، إلا أن قدراتها فائقة لمثيلاتها الطبيعية، مثل أسد نيميا ^٧ Nemēa.

لعب الثعبان الدور الأساسي في تكوين التركيب الأسطوري للعديد من الكائنات غير الآدمية، على وجه الخصوص تلك التي كانت طرفا في المواجهة ضد الإله أو البطل؛ إذ يستطيع الثعبان بشكله المخيف أن يثبت الرعب في النفوس، ويحرك الرهبة في القلوب، فيتناسب بذلك مع قدر الإله أو البطل. فكلما استوحش الخصم زاد ذلك من قدر الإله أو البطل.

الصراع بين زيوس Ζεύς و تيفون Τυφών

نشبت أولى المواجهات الفردية الكبرى^١ بين زيوس، كبير الآلهة وحاكم الأوليمبوس، ونده العنيد والمخيف على حد سواء، تيفون ذي الهيئة الثعبانية. بعد أن انتصر زيوس على التياتن Τιτῶνες والعمالقة Γίγαντες ، أنجبت جايا Γαῖα أو هيرا مسخا، الذي عرفه الإغريق باسم تيفون، أو تيفويوس

=لابد من الإشارة- تجنباً للتداخل- إلى أن هذه المصطلحات مرتبطة بالصورة الجسدية وليست الروحية، حيث عرف العرب تقسيمات أخرى لتحولات الروح، أشهرها تقسيمات الطائفة النصيرية العلوية، التي جعلت لتناسخ الأرواح أربعة أنواع، النوع الأول: النسخ، وهو انتقال الروح من جسم الآدمي إلى جسم آدمي آخر. النوع الثاني: المسخ، وهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسد حيوان. النوع الثالث: الفسخ، وهو خروج الروح من جسم الآدمي إلى جسد حشرة من حشرات الأرض. النوع الرابع: الرسخ، وهو انتقال الروح من جسم الآدمي إلى الشجر أو النبات أو الجماد.

راجع: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرنولة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٤ وما بعدها.

^١- يقصد الباحث بالفردية: تلك المواجهات التي كانت تتم بين إله واحد وخصمه، ومن الضروري تحديد ذلك؛ حيث توجد مواجهات جماعية سابقة، كتلك التي تمت بين الآلهة والتياتن أنصار كرونوس Κρόνος . ويقصد الباحث بالكبرى، تلك المواجهات التي أثرت على سيرة الإله، وأدت إلى الإستقرار، بعد القضاء على مصدر الإضطرابات، كما أن هذه المواجهات تمثل أشهر الأحداث في تاريخ الآلهة الكبرى.

Τυφωεύς، أو تيفوس^١ Τυφώς، وكان بشع الصورة، يخرج من أكتافه مائة ثعبان. وتشكل نصفه السفلى من ثعابين رقطاع ضخمة. ويبلغ طول كل ذراع من ذراعيه مائة فرسخ. وينبت عدد لا حصر له من رؤوس الثعابين عوضاً عن يديه وأصابعه، كما يعلو كتفيه رأس مخيف يشبه رأس الحمار. عندما يفرد قامته تلمس قبة السماء. وله جناحان، إذا فردهما اختفى خلفهما ضوء الشمس الساطع. وتبعث عيناه ألسنة من اللهب. إذا غضب تتساقط صخور حجرية ملتهبة من فمه، ويصدر أصواتاً مرعبة، تقشعر لها الأبدان. إنطلق تيفون نحو جبل الأوليمبوس، وأثار الفرع بين الآلهة، الذين فروا إلى مصر، واتخذوا بعد ذلك أشكالاً حيوانية، إلا أن زيوس تصدى له. وانتصر تيفون في البداية، واستطاع أن يحجز زيوس في أحد الكهوف، ووضع عليه حراسة، بعد أن نزع أوتار ساعده، لكن أستطاع هيرميس Ερμῆς أن يحرر زيوس بالخدعة والمكر. واستعاد زيوس قدرته بعد ذلك، واستجمع قواه، وأرسل صواعقه نحو تيفون، وسيطر عليه وحجزه تحت جبل ايتتى Αἴτνη^٢.

صوّر أحد الفنانين الصراع بين زيوس وتيفون في عمل فني على قدر ماء

υδρία، يرجع تاريخه إلى حوالي عام ٥٣٠ ق.م.، وهو محفوظ الآن في متحف

^١ - تجدر الإشارة إلى أنه حينما تناول قاموس Leddell and Scott أسماء تيفون الثلاثة (Τυφώς، Τυφωεύς، Τυφῶν)، أوضح أنها تؤدي جميعاً إلى بعضها البعض، إلا أنه ربما احتوى القاموس على معلومة تستحق المراجعة، ذلك أنه أشار إلى أن Τυφῶν كان ابن Τυφωεύς وكان أبا الرياح (عند هسيودوس، أنساب الآلهة، أبيات ٣٠٧ و ٨٦٩)، ولكن بالرجوع لنص هسيودوس اتضح للباحث أن هسيودوس ذكر اسم Τυφῶν بوصفه زوج إخيدنا Εχιδνα^٢ (هسيودوس بيت ٣٠٦)، بينما كان Τυφωεύς عنده أبا الرياح (هسيودوس بيت ٨٦٩)، وكذلك عدو زيوس (هسيودوس، أبيات ٨٢٠ وما بعدها). ولم يأت هسيودوس على ذكر صلة نسب بينهما.

Hes., Th., 820-869

Hom., Hym., 3.300-355

Aesch., Th., 511-517

Idem., Pr., 350-70

Apd., 1.39-44

ميونخ، حيث يظهر زيوس إلى جهة اليسار في هيئة آدمية، ملتحمًا، ومكلاً، ومنسدل الشعر، وممسكاً قوسه وسهامه الصاعقة في يده، ويرتدى رداءً مشقوقاً عند الذراعين في الجزء العلوى. ويقف تيفون في مواجهته وهو ملتحم، ومجنح، ومنسدل الشعر، وله أذنا حمار، ويرتدى رداءً بلا أكمام، وظهرت عوضاً عن قدميه أجساد ثعابين ملتوية^١ (شكل ١٠).

تدور أحداث الأسطورة حول موضوع رئيسى، هو الصراع بين زيوس وتيفون، أى الصراع بين الإله وخصمه، حيث تستتب الأمور للإله المنتصر نتيجة لهذا الصراع، الذى ينتهى بالقضاء على خطر الخصم. ظهر زيوس فى هذه الأسطورة بوصفه الإله ذو الهيئة الناسوتية، الذى تزلف إليه الإغريق قربة، بينما بدا تيفون فى هيئة المسخ المخيف القبيح، الذى فى المواجهة.

أصل الصراع

اتسم موضوع الصراع بين الإله وخصمه بالسرمدية والديمومة والانتشار، وجمع فى تاريخه الطويل بين الأزلية والأبدية؛ إذ أنه بدأ مع الإنسان، ولن ينتهى إلا بانتهاء الجنس البشرى. تعود قصة الصراع بين زيوس وتيفون إلى أصول بعيدة، إلى الفترة التى عرف الإنسان فيها المتناقضات، عندما شعر فى ذاته أن هناك صوتين، أحدهما ينصحه أن يسلك هذا الطريق، والآخر ينصحه أن يسلك الطريق المعاكس، ويحيا الإنسان عند مفترق الطرق منذ أن خلق. يحيا فى اختبار دائم، وعادة ما يخير فى أعماقه بين أمرين. عرف الإنسان أن كينونته ذات نزعتين، فعرف أن بداخله الفكرة وضدها، ونظر أمامه فى محيط حياته الهمجية، فكون مفهومه الأول، أن فى الكون المحيط أشياء ضارة عليه أن يحذرهما، وأشياء نافعة فيها فائدتها، ووجد الإنسان فى مظاهر الطبيعة صورة جليلة للشئ ونقيضه، فرأى الليل والنهار، والربيع والخريف، والوفرة والجذب، والحياة والموت، فأحب النهار

الذى يرى فيه أعداءه من الحيوانات الضارية، وكان يخشى أن يجن عليه الليل، وتمنى قدوم الربيع، وتحصن للخريف. فهم الإنسان أن فى الكون متناقضات، وأدرك كذلك أن لكل شئ روح مثله، إنه حينما يريد أن يتحرك من بقعة لأخرى يقرر ويفعل؛ لأنه لديه إرادة، ولذا فقد قاس ما أحاط به من كائنات على نفسه، فرأى فى اهتزاز أفرع الشجر وأوراقه حركة إرادية، قامت بها الأشجار عن وعى وقصد؛ ذلك أن للشجرة روح، وتتحرك كذلك الأمواج فى البحر بإرادة البحر؛ لأن البحر فيه روح . يشبه إنسان ذلك الوقت فى تفكيره الطفل الصغير، فعندما يحاول الطفل أن يجلس على المقعد ويسقط، يظن أن المقعد هو الذى أوقعه، فيقوم على الفور ويضرب المقعد، معتقدا أن المقعد له روح وإرادة. وراح الإنسان يصنف الكائنات بين نافع وضار، ويتقدم بطقوس العبادة لكليهما، للنافع ليستزيد من نفعه، والضار حتى يأمن ضرره^١، الأمر الذى دفع ديورانت للقول :

^١ - تعرف هذه العبادات البدائية بالأروحية أو الإحيائية أو المذهب الحيوى Animism اشتقاقا من الكلمة اللاتينية anima التى تعنى روح. نشأت الفكرة على يد تايلور ١٨٧١م، وتطورت على يد ماريت R.R.Marett عام ١٨٩٩م، حيث اعتقد الإنسان البدائى بتشابه الحياة أثناء النوم وأثناء اليقظة، فعندما ينام ويصبح جسده ساكنا عن الحركة يقوم فى الحلم بنشاط قد يفوق قدرته أحيانا وهو مستيقظ، فاعتقد أنه ذو شخصيتين: الشخصية الأولى هى القلب المادى، والشخصية الثانية هى التى تترأى له فى الحلم، فظن أن ما يحيط به من كائنات- حيوان كان أو نبات أو جماد- له روح تتحرك فى نشاط غير ظاهر. وتتطورت هذه الفكرة عند ماريت وغيره فرأوا أن البدائى نظر إلى العالم بوصفه مجموعة من القوى والطاقات، وأن هذه القوى لا يمكن أن تأتى من لا شئ وتنتهى إلى العدم، بل ينبغى أن يكون هناك أساس تعتمد عليه، هو النفس أو الروح، ومن ثم استطاع أنصار المذهب الروحى أن يخلصوا النظرية من أفكار ارتباط الواقع بالأحلام- التى اتخذها تايلور نقطة بداية لدراسته- وبنوا المذهب على أساس فكرة عقلية ميتافيزيقية. وقد اعتقد البدائى- وفقا لما سبق- أن جميع ما يصيب الإنسانية من نجاح وتوفيق، أو من آلام ومصائب، إنما يرجع إلى تلك الأرواح، أو إلى العالم الروحى، وأن قوة الروح، التى تحل فى أشياء العالم وكائناته، هى فى حالة حركة دائمة، وتبادل دائم بين مستودعاتها وبين مصدرها؛ لأن كل عنصر فى العالم، وكل مخلوق، هو فى الوقت نفسه متلق ومرسل، وأحيانا مخزن لهذه القوى.

"...وتكاد لاتجد حيوانا فى الطبيعة كلها - من الجبل المصرى إلى الفيل عند الهندوس- لم يكن فى بلد ما موضع عبادة باعتباره إلها.."^١

أثر تعاقب بعض ظواهر الطبيعة أو تقلبها أثرا بالغاً فى تنشيط الفكر الأسطورى داخل العقل البشرى، الذى صاغ فلسفته الاولى فى شكل أساطير، وكانت هذه الأساطير تعبر برموز بسيطة عما توصل إليه، فنظر الإنسان إلى تعاقب الليل والنهار على أنه صراع يومى متكرر، ينتصر فيه النهار مرة والليل أخرى، ويقتل الخريف الربيع كل عام فى صراع دائم لا ينقطع، ليعود الربيع فى بعث جديد وينتصر.

تطور مفهوم الصراع بين الضار والنافع، فى ثنائية أخرى، ليصبح صراع بين الخير والشر.^٢ وقد حفظت لنا أساطير الشعوب- ذلك السجل الذى دون فيه القدماء أفكارهم- العديد من النماذج، التى تصور فكرة الصراع بين الضار والنافع وصولاً الى الصراع بين الخير والشر، فكان النافع هو الإله، وكان الضار هو

=أسس تيلور للمذهب الحيوى عام ١٨٧٧ فى كتابه:

Tylor (E.B.), *Primitive Culture*, Harper, New York, 1958, vol. I, passim

وعن تطور الفكرة بعد تيلور راجع:

Gilmore (G.W.), *Animism or, Thought Currents of Primitive Peoples*, Boston Marshall Jones Company, Boston, 1919.

^١ - ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، ج ١، ص ١٠٦.

^٢ - تعرف هذه المعتقدات بالثنائية أو المثنوية **Dualism**. وهى نظرية تفترض وجود جوهرين أو عنصرين متميزين أساسيين لا يمكن اختزالهما. وهما فى علم المعرفة الفكرة والشئ موضع التفكير، وفى الميتافزيقا العقل والمادة، وفى علم الأخلاق الخير والشر، وفى الدين الخير أى الله، والشر أى الشيطان. وكان الفرس شديدي الإيمان بهذه العقيدة. عن الثنائية راجع :

Encyclopaedia Britannica, s.v. dualism

The Dictionary of the History of Ideas, maintained by : The Electronic Text Center at Univ. Of Virginia Library.

<http://etext.lib.virginia.edu/cgi-local/DHI/dhi.cgi?id=dv2-05>

Smith (H.G.), "Persian Dualism", A.J.Th., Vol. 8, No. 3 (Jul., 1904), pp. 487-501

الخصم، ثم تطورت الفكرة مرة أخرى، فقسم الإنسان القوى الكونية إلى قطبين متكافئين متصارعين، يمثلان عالم الخير وجنوده وعالم الشر وجنوده، أو عالم النور وعالم الظلام،^١ ثم جاءت الأديان الهادية لتوضح أن فى الكون إلهًا قادرًا، وشيطانًا ضعيفًا لا يقدر إلا على ضعفاء النفوس.^٢

الإله وخصمه فى أساطير العالم القديم

كانت أسطورة الصراع بين الإله والخصم أسطورة شائعة فى أساطير العالم القديم، ولم يكن الصراع بين زيوس وتيفون سوى حلقة ذات نكهة إغريقية فى سلسلة حضارية حول صراع الإله وخصمه، ظل فيها الإله النافع، النور - السماء - الشمس - الطقس - الربيع، يواجه خصمه، الذى فى العادة له صورة ثعبانية، أو له صلة بالثعابين، وينتهى الصراع فى العادة لصالح الإله النافع، الذى يثبت دعائم ملكه، ويؤكد استحقاقه للعبادة بوصفه الإله القوى المسيطر. وسوف يشرع الباحث فى

^١ - حول فكرة المثنوية ومفهوم الصراع بين النور والظلام، أو الخير والشر فى الديانة المانوية راجع:

محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلانى، دار المعرفة، بيروت، ج ١ ص ٢٤٤.

جفرى بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوى، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٧٣، ١٩٩٣، ص ١٢٩-١٣٠.

^٢ - عن تطور الصراع بين الضار والنافع، مرورًا بالصراع بين الخير والشر، وصولًا إلى الله والشيطان حتى المسيحية راجع:

Forsyth (N.), *The Old Enemy: Satan and the Combat Myth*, Princeton Univ. Press, New Jersey, 1987.p.5ff

Fontenrose (J.), *Python : A Study of Delphic Myth and Its Origins*, Biblio - Tannen New York 1974, p.121-274.

باسيليا شلينك، الملائكة والشياطين - العالم غير المنظور، ترجمة: عزت زكى، دار مشنات، ابيرشتات، المانيا الغربية، ١٩٨٦. ص ٨ وما بعدها.

عرض نماذج من الحضارات المختلفة؛ ليوضح أن أسطورة الصراع بين الإله وخصمه الثعباني كانت أسطورة أساسية في حضارات العالم المختلفة^١.

الهند

كريشنا^٢ Krishna وكاليا Kaliya

كان يوجد - ذات يوم - ثعبان ضخم، يدعى كاليا، في منطقة فرندافا Vrindava بالهند. يعيش في بحيرة من بحيرات نهر يامونا^٣ Yamuna. وكان ينفث سما زعافا، لا يبقى على شيء حي، لا نبات ولا حيوان، ولا حتى الطير في السماء حول البحيرة. كان الفرع يمتلك من سكان المكان، وذات يوم قرر كريشنا - وحده من بين الآلهة - أن يتصدى له، فتوجه إلى البحيرة، وتربص بالثعبان فوق الشجرة الوحيدة التي لم تمت، وكانت تسمى شجرة كادامبا Kadamba، وعند ظهور الثعبان في نهر يامونا، قفز كريشنا ودخل في صراع معه، قاصدا أن يخرج

^١ - سوف يسعى الباحث في الفصل الثالث إلى تفسير سبب تكرار وتشابه أساطير الصراع في أكثر من حضارة والتأصيل لها، بناءً على هذه النماذج المتعددة لأسطورة الصراع بين الإله وخصمه الثعباني؛ ومن ثم فإنه من الضروري التذليل بأكبر عدد ممكن من نماذج أساطير الصراع. وسوف يتبع الباحث في ترتيب الأساطير التالية التوزيع الجغرافي لموقع كل حضارة، وليس الترتيب التاريخي، حيث وجد الباحث تضاربا في ترتيب الحضارات تاريخيا، خاصة الحضارات المتزامنة، هذا بالإضافة إلى أن قدم الحضارة لا يعد دليلا على قدم الأسطورة. وتجدر الإشارة إلى أن الترتيب سيبدأ من الشرق إلى الغرب. وسوف يكون الترتيب من الشمال إلى الجنوب في حال وقوع حضارتين في حزمة واحدة أو مقاربة من خطوط الطول.

^٢ - هو التجسيد الثامن للإله فيشنو، وهو من أكثر الآلهة شعبية لدى أهل الهند، اسمه يعنى حرفيا الأسود أو الداكن.

إمام عبد الفتاح، معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ج ٢، ص ٢٨٠.

^٣ - نهر يامونا في الهند، وتعتبره الأساطير تجسيدا لبنت الشمس، ويعتبر المكان الذي يمثل نقطة التقاء نهر يامونا ونهر الجانج مكانا مقدسا يقصده الحجاج.

صلاح قنصوة وآخرون، قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠٠٤،

من النهر، وبالفعل تغلب كريشنا عليه وقهره، وحاز كريشنا مكانته العالية بين الآلهة، ونال امتنان البشر، الذين تقربوا إليه بالقرابين^١ (شكل ١١).

فارس

أهورامزدا Ahura Mazda وأهرمان Ahriman

كان إله النور والخير أهورامزدا أول الموجودات، الذى فكر فى ذاته متسائلاً: "لو كان لى منازع كيف يكون؟"، وبمجرد أن طرأت هذه الفكرة على خاطره، وجد هذا المنازع فعلاً، فظهر الظلام -بعد أن كانت الدنيا دائماً الضياء- نتيجة مجئ إله الشر أهرمان إلى الوجود. قام إله الخير بخلق الملائكة والبشر؛ ليساعده ضد غريمه، وقام أهرمان بخلق كل الكائنات الشريرة، وعلى رأسها التنين أزهي دهاكا Azhi Dahaka، الذى أشاع الخراب والدمار فى العالم، وكان أهرمان نفسه يأخذ شكل الأفعى، ويظل إله الخير وأعوانه فى صراع مع إله الشر وأتباعه بصورة أبدية دائمة.^٢

بلاد الرافدين

سومر: إنانا Inanna - كور Kur

بعد أن تم تنظيم الكون السومرى، وبعد فترة ليست طويلة من فصل السماء عن الأرض، اندفع من باطن الأرض تتين العالم السفلى كور، الإله المطلق لعالم الموت والظلام، فى محاولة لمد نفوذه على بقية العالم، وإرجاع الحياة إلى جماد،

^١ - Vogel (J.Ph.), *Indian Serpent - Lore of the Nagas in Hindu Legend and Art: Or, The Nāgas in Hindu Legend and Art*, Asian Educational Service, New Delhi, India, 1995, p.87-90

^٢ - محمد الجوهري، علم الفولكلور، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ج٢، ٤٠٨

على سامى النشار، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، ج١،

ص ١٩٠.

The Bundahishn "Creation", or Knowledge from the Zand, Translated by: E. W. West, from Sacred Books of the East, Oxford University Press, 1897. vol: 5, ch:3, p.5f

والحركة إلى سكون، والنور إلى ظلمات، ولكن الإلهة الشابة إنانا^١، التي وطدت سلطاتها حديثاً، تصدت له وأعادته إلى عالمه.^٢

بابل: ماردوخ^٣ Mardukh – تيامات^٤ Tiamat

تحكى الإنوما إيليش^٥ Enuma Elish أن الآلهة عندما وجدوا أنفسهم مهددين من الأم تيامات، تتين البحر والظلام، لجأوا إلى ماردوخ، أحدث الآلهة فى

^١ - إحدى أهم الإلهات فى المجمع الإلهى السومرى. كانت مساوية لعشتار عند الأكاديين، وكانت إنانا تسمى أحياناً إينين، ووالدها كان إنليل. تروى الأساطير السومرية عنها أنها قضت على عدد من عشاقها الذكور، وكان دموزى أكثر عشاقها شهرة، وكانت منوطة بالحرب والحب والخصب، ونظر السومريون إليها بوصفها إلهة أم.

إمام عبد الفناح إمام، سبق ذكره، ج-٢، ص ١٨٧.

^٢ - فراس السواح، مغامرة العقل الأول، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦، ص ٢١٥.

Kramer (S.N.), *Sumerian Mythology*, Philadelphia, 1944, p.82f.

^٣ - الإله الحارس لمدينة بابل، بعد حربه مع تيامات نظم الكون، وخلق الإنسان، ونظم التقويم وحركة القمر، وأصبح الإله القوى للشعب البابلى الذى استطاع أن يمد أطراف الدولة البابلية فى عهد حمورابى إلى أقصى حدود عالم الشرق القديم. ويذكر العهد القديم: "قولوا أخذت بابل.. انسحق ماردوخ..". (سفر أرميا ٢: ٥٠)

إمام عبد الفتاح، سبق ذكره، ج-٢، ص ٣٨٢

^٤ - هى التتين ووحش المحيط والفوضى فى أساطير بلاد ما بين النهرين، تروى الأساطير أنها كانت تستعد لمهاجمة أنو والآلهة السماوية، بعد أن أعطت القوى السحرية لزوجها الثانى كينجو، وأتمنته على أقراص القدر، وربما أطلق اسمها فى الفترات القديمة على منطقة تهامة الموجودة حالياً فى المملكة العربية السعودية.

صلاح قنصوة، سبق ذكره، ص ١٩١

^٥ - الاسم الأكادى لملحمة الخلق مأخوذ من كلمات افتتاحيتها " عندما فى الأعلى لم يكن هناك سماء.. وفى الأسفل لم يكن هناك أرض.. "، وتعود هذه الملحمة إلى عصر الدولة البابلية الأولى، وكان يراد بها تمجيد ماردوخ.

سبتينو موسكاتى، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الرق،

بيروت، ١٩٨٦، ص ٨٣.

المجمع، وإله الدولة الجديدة، الذى حاول أن يستفيد من الموقف ليتجاوز سلطة مجلس السبع مقررة المصائر الخالقة، والخمسين العظام. وعندما أصبح سيدا أوحده، دخل المعركة، وشق تيامت، كما تشق الصدفه نصفين، وثبت نصفا لأعلى جاعلا منه سقفا، هو السماء، ونصفا لأسفل خالقا منه بساط الأرض، وبعد انتصاره أظهرت له الآلهة العرفان بالجميل.^١

مملكة الحيثيين

إله الطقس^٢ - إيلويانكاس^٣ Illuyankas

لقد نالت الهزيمة من إله الطقس فى صراعه أمام التتين إيلويانكاس، فسأل الآلهة الآخرين العون، فساعدته الإلهة إناراس^٤ Inaras ومعها رجل من البشر يدعى هوباسياس Hupasiyas، كانت قد وعدته بحبها، وأعدت للتتين مأدبة تتضمن النبيذ، فشرب حتى ثمل، فشد البشرى وثاقه فى الحال، على حين يعود رب الطقس ويقتل التتين. وفى رواية أخرى سرق التتين من إله الطقس قلبه وعينه؛ ليعوقه عن

^١ - أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من الأدب السامى، دار النهار، بيروت، ١٩٧٩، ص ٩٢-١٠٦.

^٢ - لم يتم تحديد اسم إله الطقس فى النص الحيثى، مع الأخذ فى الاعتبار وجود أكثر من إله حيثى للطقس. عن آلهة الطقس الحيثية راجع:

أ.د. جرنى، *الحيثيون*، ترجمة: محمد عبد القادر محمد، مراجعة: فيصل الوائلى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٦٧ وما بعدها.

^٣ - لم تذكر الألواح الحيثية شيئا عن نسب هذا التتين، أو علاقته بالآلهة الحيثية، أو سبب الصراع بينه وبين إله الطقس، حيث يبدأ النص بانتصار التتين على إله الطقس.

^٤ - إلهة فى ديانة الحيثيين اقتصر ذكرها على أسطورة ذبح التتين، حيث ضاجعت واحدا من البشر فى مقابل أن يساعدها فى خداع التتين، وبعد القضاء على التتين وهبت للبشرى منزلا، وأمرته ألا ينظر من نافذته، ولا يزور زوجته وأولاده، وعندما عصاها قضت عليه.

إمام عبد الفتاح، سبق ذكره، ج-٢، ص ١٨٩.

الحركة، واستطاع إله الطقس، الذى زوج ابنه من ابنة التتين ليعاونه، أن يسترد قلبه وعينيه، ويعيد الكرة على التتين ويقضى عليه^١ (شكل ١٢).

أوجاريت^٢

بعل^٣ Baal - لوتان Lotan وعناة^٤ Anath ضد التتين

دخل بعل فى معارك حسمها لصالحه، قضى على الحية الشريرة لوتان (شكل ١٣)، وأعقبها بمعركة أخرى قضى فيها على الحية القاسية شاليات Shaliat ذات الرؤوس السبعة، كذلك محقت عناة -حبيبة بعل- عدوها يم^٥ Yam، وقتلت

^١ - صمويل نوح، *أساطير العالم القديم*، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٢٦-١٢٧
Goetze (C.H.), in *Ancient Near Eastern Texts*, edited by J.B. Pritchard, Princeton, 1955, p.125ff

^٢ - مملكة عظيمة كانت شمالى سورية فى الفترات المتأخرة من عصر البرونز. تم الكشف فى موقعها عن مجموعة كبيرة من الألواح تحتوى على نصوص مهمة، أهمها الأبجدية الأوجاريتية، الآن تقع محلها مدينة رأس شمرا على بعد عشرة أميال من اللاذقية فى سوريا.

O.C.D, s.v. Ugarit

^٣ - الإله الرئيسى للفينيقيين والكنعانيين واسمه يعنى السيد والرب، وقد امتدت عبادته إلى معظم بلاد الشرق السامى، وكان إله القمم والصواعق والخصوبة. ويصور على شكل محارب يرتدى خوذة، ويمسك فى يده صاعقة.

صلاح قنصوة، سبق ذكره، ص ١٤٣

^٤ - إلهة حرب عند الفينيقيين، وتدعى إلهة السماء، وأم جميع الآلهة، وأحيانا أخرى عذراء وشقيقة الإله بعل، وإن كان البعض يرى أنها تقول له أخى على سبيل التودد، وقد ظهر اسمها فى أسفار العهد القديم بوصفها إلهة كنعانية تأثر بها اليهود، وتظهر أحيانا فى الأساطير وقد دمرت كل أعداء بعل، كما تربطها ببعل علاقة جنسية، تظهر فيها الإلهة ذات طبيعة شهوانية.

إمام عبد الفتاح، سبق ذكره، ج-١، ص ٨٤-٨٥

^٥ - إله البحر والأنهار والبحيرات والينابيع عند الفينيقيين، وتذكر الألواح الأوجاريتية أن إيل-أعلى الآلهة فى المجمع- رفع من شأنه، وذات يوم أخبرته رسل الآلهة أنه سوف يتسلم بعل، الذى سيكون خادمه، إلا أن بعل رفض واشتبك مع يم فى قتال، وبمساعدة الإله كوتار إله الحدادة، الذى أمدّه بقطعتين من الأسلحة، قضى بعل على يم. ويصوره الفن فى هيئة إنسان له ذيل سمكة.

Encyclopaedia Britannica, s.v. Yamm

التنين، وسحقت الحية الملتوية. وتروى الأساطير أيضا أن بعل دخل فى صراع مع موت^١ Mot انتهى بانتصار موت، إلا أن عناة انتصرت على موت منتقمة لبعل.^٢

العهد القديم: يهوه - وحش الخواء

لقد تأثر النص التوراتى بالرواية الأوجاريتية وغيرها من الحضارات الوثنية المحيطة، حتى أنه احتفظ باسم الخصم الأوجاريتى أى الحية لوتان^٣.

"فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُعَاقِبُ الرَّبُّ بِسَيْفِهِ الْقَاسِي الْعَظِيمِ الشَّدِيدِ لُويَاثَانَ الْحَيَّةَ

الْهَارِبَةَ، لُويَاثَانَ الْحَيَّةَ الْمَلْتَوِيَّةَ، وَيَقْتُلُ التَّنِينَ الَّذِي فِي الْبَحْرِ."^٤

" ٣ اشْقَقْتَ الْبَحْرَ بِقُدْرَتِكَ، وَكَسَرْتَ رُؤُوسَ التَّنَانِينَ عَلَى الْمِيَاهِ. ٤ أَنْتَ رَضَضْتَ

رُؤُوسَ لُويَاثَانَ وَجَعَلْتَهُ مَأْكَلًا لِحَيَاتَانِ الْبَحْرِ."^٥

" ٩ اسْتَفِيقِي يَا زِرَاعَ الرَّبِّ، اسْتَفِيقِي وَالْبَسِي الْجَبْرُوتَ اسْتَفِيقِي كَمَا فِي الْقَدِيمِ،

كَمَا فِي غَابِرِ الْأَجْيَالِ. أَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ رَهَبَ طَعْنَتِ التَّنِينَ طَعْنًا. ١٠ وَجَفَّتْ مِيَاهُ

الْبَحْرِ، مِيَاهُ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، فَجَعَلْتَ أَعْمَاقَهُ طَرِيقًا لِيَعْبُرَ فِيهِ الْمُفْتَدُونَ."^٦

^١ - إله فينيقي كان أحد أبناء إيل، ارتبط بالموت والجذب وكل قوى الحياة السالبة، وكان العدو البارز لبعل. كان موت يقضى على بعل كل عام، وتأتى عناة لتقضى على موت كل عام.
Encyclopaedia Britannica, s.v. Mot

^٢ - جرنى، سبق ذكره، ص ٢١٧-٢٢٠

Ginsberg (H.L.), "Did Anath fight the dragon?", BASOR, 1941, 84, 12-14
Dexter (M.), *Whence the Goddesses*, Teachers College Press, New York, 1990, p.9-10

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه بـ (*Whence the Goddesses*)

^٣ - عن التشابه بين نصوص رأس شمرا وما ورد فى العهد القديم راجع:

ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادى شعيرة، مراجعة: طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٢٤ وما بعدها.

^٤ - إشعيا، ٢٧

^٥ - مزامير، ٧٤

^٦ - إشعيا، ٥١: ٩-١٠

مصر

رع^١ - أبوفيس (أبيب)^٢

منذ اللحظة التي غادر فيها رع، إله الشمس، الأرض إلى السماء، ضببطت حياته نحو الثبات، ففي أثناء الإثنتى عشرة ساعة لضوء النهار كان يركب قاربه من الشرق إلى الغرب عبر مملكته، متجنباً أن يتعرض لهجوم عدوه الأبدى أبوفيس، الثعبان الرهيب الذي عاش في أعماق النيل السماوى، وكان أبوفيس ينجح فى التهام القارب الشمسى أثناء الكسوف الكلى، ولكن رع يعود وينتصر عليه، ويلقى به فى الجحيم، وكما كان يهزم باستمرار يعود ويولد باستمرار، ولذا صار غير قابل للفناء، وكونَ عنصراً ثابتاً فى نظام الكون^٣ (شكل ١٤).

حورس - ست

عندما لم يستطع ست، عدو أوزيريس اللدود وعدو حورس ابن أوزيريس، أن يقترب من الدلتا فى صورته الحقيقية، فقد تحول إلى ثعبان ضخم، وتسلل إلى

^١ - إله الشمس عند قدماء المصريين، وكان يرأس التاسوع العظيم فى هليوبوليس، وقد اقترن بآلهة عديدة، وتروى الأساطير أنه خلق نفسه من المياه أو من زهرة اللوتس، وكان يصور فى أشكال عدة مثل الخنفساء والصقر أو على صورة انسان له رأس صقر موضوع على رأسه قرص الشمس.

جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، مراجعة: سيد توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٧٠.

^٢ - ثعبان عملاق، كان يهدد نظام الكون بأن يهاجم سفينة الشمس كل صباح ومساءً، ومثلَّ الخطر الذى أجبر قوى التوازن على أن تعيد تثبيت نفسها يومياً. وقد أدى استمرار إدماج عدة أنظمة لاهوتية إلى القول أخيراً بأن أبوفيس هو الإله ست.

جورج بوزنر، سبق ذكره، ص ٨.

Budge, *op.cit.*, p.561ff.

Frankfort (H.), *Ancient Egyptian Religion*, Columbia Univ. Press, New York, 1977, p.132.

الدلتا وهاجم حورس وهو على هذه الهيئة، فقضى حورس عليه، وكان حورس- وقتئذ- لا يزال طفلاً، لم يبلغ حد الفطام بعد.^١

اسكندنافيا

أودين^٢ Odin وثعبان العالم الأوسط^٣ Midgard

أنجب لوكي Loki - إله النار المخادع الشرير - ثعبانا ضخما وساماً، تسبب في إثارة الفوضى في الكون، لكن الإله الخير، كبير الآلهة أودين، ألقى به في البحر بعد صراع رهيب، حيث تسببت حركة جسد لوكي في حدوث العواصف، وأخذ ينمو حتى أصبح يحيط الأرض بأسرها، وقد عض ذيله من الجهة الأخرى^٤. يستتبط الباحث- مما سبق- أن الأسطورة الإغريقية لم تكن متفردة في أحداثها، ولا بدعا في مضمونها، وأن موضوع الصراع بين الإله وخصمه موجود في بديهة الإنسان^٥؛ ومن ثم فإن السعى خلف وجود تأثير لأسطورة صراع على

^١ - Clark (R.T.), *Myth and Symbol in Ancient Egypt*, Thames and Hundson, London, 1978, p.186f.

^٢ - كبير الآلهة، وخالق الكون والإنسان، وإله الحكمة والحرب والفن والثقافة والموتى في الأساطير الإسكندنافية. تأتي الآلهة إليه ليطلبوا نصحه. ويصور بعين واحدة، ولديه رمح وحصان - له ثمانية أرجل - ويقف على كتفيه غرابان، اللذان ينقلان له الأخبار. وأودين لا يأكل، ولكن يكتفى بشرب النبيذ.

صلاح قنصوة، سبق ذكره، ص ١٠١

^٣ - عالم الناس في الأساطير الإسكندنافية، وهو العالم الأوسط بين عالم الآلهة ومقر العمالقة المجمدين. و صنع هذا الطريق الاوسط من جسد العملاق يميز Ymir، الذي تشكل المحيط من دمه، والجبال من عظامه، والمنحدرات الصخرية من أسنانه، والأشجار والنباتات من شعره، أما جمجمته فقد صنعت منها قبة السماء، التي يمسكها أربعة من الأقزام.

إمام عبد الفتاح، سبق ذكره، ج٢، ص ٤٢٠

^٤ - آدموند فولر، موسوعة الأساطير، الميثولوجيا اليونانية - الرومانية - الاسكندنافية، ترجمة: حنا عبود، الأهالي، دمشق، ١٩٩٧، ص ١٨٤.

^٥ - عن مزيد من صور الصراع بين الإله وعدوه ثعباني الهيئة راجع:

أخرى أمر يحتاج إلى الحرص والتدقيق. ويخرج الباحث كذلك بأن الأقدمين كانوا يميلون بصفة عامة- إلى تصوير خصم الإله في هيئة ثعبانية، كما تجدر الإشارة إلى أن قصص الصراع بين الإله وخصمه تنتمي في معظمها إلى عصر الفوضى؛ أى قبل أن تثبت السلطات الدينية وتستقر المجامع الإلهية.

تفسير الأسطورة

كان التشابه بين أحداث الأسطورة الإغريقية والأسطورة الحيثية محركا لبارنت^١ Barnett وجيتربوك^٢ Guterbock و واتكينز^٣ Watkins، الذين رجحوا أن هناك أصولا حيثية لرواية الأسطورة عند هسيودوس Hesiodos (حوالي ٧٠٠ ق.م.)، ويرى روز Rose أن للأسطورة أصولا أناضولية^٤، وأن الإغريق أضفوا عليها الطابع الإغريقي لجعلها محلية. ويسير بركيرت^٥ Burkert في نفس

=James (E.O.), *Myth and Ritual in the Ancient Near East; an archeological and Documentary Study*, Praeger, New York, 1958 , p.178-211

Fontenrose, *op.cit*, p. 121-274.

Dexter, *Whence the Goddesses*, p.9-14

١ - Barnett (R.D.), " *The Epic of Kumarbi and the Theogony of Hesiod*", JHS, 1945, LXV, p.100f

٢ - Güterbock (H.G.), " *The Hittite Version of the Hurrian Kumarbi Myth : Oriental Forerunners of Hesiod*" AJA, 1948, 52, 123-134

٣ - Watkins (C), *How to Kill a Dragon: Aspects of Indo-European Poetics*, Oxford Univ. press, 1995, 448-459

٤ - يعني هذا أن روز يتفق في الرأي مع بارنت وجيتربوك؛ إذ أن الحيثيين كانوا يقطنون الأناضول.

٥ - Rorse, *A Handbook of Greek Mythology*, Methuen & Co LTD, 1958 , p. 59

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه اختصارا بـ (H.G.M.) المقصود بالطابع الإغريقي أن الإغريق وضعوا بصمتهم على الأسطورة، فغيروا في الأسماء، وزادوا على الأحداث، ونقلوها إلى أرضهم.

٦ - Burkert, *Oriental and Greek Mythology: The Meeting of Parallels*,

المنحى، حيث يرى أن أسطورة الصراع بين زيوس وتيفون وقعت تحت تأثير الأسطورة الحيثية، على وجه الخصوص رواية أبوللودوروس *Ἀπολλόδωρος* (حوالي القرن الثاني ق.م.)، معتمدا على أن الإله الحيثي كان إلها للطقس، مساويا إياه بزيوس، وأن الخصم له صورة ثعبانية مساويا إياه بتيفون، وأن الأسطورة الحيثية دارت في أماكن قريبة أو مشابهة، إذا ما افترضنا -كما يرى بركيرت- أن أسطورة إلوليانكاس قد تداخلت مع نص أسطوري آخر، هو الليكومي *Ullikummi*، وفي أسطورة كل من تيفون واللويانكاس لحقت الهزيمة بالإله في البداية، وقد فقد جزء حيويا من جسده، حيث فقد الإله الإغريقى أوتار ساعده، و فقد الإله الحيثي قلبه وعينه، ثم عاد كل منهما وانتصر على خصمه بعد أن استرد بخدعة ما فقد. من ثم فقد رأى بركيرت أن تيفون يمثل إله الرياح، وأن زيوس فى هذه الأسطورة هو إله الطقس، ويتفق معه فى ذلك روز^١، وجريفز^٢ Graves.

كان بركيرت موفقا فيما عقده من مقارنة بين الأسطورة الإغريقية ونظيرتها الحيثية، ويتفق الباحث معه فى ترجيح وجود تأثير حيثي على الأسطورة الإغريقية، إذ أن العناصر المشتركة بين أحداث الأسطورة وأماكنها وشخصها تؤيد ذلك، ولكن يختلف الباحث فى رأى مع بركيرت ومن سبقوه فى تفسيرهم لشخصية تيفون على أنه كان إلها للرياح، اعتمادا على الأسطورة الحيثية وإشارة لهسيودوس يوضح فيها أن تيفون هو مصدر الرياح^٣. إن ما يأخذه الباحث على هذا الرأى أنه اعتبر أن

=Routledge, London, 1990, p.19-21

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصارا بـ (O.G.M.)

Rose, H.G.M., p.60

Graves (R.), *The Greek Myths*, Pinguin Books, New York, 1984, vol:1, p. 135

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصارا بـ (G.M.)

Hes., Th., 869.

الإغريق أخذوا الأسطورة على علتها، ولم يعط مساحة لاحتمال أن الإغريق أعادوا توظيف الأسطورة.

لا غرو أن هناك تشابها واضحا فى الخطوط العريضة بين الأسطورتين، كما أنه لا شك أن هناك اختلافات جوهرية فى التفاصيل من الصعب غض الطرف عنها، هذه الاختلافات من شأنها أن تحيد بالبحث عما وصل إليه بركيرت ومن سبقوه أو سايروه. تختلف صورة تيفون المسخية عن اللويانكاس، الذى لم يتعد كونه شعبانا ضخما، كذلك تختلف الأسطورة الإغريقية عن الحيثية فى بعض التفاصيل التى زادها الإغريق فى سمات تيفون الشخصية، وتصرفاته الهمجية، ونهايته المأساوية؛ مما يدفع الباحث للقول أن الإغريق - وإن كانوا قد تأثروا بالأسطورة الحيثية - فإنهم خرجوا عن طور النقل والاقتباس إلى طور التبديل والتعديل وإعادة التوظيف، وأن تيفون لم يكن إلها للرياح مثل اللويانكاس، وإنما كان بركانا ضاريا، أتى على الأخضر واليابس، وخلع قلوب الإغريق من هول مشهده، يجسده على أرض الواقع بركان جبل ايتنا Etna^١، وذلك ما سيحاول الباحث توضيحه من خلال

^١ - هو بركان نشط يقع على الساحل الشرقى لجزيرة صقلية، بالقرب من ميسينا Messina وكاتانيا Catania، ويعد جبل ايتنا أنشط براكين أوروبا قاطبة، يبلغ ارتفاعه ٣٣٥٠م (حوالى ١٠٩٩١ قدم)، ويغطى مساحة تبلغ حوالى ١١٩٠ كم^٢ وقطر قاعدته ٤٠ كم. يسمى باللاتينية أيضا ايتنا Aetna ويطلق عليه أحيانا مونجيبيللو Mongibello - ربما جاء هذا الاسم من الجذر اللاتينى mont- والذى يعنى جبل وكلمة جبل العربية. أما اسمه اليونانى Αἴτνην فربما اشتق من الجذر -αἶθ- ومعناه يحرق. بدأ النشاط البركانى لايتنا منذ مليون عام تقريبا، وقد بدأ ظهور البركان تحت الماء فى حوض مائى ضحل من البحر الإيوني فى العصر القديم، ولم يبرز فوق سطح الماء إلا فى منتصف العصر الجليدى منذ حوالى ٥٠٠٠٠٠ عام مضت. وقد تكونت القاعدة العريضة، التى يرتفع عليها الجبل، من الحمم التى تدفقت فى ذلك الوقت، ثم بدأ تكوين البركان تدريجيا من تجمع الحمم، وطبقات الرماد، والجمرات الخامدة، حتى اتخذ شكله المخروطى البالغ الارتفاع. وبركان ايتنا من نوع البراكين الطبقيّة، وله فوهة ضخمة مركزية، ونظرا لارتفاعه الشاهق وضخامته فقد اتخذت الحمم البركانية منافذ ثانوية تتدفق منها، إلى جانب فوهته المركزية، ويقدر عدد الفوهات الثانوية حوالى ٢٠٠ فوهة، يصل ارتفاع بعضها إلى ما يقرب من ٣٠٠٠

تحليل معطيات الأسطورة ومقارنتها بما ثبت عن البراكين وما يصاحبها من مظاهر.

" أنجبت جايا العملاقة الطفل تيفويوس من تارتاروس " ^١.

أى أن ابن الجحيم خرج من بطن الأرض، وهو ما يمكن تفسيره بأنه الصهارة أو الصهير magma ^٢ المخزون فى باطن الأرض، والذي يخرج مندفعاً بقوة شديدة من أضعف جزء فى القشرة الأرضية، حيث يسمى بعد خروجه بالحمم أو الطفوح البركانية lava. ويبدو هذا المشهد وكأن الأرض قد لفظت ما فى أحشائها، والذي لا يمكن أن ينسب إلا للجحيم ^٣.

"...من كتفيه كان (يخرج) مائة رأس شعبان... " ^٤.

=قدم، وقد تسبب بركان ايتنا فى تدمير العديد من المدن، وقتل الآلاف من البشر؛ نتيجة لانفجاراته المتعددة، والأمر الغريب أنه بالرغم من الدمار الرهيب الذى يسببه بركان ايتنا، فقد تمسك الصقليون بالإقامة بجبلهم، وسرعان ما يعود الفلاحون الصقليون إلى جبل ايتنا بعد كل كارثة، ليزرعوا المنحدرات السفلية الخصبة؛ لأنهم يعرفون جيداً أن التربة البركانية التى خلفها البركان قد أصبحت بالغة الخصوبة.

Encyclopaedia Britannica, s.v.Etna

Hes.,Th.,821

- ١

" τέκε παῖδα Τυφωέα Γαῖα πελώρη
Ταρτάρου"

^٢ - تشمل البركة بمعناها الواسع كل العمليات التى تندفع بواسطتها المواد الصلبة أو السائلة أو الغازات من الباطن نحو القشرة، أو خروجها على السطح، والمادة التى تندفع من البركان، وهى الصهير، عبارة عن magma التى تصل حرارتها إلى ١٣٠٠ درجة مئوية.

محمد سامى عسل، *الجغرافيا الطبيعية*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤، ج١، ص١٩٩.

^٣ - عن أسباب تكون البراكين وطريقة خروجها أنظر:

Rittmann (A.), *Volcanoes and Their Activity*, translated by: Vincent (E.A.),
John Wiley & Sons, New York, 1962, p.112ff.

Hes., Th.,824-825

- ٤

"ἐκ δέ οἱ ὤμων
ἦν ἑκατὸν κεφαλαὶ ὄφιος.. "

أنظر أيضاً:

يتكون البركان من القصبه أو العنق neck وهو تجويف أسطوانى يخترق القشرة الأرضية، فيصل بين معين المواد المصهورة و سطح الأرض^١، وهو ما يمكن وصفه بأنه عنق تيفون. وتأتى الفوهة crater بعد القصبه وهى الفتحة العليا التى تنبعث منها الغازات والحمم^٢، ويرى الباحث أن الفوهة تشكل -على الأرجح- مع ما يصدر عنها رأس تيفون، إذ أن المواد التى تندفع من الفوهة تظهر فيما يشبه المخروط المقلوب، وهو ما يتناسب مع وصف أبوللودوروس لرأس تيفون بأنها رأس حمار. يتكون حول القصبه والفوهة الجبل المخروطى cone الذى يتكون من المواد المصهورة حول القصبه، وقد يحوى الجبل المخروطى مخاريط جانبية صغيرة قرب الفوهة، وهى جبال بركانية صغيرة تعرف بالفوهات المتطفلة adventive crater، وأشهر مثال لها يوجد فى بركان ايتنا^٣، وهذه المخاريط الجانبية -من وجهة نظر الباحث- تمثل كتفى تيفون. وتنبعث من الفوهات -سواء كانت رئيسية أو متطفلة- كميات عظيمة من الغازات البركانية volcanic gases التى تشتمل على أبخرة وثانى أكسيد الكربون وثانى أكسيد الكبريت وحمض الهيدروكلوريك^٤، ويرى الباحث أن هذه الغازات، والأبخرة المتصاعدة من البركان بصورة ملتوية متعرجة صاعدة إلى أعلى نحو السماء، تبدو عن بعد وكأنها ثعابين تخرج من كتفى تيفون.

"... كانت النار تومض فى عينيه".^٥

=Pi., P., 1.16

Aesch., Pr, 353

Apd., 1.39.9f

^١ - حسن صادق، الجيولوجيا، مكتبة النصر، القاهرة، ١٩٢٩، ص ١٣١

^٢ - Rittmann, op.cit., p.127ff

^٣ - محمد سامى عسل، سبق ذكره، ص ٢٠٤

^٤ - Rittmann, op.cit., p.62ff

^٥ - Apd., 1.40.5

"...πῦρ δὲ ἐδέρκετο τοῖς ὄμμασι."

يرجح الباحث أن هذه النار، التي تومض في عيني تيفون، هي الحمم البركانية الملتهبة، التي تخرج بقوة مندفعة من فوهة البركان، فتطلق بعض النطع الملتهبة التي تعرف باللابيللي lapilli لأعلى ولمسافات بعيدة^١.

"..يلقى بصخور حمراء (متوهجة) نحو السماء نفسها...".^٢

يعبر هذا الوصف عن الكتل الصخرية البركانية الصلبة volcanic rocks، التي يقذفها البركان، والتي لم تتصهر بل ظلت متوهجة، أو تجمدت عند السطح^٣.

" كان لديه حيات سامة هائلة ملتفة (تتدلى) من فخذه ".^٤

يمثل هذا الوصف-من وجهة نظر الباحث- صورة مجازية للحمم البركانية، التي تسيل من فوهة البركان على السطح في مجار غير منتظمة، غير أنها سرعان ما تبرد بتعرضها للجو، فتستحيل عجينة ثقيلة تتباطأ في سيلها كلما بعدت عن الفوهة حتى تقف نهائياً، وعندما تتوقف تبدو عن بعد متعرجة متداخلة وقد تدلت من جسد البركان^٥.

=أنظر أيضا:

Hes., Th., 827f
Aesch., Pr., 356

^١ - محمد سامي عسل، سبق ذكره، ص ٢٠٠

Apd., 1.40.6f

- ٢

" ἡμμένας βάλλων
πέτρας ἐπ' αὐτὸν τὸν οὐρανὸν ..."

^٣ - تتحول كتل الصخر البركاني المتوهجة إلى حجر البازلت بعد انتهاء البركان. عن الصخور البركانية راجع:

Rittmann, op.cit., p.92ff

Apd., 1.40.1f

- ٤

" τὰ δὲ ἀπὸ μηρῶν σπείρας εἶχεν
ὑπερμεγέθεις ἐχιδνῶν, "

^٥ - عن وصف حالة الحمم بعد خروجها من البركان أنظر:

حسن صادق، سبق ذكره، ص ١٣٣

" كانت الظفرات النارية المدهشة تحرق الأرض العملاقة في أنحاء عدة، و(التي) ذابت كما (يذوب) القصدير المحمى عليه بمهارة على يد (العمال) المفعمين بالحيوية في قنوات القوالب جيدة التوصيل. "١. "و" كان يُخرج من فمه رياحا من اللهيب شديدة "٢. "و" كل الأرض والسماء والبحر كانوا يغلون "٣.

إن الحمم البركانية المنصهرة، التي تتساقط على الأرض بدرجة حرارة شديدة الارتفاع، وقد ذابت فيها العديد من المواد المنصهرة، وما يصاحبها من غازات وأبخرة ساخنة - تتراوح حرارتها بين ٥٠٠ درجة مئوية و ١٠٠ درجة مئوية - يؤدون مجتمعين إلى ارتفاع في درجات حرارة الجو المحيط، مما جعل الإغريق يظنون أن الأرض والسماء والبحر كانوا يغلون، وأن تيفون يخرج من فمه رياحا من اللهيب.

"..كان جبل الأوليمبوس الضخم يتزلزل.. "٦.

Hes., Th., 861-4

" ..πολλή δὲ πελώρη καίετο γαῖα
αὐτμῇ θεσπεσίῃ, καὶ ἐτήκετο κασσίτερος ὥς
τέχνη ὑπ' αἰζηῶν ἐν ἐντρήτοις χοάνοισι
θαλφθεῖς, "

Apd., 1.40.8f

" πολλήν δὲ ἐκ τοῦ στόματος πυρὸς ἐξέ-
βρασσε ζάλην. "

Hes., Th., 847

" ἔζεε δὲ χθὼν πᾶσα καὶ οὐρανὸς ἡδὲ θάλασσα. "

٤ - حسن صادق، سبق ذكره، ص ١٣٤

٥ - ذكر البحر هنا ذو مغزى، لأن جبل ايتنا يقع على الساحل الشرقي لجزيرة صقلية، وفي عام ١٣٨١م. وصلت الحمم إلى البحر.

Encyclopaedia Britannica, s.v. Etna

Hes., Th., 842

" ..μέγας πελεμίζετ' Ὀλυμπος.. "

- ١

- ٢

- ٣

- ٦

تصاحب الثورات البركانية اهتزازات عنيفة مزلزلة في القشرة الأرضية، ناتجة عن تحرك الكتل في باطن الأرض، ثم ترتعش الأرض في لحظة اندفاع الكتل الصخرية المتوهجة^١.

"..كان ينطق (بأصوات) من كل نوع لا توصف"^٢.

يصدر عن الثورات البركانية أصوات قعقات وفرقعات قوية تسمع عن بعد، ينتج معظمها عن تفاعل المواد المنصهرة مع الأبخرة والغازات داخل أعماق عنق البركان، مما يكون فقعات تأخذ في الانتفاخ، وعند انفجار هذه الفقعات تحدث دويًا شديدًا، تتطاير بعده المقذوفات البركانية volcanic bombs^٣.

"على الرغم من أن (تيفون) قد احترق فأصبح رماداً بصاعقة زيوس"^٤.

تتحول المواد الملتهبة التي لم يكتمل احتراقها ولم تنصهر إلى رماد، حيث تتفجر بعض الكتل البركانية تحت قوة الضغط، وينتشر رمادها في كافة الأرجاء لمسافات بعيدة بفعل الرياح، أو يترسب حول المخروط، وهذا الرماد يكون على شكل ذرات صلبة ذات كثافة ولا تذوب في الماء^٥.

يمكن القول أنه عندما تنتهي الثورة البركانية، ونتيجة للغازات والأبخرة الشديدة المتصاعدة من البركان، تتساقط سيول من الأمطار الغزيرة، التي تصاحبها

^١ - Rittmann, op. cit., p. 158f

محمد سامي عسل، سبق ذكره، ص ٢٠٠

^٢ - Hes., Th., 830

"..παντοίην ὅπ' ἰεῖσαι ἁθέσφατον."

^٣ - Rittmann, op. cit., p. 52, 213

^٤ - Aesch., Pr., 372

"καίπερ κεραυνῷ Ζηνὸς ἠνθρακωμένος."

Hes., Th., 853ff

Apd., 1.44.1ff

^٥ - عن الرماد البركاني أنظر:

حسن صابق، سبق ذكره، ص ١٣٣

Rittmann, op. cit., p. 14f

بطبيعة الحال رعود وبروق^١؛ ولأن زيوس هو إله الطقس، المسئول عن الأمطار والصواعق، فقد كان نزول المطر المصاحب لانتهاة البركان، والذي يهدئ من تأجج اللظى، ويصفى السماء من الأبخرة، والغازات، والدخان المتصاعد، إيذانا بانتصار زيوس على تيفون، فيصبح زيوس-في نظر الإغريق- انتصر على تيفون بالصواعق.

سالت دماء تيفون على جبل هايمون $A\tilde{\mu}\omega\nu$ ، فاصطبغ باللون الأحمر، ومن هنا أخذ اسمه.^٢ ويفسر الباحث هذه العبارة باحتمال إحتواء الجبل على كمية كبيرة من أكسيد الحديد Fe_2O_3 ، مما جعل لونه يميل إلى الحمرة، وهو ما يعرف بحجر الدم.^٣

وقد أدى البركان إلى خصوبة الأرض المحيطة بجبل ايتنا في صقلية^٤، ومن المعروف عن التربة البركانية أنها شديدة الخصوبة، لاحتوائها على املاح معدنية

^١ - عن الظروف الطقسية وتغير حالة الجو الناتجة عن البراكين، وهطول أمطار رعدية راجع: Rittmann, op.cit., p.51

^٢ - Apd., 1.44.3-4

^٣ - حجر الدم، أو الهيماتيت Haematite، أو أكسيد الحديد. يتبلور في أشكال سداسية، ويتشقق في قشور سداسية أيضا. صلابته ٦ وثقله النوعي ٥,٢، لونه أسود شبه الحديد أو أحمر قاتم. مخدشه أحمر فاقع كلون الدم. يوجد في الطبيعة إما متبلورا وإما غير متبلور وهو الأغلب. ويوجد في أحيانا على حالة مسحوق دقيق ينتشر في الصخور، فيكسبها اللون الأحمر، فيرجع لون الأحجار الرملية الحمراء والعقيق الأحمر - وغيرها من المعادن ذات اللون الأحمر - إلى وجود هذا المعدن فيها بكميات قليلة.

Encyclopaedia Britannica, s.v.Hematite

حسن صادق، سبق ذكره، ص ٢٩

وعله من نافلة القول توضيح أن اسم جبل هايمون اشتق من كلمة $\alpha\tilde{\mu}\alpha$ والتي تعنى دم، وكذلك اشتق اسم حجر الدم أو الهيماتيت لأن لونه لون الدم.

^٤ - Encyclopaedia Britannica, s.v.Etna

عديدة، وقد وصف أيسخيلوس Aἰσχύλος (حوالى ٥٢٥-٤٥٦ ق.م.) حقول صقلية المحيطة بايتنا أنها ذات ثمار وفيرة ناضجة ἡ καλλικάρπος^١. كان ظهور تيفون أمرا مروعا، إنه كارثة بكل المقاييس، لقد دمر على ما يبدو كل شئ. ويبدو أن زيوس - فى البداية- قد خذل عبّاده، فلم ينزل مطرا، ولم يطلق صواعق، ولم يسمع له هزيم، فظن رعاياه أن تيفون شل حركته، ونزع أوتار ساعده، وأقام عليه حراسة منيعة. وربما كان فرار الآلهة إلى مصر خوفا من تيفون، حيث اتخذوا أشكالا حيوانية^٢، يسجل تحركا من قبل بعض السكان، هربا من الكارثة إلى مصر، حيث تعرفوا هناك على آلهة المصريين المشابهة لآلهتهم، فظنوا أن آلهتهم فروا مثلهم إلى مصر واتخذوا أشكالا حيوانية؛ ذلك أن الآلهة اليونانية ناسوتية الشكل، بينما كانت الآلهة المصرية تحتفظ فى صورتها ببعض البقايا الحيوانية، التى تحمل ذكرى للأصول الطوطمية^٣ للعبادات المصرية القديمة. يرجح الباحث- إجمالا لما سبق- أن أسطورة تيفون تسجل صدمة الغزاة المتحدثين باليونانية واندھاشهم عندما شاهدوا البركان^٤، إذ ربما أنهم كانوا يرون

١ - Aesch., Pr., 369

٢ - هناك رواية تتحدث عن هروب الآلهة إلى مصر خوفا من تيفون - باستثناء زيوس وأثينا، حيث تخفوا فى صور حيوانات.

Ant.Lib., 28.2.2ff

Apd., I.41.1

٣ - هى كلمة تنتمى إلى قبائل الأجيوا الهندية بشمال أمريكا. كانت تطلق على الحيوان الذى تنحدر منه العشيرة، ويعتبر لحم هذا الحيوان محرما على أفراد العشيرة. ويرى الباحثون - وعلى رأسهم فريزر- أن الطوطمية كانت أقدم الديانات البشرية، وقد صارت كلمة الطوطم عند الأنثروبولوجيين تطلق على الإله ذى الشكل الحيوانى.

صلاح قنصوة، سبق ذكره، ص ٣٥٥ وما بعدها.

٤ - لابد من الإشارة إلى أنه على الرغم من أن جزيرة صقلية - فى الوقت الحالى - تتحدث الإيطالية، إلا أن الإغريق قد عرفوا طريقهم إليها منذ زمن بعيد، فقد ساعد عدم وجود عوائق جبلية - فى جنوب إيطاليا وصقلية - الإغريق على الإبحار إليها.

بركانا للمرة الأولى، وأن شخصية تيفون كانت فى أصلها تصوير لإحدى الثورات البركانية، التى أصبح تعددها يُرمز إليه بتحريك تيفون أسفل الجبل. ويحمل اسم تيفون نفسه دلالة واضحة على ارتباطه بالوافدين من الإغريق، ذلك أنه اشتق من الجذر -τυφ- والذى يحمل معنى انبعاث الدخان أو الاحتراق ببطء^١، مما يوحى بأن الاسم صدى لتوصيف الحالة، كما يرجح الباحث أن الإغريق إما كانوا على علم بالأسطورة الحيثية وغيروا فى تفاصيلها لتناسب الحدث المراد تسجيله، وهو البركان، أو أن الإغريق عرفوا الأسطورة الحيثية بعد أن صاغوا أسطورتهم ثم اقتبسوا من الأسطورة الحيثية بعض الأحداث، أو أن هناك تداخلا تم بين الأسطورتين متأثرا بثقافة التخوم.

كان جبل ايتنا، وظل، وما زال حتى يومنا هذا، مصدرا للثورات البركانية (ملحق ٢)، ويبدو من مظهره المربعة أنه كان يؤدى إلى كارثة فى كل مرة يخرج فيها من فوهة جبل ايتنا^٢ (شكل ١٥).

=سيد أحمد على الناصرى، الإغريق، تاريخهم وحضارتهم، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١، ص ١٤١ وما بعدها.

^١ - من الكلمات التى استخدمت الجذر -τυφ- الفعل τυφω (يدخن، يحترق ببطء)، والاسم τυφος (دخان، بخار). ويمكن الأطلاع على كلمات أخرى من نفس الجذر فى قاموس:

L.S.J., s.v. τυφ-

^٢ - يبدو أن أيسخيلوس وبنداروس قد شاهدا بركان عام ٤٧٩ ق.م، حيث أشار كل منهما إلى بركان ايتنا، فتحدث أيسخيلوس عن الدمار الذى يصيب الأراضى الزراعية المحيطة بالجبل، ووصف بنداروس المظاهر الطبيعية لثورة البركان.

Aesch., Pr., 368f

Pi., P., 1.19ff

Hogan (J.C.), *A Commentary on The Complete Greek Tragedies: Aeschylus*, Univ. of Chicago Press, Chicago and London, 1993, p.287.

الصراع بين أبوللون 'Απόλλων وبيثون Πύθων

تمدنا الأساطير الإغريقية بصورة أخرى من صور الصراع بين الإله وخصمه الشعباني. كان عنصرا الصراع- هذه المرة - هما الإله أبوللون وتتين ضخم فتاك.^١ شرع أبوللون في البحث عن مكان يقيم عليه معبده، تجول في دغل بارناسوس^٢ Παρνασσός الموحش، حيث مكن التتين بيثون^٢، حامى معبد الإلهة جايا، ورأى التتين أبوللون، وقفز نحوه ولكن أبوللون أطلق سهمها فمزق الوحش وأصابه بالأم قاسية، جعلته يرقد مرتعدا، وأخذ يتلوى في الرمال ويندفع في الغابة، ويتكور في الأرض مرة هنا ومرة هناك، حتى جاءت اللحظة الحاسمة فأطلق زفرة

^١ - دغل في إقليم بيوتيا عند خليج كورنثة، بالقرب من دلفي، كان مقدسا لأبوللون.

O.C.D, s.v. Parnassus

^٢ - استخدم بعض الكتاب الإغريق اسم دلفيني Δελφύνη للإشارة إلى الحية الضخمة عدو أبوللون.

Hom.H.Ap.,356ff, Sch.A.R.,2.706

أو المذكر منه Δελφύνης.

Sch.A.R.2.706

كان هناك أيضا خلط في تحديد جنسها، ذكر أم أنثى.

راجع: عبد المعطى شعراوي، أساطير إغريقية، جـ ٣، ص ٣٥٨، ملحوظة ٢٥.

Kerényi (C.), *The Gods of The Greeks*, Thames and Hudson, London,1982, p.136

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه اختصارا بـ (G.G.)

تختلف الروايات الأسطورية كذلك في سبب الصراع بين أبوللون وبيثون، فبالإضافة لمهاجمة بيثون لأبوللون وهو يبحث عن مكان يقيم عليه معبده، هناك رواية مؤداها أن الحية الضخمة بيثون كانت تهدد منطقة دلفي بأكملها وأن أبوللون - الذي لم يزل طفلا عندئذ - خلص المكان من شرورها، أو أن بيثون كانت تهاجم ليتو - والدة أبوللون - لتمنعها من ولادته، فانتقم منها بعد ولادته.

عبد المعطى شعراوي، سبق ذكره، جـ ٣، ص ٣٥٦.

Kerényi, G.G, p.135f

Rose, H.G.M., p.136f.

سامة، ولفظ حياته وسط سيل من الدماء، ودفع أبوللون ضحيته باحتقار، بعد أن ضربه بقدمه، ولعنه بأن يتعفن في هذا المكان^١. (شكل ١٦)

تفسير الأسطورة

لا تختلف أسطورة الصراع بين أبوللون وبيثون كثيرا في المضمون عن أسطورة الصراع بين زيوس وتيفون، فتعبر كلتاها عن صراع بين إله وخصمه. كانت نهاية الصراع لصالح الإله. وكان نتيجة لهذا الصراع أن توطد حكم الإله وعلا شأنه. ويمكن تلخيص سبب الصراع في الأسطورتين أنه إما صراع على المكانة أو المكان، حيث تنتمي الأسطورتان إلى أساطير تنظيم الكون، التي عادة ما تسبق مرحلة استقرار المجمع الإلهي لمجتمع ما^٢.

اهتم فونتروز Fontnerose بهذه الأسطورة أيما اهتمام، وخصص لها عملا كاملا هو *Python : A Study of Delphic Myth and Its Origins*.^٣ اعتمد فونتروز في تفسيره للأسطورة على مقارنتها بأساطير أخرى معظمها شرقية، وخرج بنتيجة مفادها أن الصراع بين أبوللون والتتين بيثون هو صراع بين إله النور الذي نظم الكون، والظلام الذي أدى إلى الفوضى، وأن هذا الصراع يعد توطيدا لدعائم عبادة إله جديد على حساب عبادة كانت تقدم للإلهة قديمة، ويرى في الأسطورة صدى لأساطير شرقية، وأصلا للعديد من الأساطير الإغريقية.

— ١ —

Hom., H. Ap., 356-374

Call, Hym. IV. 91

Paus. 10.6.5.

^٢ - عن التعامل مع أسطورتى زيوس وتيفون، وأبوللون وبيثون، على أنهما أساطير تنظيم الكون راجع:

Dowden (K.), *The Uses of Greek Mythology*, Routledge, London, 1992, p.96

Fontenrose, *op. cit.*

— ٣ —

يوضح كذلك كل من هاريسون^١ Harrison وروز^٢ وديكستر^٣ Dexter أن قتل أبوللون للتنتين بيثون هو إحلال لعبادة جديدة، تخص إلها ذا شكل ناسوتي، وهو ما يمثل تحركا من قبل عشائر جديدة، أحضروا معهم إلهم. يميل الباحث إلى الاعتقاد أن أبوللون إله وافد، وأن أسطورة الصراع هنا تسجل إحلال عبادة جديدة محل أخرى قديمة، حيث تحمل الأسطورة تاريخا لنضال الوافدين الجدد، الذين أتوا إلى دلفي عن طريق البحر^٤، فوجدوا مكانا للوحى مقدسا للإلهة أرضية قديمة، تمثلها فى الأسطورة جايا أو ثيميس^٥ Θέμις، توحى فيه

^١ - Harrison, *Themis: Study of the Social Origins of Greek Religion*, Cambridge Univ. Press, 1912, p.436

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصارا بـ *Themis*

^٢ - Rose, H.G.M., p.136f

^٣ - Dexter, *Whence the Goddesses*, p.111

^٤ - هناك رواية تحكى أن أبوللون- كى يتدبر أمر من يقومون على خدمة معبده الجديد- اتخذ صورة دولفين، وقفز على سفينة بحارة كريتيين، الذين ظلوا- بين خوف ودهشة- ينظرون إلى السفينة وهى تغير وجهتها، قاطعة مسافة كبيرة، وليس لهم عليها سلطان، حيث رست فى النهاية على شاطئ كريسا Κρίσσα، وعندما استعاد أبوللون صورته الناسوتية، عاملهم بلطف وكشف لهم عن حقيقته الإلهية، وأخبرهم أنهم لن يعودوا إلى ذويهم، وأنهم سوف يبقون ليعدموا فى معبده، وأمرهم أن يقيموا له محرابا عند شاطئ البحر، وبشرهم بأنهم سوف يلقون التكريم لشرف نقلهم مشورته إلى قاصدى معبده، ثم طلب منهم أن يعبدوه تحت لقب دلفينوس Δελφίνος، ذلك أنهم رأوه أول ما رأوه فى هيئة دولفين.

Hom. H.Ap., 493ff

عبد المعطى شعراوى، سبق ذكره، ج-٣، ص ٣٥٩ وما بعدها.

يرى الباحث أن الجزء الخاص بالبحارة الذين صاروا كهنة للإله أبوللون يضىء بعض القدسية على استيطان هؤلاء الوافدين، ذلك أنهم أتوا بإرادة إلهية. ويرجح أنهم ربما يكونون قد تحركوا من البداية بناء على نبوءة وعدتهم بأرض جديدة شريطة أن يقيموا معبدا لإلهم.

^٥ - ابنة أورانوس وجايا، كانت رمزا للقانون والنظام والعدالة، كانت تعتبر أحيانا ربة النبوءة، تزوجها زيوس وأجلسها بجواره على العرش كى يستفيد من مشورتها.

O.C.D., s.v. Themis

بنبوءاتها، وتقوم عليه كاهنة أنثى، وكان الحيوان المقدس ورمز الإلهة فى هذا المكان هو الثعبان^١. وعندما استطاع الوافدون أن ينتصروا على السكان الأصليين، كرسوا الوحي لإلههم الذكر السماوى الوافد أبوللون^٢، ونسبوا انتصارهم إليه، وزعموا أنه انتصر على إلهة المحليين^٣، ليخلدوا بذلك ذكرى هذا الانتصار.

خلف انتصار أبوللون على بيثون احتفالاً دينياً يسمى عيد التتويج *Στεπτήρια*، كان يقام كل ثمانية أعوام، حيث يتم اختيار شاب قوى بهى الطلعة، كى يمثل الإله أبوللون، ويذهب مصحوباً بمجموعة من الشباب ويشعل النار فى كوخ خشبى، يرمز إلى مكنى بيثون. وقبل أن ينتهى الإحتفال يحجون إلى وادى تيمبى^٤ *Τέμπη*، ويمارسون طقوس التطهر مثلما فعل أبوللون من قبل،

= عن علاقة كل من جايا وثيمس بوحى دلفى، وافترض توارث الوحي من جايا إلى ثيمس، ثم إلى أبوللون، راجع:

Sourvinou-Inwood, " *Myth as History: The Previous Owners of The Delphic Oracle* ", in *Interpretations of Greek Mythology*, ed: Bremmer (J.), Routledge, London, 1990, p. 215-235

^١ - عن عبادة الثعبان من قبل السكان الأصليين راجع الفصل الثالث.

^٢ - عن الأصول الأجنبية لأبوللون بوصفه إلهاً وافداً على بلاد الإغريق راجع:

Rose, A.G.R., p.57

Murray (G.), *Five Stages of Greek Religion*, Watts & Co., London, 1935, p.71f

Guthrie (W.K.C.), *The Greeks and Their Gods*, Methuen and Co. LTD, London, 1962, p.74f

^٣ - عندما كان يشتبك شعبان أو قبيلتان فى قتال كان كل فريق يحضر معه إلهه الحامى إلى أرض المعركة، وكان الفريق المنتصر يعزى نصره إلى مساندة إلهه له، ويعتبر أن إلهه انتصر على إله خصومه، ومن هنا نشأت بعض أساطير الصراع بين إلهين أو أكثر. عن هذه الفكرة راجع: روبرتسن سميث، سبق ذكره، ص ٣٨.

^٤ - يقع شمال شرق تيساليا بين جبل أوليمبوس فى الشمال وأوسا فى الجنوب، طول هذا السوادى يصل إلى ١٠ كيلومترات ويصل عرضه فى أضيق المناطق إلى ٢٥ متراً، ينتهى بمنحدر بارتفاع ٥٠٠ متراً، وينحدر منه نهر بينيوس قاطعاً طريقه إلى بحر إيجه.

O.C.D., s.v. Tempe

ويعودون إلى دلفى حاملين إكليلا مقدسا^١.

يمكن القول أن عيد التتويج هو احتفال طقسى دورى يسجل فيه الوافدون انتصارهم لإلههم، يتخلله تمثيل حركى لأحداث الأسطورة، حيث يوضحون بهذا التمثيل كيف قضى أبوللون ومن معه على مكانة الإلهة القديمة، وكيف استولوا على مكانها، وأقاموا عبادتهم الجديدة، وربما يكون طقس التطهر من قتل بيثون أساسا لارتباط أبوللون بالتطهر من القتل، تلك الفكرة التى وضحها أيسخيلوس من خلال أحداث مسرحية الصافحات *Eumenides*^٢.

يلعب مجموعة من الشباب - دون غيرهم - دور العبّاد المصاحبين للإله فى ظل الإحتفال العام على مرأى ومسمع من الجميع، ويمكن القول أن هؤلاء الشباب كانوا يقومون بطقس ترشيح القبول^٣ initiation rite ؛ إذ يبدو أنهم كانوا من المراهقين، الذين يتحتم عليهم أن يخرجوا لمكان بعيد عن البلدة، فيما يشبه طقس

^١ - Plut., Quaest. Graec. 293c; de defect. Orac. 418a

Farnell (L.R.), *Cults of Greek States*, Aegaeon Press, Chicago, 1971, vol: IV, p. 293

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه اختصارا بـ (C.G.S.)
Sourvinou-Inwood, "The Myth of the First Temples at Delphi", C.Q, Vol. 29, No. 2 (1979), pp. 231-251

^٢ - Farnell, C.G.S., vol. IV, p. 295-306

^٣ - توجد تسميات مختلفة لهذا الطقس، أكثرها انتشارا هى المساررة، إلا أن الباحث يميل إلى تسمية هذا الطقس بطقس التلقين للقبول؛ ذلك لأن هذا الطقس يؤديه الفرد - خاصة المراهقون - من أجل قبولهم فى عبادة ما، أو قبولهم كأفراد بالغين فى مجتمع الكبار، والتسمية الإنجليزية لطقس القبول مشتقة من الكلمة اللاتينية initium التى تعنى بداية أو مدخل، ويعتبر هذا الطقس نوعا من أنواع طقوس العبور rites of passage، والتى تتم رغبة فى الانتقال من مرحلة إلى أخرى أو عبورها؛ لتغيير حالة الفرد الاجتماعية أو الجنسية.

عن طقوس العبور وخاصة طقس ترشيح القبول راجع:

Van Gennep (A.), *The Rites of Passage*, translated by: Monika B. Vizedom and Gabrielle L. Caffee, Routledge & Kegan Paul, London, 1960, p. 65-8, 84-8, et passim.

حج، ثم يعودون ويقضون على خوفهم ويودعون طفولتهم بالقضاء على نموذج محاكى لبيثون.

مقارنة بين أسطورة تيفون وأسطورة بيثون

عندما يلقي المرء نظرة مقارنة بين صراع زيوس- تيفون وصراع أبوللون- بيثون يلاحظ أنه لم يكن للبشر فى الصراع الأول دور يذكر، على النقيض من صراع أبوللون- بيثون، وربما يعال ذلك سببان، يمكن فهم أولهما من الترتيب الأزمنى لأحداث الأساطير؛ ذلك أن صراع زيوس- تيفون حدث قبل خلق البشر، أما السبب الثانى فمبنى على تفسير الباحث لأحداث الصراع، حيث أنه لم يكن للبشر أى دور يمكن تسجيله، فصراع زيوس- تيفون هو صراع بين مظاهر الطبيعة، التى لا دخل للبشر فيها، ولا قوى لهم بها، هذا بالإضافة لخلو ساحة الصراع من العنصر البشرى نتيجة للدمار الذى سببه تيفون أو ثورة بركان ايتنا.

تؤيد أيضا المقارنة بين أسطورة تيفون وأسطورة بيثون ما طرحه الباحث من تفسير لأسطورة تيفون، حيث لم يكن لأسطورة تيفون جذور دينية، ولم ينتج عنها طقس كما حدث فى أسطورة أبوللون- بيثون؛ ذلك أنها ليست أسطورة قضاء إله جديد على إله قديم، أو تأسيس لعبادة، ولكنها أسطورة سيطرة إله، هو زيوس، على مظهر من مظاهر الطبيعة المضطربة، يجسده تيفون.

ربط الإغريق بين بيثون وتيفون، حيث خلطت الأناشيد الهومرية^١ بينها وبين إخذنا زوجة تيفون^٢ تحت اسم دلفينى.^٣ وكانت إخذنا ثعبانية الشكل كما يدل على ذلك اسمها^٤.

^١ Hom.H.Ap.,356ff

^٢ - كانت زوجة تيفون وأما للعديد من المسوخ مثل: هيدرا وكيربيروس. وكان نصفها الأعلى لامرأة والأسفل لثعبان.

^٣ O.C.D. s.v. *Echidna*

Fontenrose, *op.cit.*, p.14,96f et passim

أنظر أيضا من هذا الفصل ص ٤٦، ملحوظة ٢ .

^٤ - كلمة إخذنا كانت تعنى ثعبانا ساما، أنظر الفصل الأول ص ٣.

الثعبان والآلهة القديمة

تجدر الإشارة هنا إلى الأساطير الأخرى، المماثلة لأسطورة بيثون، التي تحمل صدى لانتصار آلهة حديثة على أخرى قديمة، حيث كانت الآلهة القديمة في هذه الأساطير تأخذ الهيئة الثعبانية، فنجد كرونوس يهزم الثعبان أوفيون $Ophi\omega\nu$ ؛ زوج يورينومي $Eury\eta\nu\acute{o}\mu\eta$ ويقصيهما عن عرش الأوليمبوس^١، ويبدو من اسم أوفيون الذي يعنى ثعبانا^٢ وكذلك اسم إخيدينا أنها كانت مجرد ألقاب لآلهة قديمة، وقد استمد الإغريق هذه الألقاب من أشكال هذه الآلهة الثعبانية. انتصرت كذلك آلهة الأوليمبوس على العمالقة في حرب ضروس عرفت بحرب العمالقة $Γιγαντομαχία$ ^٣، والتي ظهر فيها بعض العمالقة وقد استبدلت أرجلهم بثعابين (شكل ١٧) ، فيصفهم أبوللودوروس قائلا:

"...لكن كانت قوائمهم (أرجلهم) بها حراشف ثعابين."^٤

وكما يتضح من أسطورة أوفيون وأسطورة حرب العمالقة كيف تم تصعيد آلهة على حساب أخرى، مما يدل على وجود تغير في التركيبة السكانية، وأن هناك وافدين جددًا أحضروا معهم آلهتهم الجديدة، التي استولت على مقام العبادة، بعد طرد آلهة السكان السابقين^٥.

(ب) الثعبان في مواجهة البطل

نشأت فكرة الصراع بين البطل وخصمه غير الآدمي من البحث عن التميز، إذ يجب أن يقوم البطل بعمل خارق، لا يسهل أن يقوم به البسطاء من الناس، وكان من

A.R.,I.503

^٢ - عن المرادفات التي تشير للثعبان أنظر الفصل الأول ص ٣.

Apd.1.34-38

Diod. Sic. 4.15.1ff

Apd.1.34.6

"...εἶχον δὲ τὰς βάσεις φολίδας δρακόντων."

^٥ - عن تغير التركيبة السكانية وظهور آلهة جديدة، أنظر الفصل الأول ص ١٥-١٩.

وعن وجهة نظر الأنثروبولوجيين في انتصار إله على آخر، أنظر هذا الفصل ص ٤٩، ملحوظة ٣.

غير المقبول أن يكون البطل فى كل تصرفاته أهل شر، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يظهر البطل بوصفه مبعوث العناية الإلهية، والمخلص للبشر من الكائنات التى تتهدد حياتهم، أو هو ذلك الشخص الذى يقوم بأعمال جليلة لخدمة الغير، أو يقيم مجتمعا أو مدينة. فتتجسد صورة البطل فى هيراكليس، أو برسيسيوس، أو بيلايروفون Βελλεροφών، أو ثيسيسيوس Θησεύς، أو جلجامش^١ Gilgamesh، أو إنكىدو^٢ Enkidu، أو كل من قام بعمل خارق غير عادى وفوق قدرات البشر الطبيعيين.

الثعبان المستهدف والثعبان الحائل

يمكن القول أنه من الخطأ وضع كل الكائنات الثعبانية التى واجهت الأبطال فى سلة واحدة؛ ذلك أن منها ما كان مستهدفا من قبل البطل، ومنها ما كان حائلا للبطل دون هدفه. ويقصد الباحث بالثعبان المستهدف: ذلك الكائن الثعبانى الذى كان هدف البطل فى القتال، حيث يتحرك البطل، تملأه الهمة وتحرسه عين الآلهة، موجها كل طاقته للقضاء على الكائن الثعبانى، مما يجعل البطل يظهر فى صورة المخلص. ويقصد الباحث بالثعبان الحائل: ذلك الكائن الثعبانى الذى كان يعترض

^١ - كان جلجامش ملكا أسطوريا على أورك، يحتل المركز الخامس فى ترتيب الملوك السومريين، وحكم حوالى عام ٢٦٥٠ ق.م.، وقيل إنه كان ثلثى إله وثلث إنسان، واشتهر جلجامش بوصفه الشخصية المحورية للملحمة البطولية المعروفة بـ "ملحمة جلجامش".

عن شخصية جلجامش الأسطورية والتاريخية راجع:

محمد خليفة حسين، الأسطورة والتاريخ فى التراث الشرقى القديم، دراسة فى ملحمة جلجامش، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢٣-٢٩.

^٢ - رجل متوحش فى الأساطير السومرية، خلقته الآلهة ليحد من كبرياء جلجامش، ثم أصبح صديقين، وقاما بالعديد من الأعمال البطولية.

عن دور إنكىدو فى ملحمة جلجامش راجع:

ملحمة جلجامش، ترجمة: عبد الغفار مكاوى، مراجعة: عونى عبد الرؤوف، آفاق عالمية، العدد ٢٣، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٩٦ وفى أماكن أخرى متفرقة.

طريق البطل وهو يؤدي عملاً ما، وكان دور هذه الكائنات الثعبانية الحائلة - فى العادة - هو الحراسة، فكانت تسعى إلى الحؤول بين البطل وهدفه، وهى بذلك تقوم بوظيفتها أكثر من كونها تتحدى البطل؛ ومن ثم فإن قضاء البطل على مثل هذه الكائنات لا يمثل الغاية الكبرى، التى تحرك البطل من أجلها، ولكنها حدث عارض. ويفضل الباحث - بناء على ذلك - التعامل فى هذا الفصل مع أساطير الثعبان المستهدف، بوصفها مواجهات كبرى لإثبات الذات وإشهار البطولة، وسوف يرجئ التعامل مع أساطير الثعبان الحائل عندما يتناول الثعبان الحامى^١ وذلك تبعاً لمقتضيات البحث.

برسيوس و ميدوسا Μέδουσα و Περσεύς

ارتبطت إحدى مغامرات البطل برسيوس الخطيرة بميدوسا، كان عليه أن يقتلها لينقذ والدته دانائى Δανάη^٢ - ابنة أكريسيوس Ακρίσιος^٣ - من الملك بوليديكتيس^٣ Πολυδέκτης، الذى أرد أن يتزوجها ضد رغبتها. تحرك

^١ - عن الثعبان الحامى، أنظر الفصل الثالث مبحث (أ).

^٢ - ابنة الملك أكريسيوس ملك أرجوس من زوجته يوريديكى Εὐρυδίκη، وكانت على قدر عظيم من الجمال. جاءت النبوءة إلى أكريسيوس تقول إن ابنته ستجب ولدا يقتله، فحبسها فى حجرة من البرونز، غير أن زيوس زارها فى هيئة ندى ذهبى، وعاشرها فأنجبت برسيوس، ولما لم يصدق أكريسيوس أن زيوس والد الطفل، ألقاها وطفلها فى اليم، فعثر عليها صياد، يدعى ديكتيس Δίκτης، ولكن بعد ذلك بسنين وقع الملك بوليديكتيس فى غرام دانائى، ووجد أن برسيوس هو حجر العثرة فى طريقه، فأرسله ليحضر رأس ميدوسا.

O.C.D. s.v.Danae

^٣ - كان ابن ماجنيس Μάγνης من إحدى الحوريات. وكان يحكم سيريفوس Σέριφος، عندما وصلت إليها دانائى. انتهت حياته نهاية مأساوية، حيث تحول إلى حجر بفعل برسيوس.

Room (A.), *Room's Classical Dictionary, The Origins of the Names of Characters in Classical Mythology*, Routledge & Kegan Paul, London, 1983, p.256

برسيوس لقتل ميدوسا، التي كانت واحدة من ثلاث جورجونات^١ Γοργόνες، إلا أنها كانت الوحيدة الفانية، كانت بشعة المنظر، فرأسها طلعتها رؤوس الثعابين، وكان يبرز من جانبيها عند الجذع جناحان، كانت تحيل في الحال ما تنتظر إليه، أو ينظر إليها بشكل مباشر إلى حجر. اتجه برسيوس إليها بعد أن سلحته الآلهة، فأعطاه هيرميس حذاءه المجنح، وأعطته أثينا درعها، وأعطاه هاديس Aιδης خوذة الإخفاء، واستطاع أن يرصد تحرك ميدوسا عن طريق النظر على صفحة الدرع، وطار في الهواء، مستخدماً الحذاء، وبتر رأسها من فوق جسدها (شكل ١٨)، ووضعها في جعبة معينة Kιβισις، ثم أضطر بعد ذلك إلى استخدام رأس ميدوسا ضد مسخ البحر، الذي أرسله بوسيدون، حيث حولت ميدوسا المسخ البحري إلى حجر، بعد ذلك أهدى برسيوس رأس ميدوسا لأثينا، التي وضعتها على درعها.^٢

تفسير الأسطورة

ظل صدى أسطورة ميدوسا يتردد في الآداب العالمية على مر العصور، بما حظيت به من اهتمام أثاره شكلها المخيف الذي يكتنفه الغموض^٣. أرجعت

^١ - بنات فوركيس Φόρκυς وكيثو Κητώ ويدعون سثينو Σθενώ ويوريالى Εὐρυάλη وميدوسا، وكانت إقامتهن بالقرب من مملكة الأموات وحديقة الخالدين خلف جزر أوقيانوس، كما كان منظرهن بشعا ومخيفا.

O.C.D., s.v. Gergo/Medusa

Hes., Th., 270-282

Pi, O., 13.3

Apd., 2.38- 46

Paus., 2.21.5-6

— ٢

عبد المعطى شعراوى، سبق ذكره، جـ ٣، ص ١٧٢ وما بعدها.

^٣ - تتبع كل من جاربر Garber و فيكرز Vickers معظم ما كتب عن ميدوسا فى الأساطير والآداب منذ العصر اليونانى القديم حتى القرن العشرين، وقدماه فى شكل مقتطفات مختارة . Anthology

Garber (M.) and Vickers (N.J.), *The Medusa Reader*, Routledge, New York, 2003.

هاريسون^١ شكل ميدوسا إلى عبادة قديمة كانت مقدمة إلى الأقنعة، لم يبق لها الكثير من الآثار، كما قدم جريفز بعد هاريسون تفسيراً أكثر انتشاراً وقبولاً، حيث يرى جريفز أن أسطورة برسيوس مرتبطة بدخول الغزاة المتحدثين بالإغريقية إلى بلاد الإغريق وغزوهم لشمال أفريقيا-ليبيا - حيث قُضوا على سلطان إلهة القمر معبودة السكان الأصليين، التي تمثلها ميدوسا. ويرى جريفز أن وجه ميدوسا كان موجوداً قبل الأسطورة؛ أي أن هناك صورة تم تخيل أسطورة لها. وكانت هذه الصورة عبارة عن قناع تضعه الكاهنات كسلاح واق لإبعاد الفضوليين والمتطفلين من غير المنتسبين لشعائرهن، التي حرمن السكان الجدد من أدائها بحرية، وعند الانتقال إلى العصر الأبوي- مع سيادة ثقافة الوافدين- عبّرت أسطورة قتل برسيوس لميدوسا، تلك الأسطورة المبتكرة، عن قضاء العصر الأبوي على العصر الأمومي، ودخول الرجل معبد الإلهة^٢. وقد لاقى رأى جريفز قبولاً عند باربارا والكر Barbara Walker وآخرين^٣، كما طورت ديمترا جورج Demetra George فكرة جريفز، فافتترضت أن ميدوسا كانت الملكة الليبية والكاهنة الكبرى في مجتمع أمومي، وكانت تعبر عن الوجه الثالث الشاحب للقمر عند نهاية الشهر؛ مما يقدم تفسيراً للرواية التي تجعل من ميدوسا الجرجونة الوحيدة الفانية بين

^١ - Harrison, *Prolegomena*, p.187

^٢ - Graves, G. M., vol: I, p.244,

Idem, The White Goddess; a Historical Grammar of Poetic Myth, Octagon Books, New York, 1972 p.243-246

عند ذكر هذا المرجع مجدداً سوف يشار إليه اختصاراً بـ (W.G.)

^٣ - Walker (B.), *The Woman's Encyclopedia of Myths and Secrets*,

San Francisco: Harper & Row, 1983 p.349,p.629

Monaghan (P.), *The Book of Goddesses and Heroines*, Dutton, New York, 1981, p.120f

Alesha (M.), *The First Book of The Black Goddess: a Study and Reflection on The First Cause of The Black Maternal*, Matam Press , Tucson Arizona , 2004, p.29

Diner (H.), *Mothers and Amazons ; the first feminine history of culture*, Julian Press, New York, 1965. p.105-111

الرجونات الثلاث، حيث كانت إلهة القمر - كما توضح ديميترا - لها ثلاثة أوجه: الهلال أو القمر الجديد القوى وتعتبر عنه أثينا، والبدر أو القمر المكتمل ذو الحكمة والبصيرة وتعتبر عنه ميتيس^١ Μῆτις، والقمر فى المحاق المشرف على الإنقضاء وتعتبر عنه ميدوسا الملكة الفانية ذات القناع المخيف المكلل بالثعابين، والتي تقوم على حراسة أسرار الطقوس وحرمتها. وترى ديميترا أن برسيسوس دخل إلى أرض ليبيا مقر إلهة القمر، حوالى القرن الثالث عشر ق.م. وقضى على سلطان الإلهة، وعلى حين قضى على ميدوسا الملكة الكاهنة للأبد، تحولت أثينا - المناسبة للموكينيين بطبيعتها القتالية وصورتها المحاربة - إلى إلهة موكنية، وتم ضمها إلى المجمع الإلهى على الأوليمبوس، وظلت محتفظة بالقناع فى معبدها كدليل على انتهاء دور ميدوسا نهائيا، كما تحول دور ميتيس إلى معشوقة زيوس والمعينة له بحكمتها فى حروبه^٢.

ربما يؤيد رأى هاريسون وجريفز عن أسبقية القناع اهتمام الكتاب والفنانين الإغريق بفصل رأس ميدوسا عن جسدها، وظهورها فى الكثير من الأعمال الفنية رأس دون جسد، إلا أن الباحث يرجح - من خلال معطيات الأسطورة - أن ميدوسا كانت إلهة للشمس، وليست إلهة للقمر^٣، إذ أن تصور وتصوير شكل ميدوسا، الذى يظهر عادة فى صورة رأس فتاة مستدير تنبعث منه شعابين فى كل اتجاه، ربما كان يعبر عن قرص الشمس المشع؛ ومن ثم فليس هناك حاجة للجسد (شكل ١٩). ويرجح الباحث كذلك أن تزويد ميدوسا بأجنحة ربما يكون إشارة لتحليقها فى عنان

^١ - ابنة أوكيانوس Ωκεανός، وأولى زوجات زيوس. ابتلعها زيوس وهى حامل ليحول دون تحقيق ما قيل من أنها ستنجب ولدا أقوى من والده، فولدت أثينا من رأسه. كانت ميتيس رمز المشورة، وأعقل الآلهة والبشر.

Room, *op.cit.*, p.204.

^٢ - George (D.), *Mysteries of The Dark Moon: The Healing Power of The Dark Goddess*, Harper San Francisco, San Francisco, 1992, 153-172

^٣ - سوف يقدم الباحث تفسيراً أشمل لشخصية ميدوسا فى الفصل الثالث، يوضح من خلاله أن ميدوسا كانت واحدة من أقدم الإلهات فى البلقان.

السماء بوصفها الشمس، وإصطباغ أجنتها باللون الذهبي Πτέρυγας χρυσᾶς ومخالبها باللون النحاسي χεῖρας χαλκᾶς فيه تلميح للون الشمس. ويرى الباحث أن برسيوس-وهو يقوم بفصل رأس ميدوسا عن جسدها- لم يكن في حاجة للصندل المجنح، إلا إذا كان سيطير في الهواء قاصدا مكانا مرتفعا، ربما كان السماء. ولما كانت ميدوسا تحول ما ينظر إليها، أو ما تقع عليه عيناها إلى حجر^٢، فيعد ذلك- من وجهة نظر الباحث- دليل آخر على أن ميدوسا كانت ترمز للشمس؛ إذ أن إحدى المسلمات عن الشمس أنها تجفف الماء، والخبز، والثمار، والأسماك، واللحوم، والصلصال، والمخلوط الجيري المستخدم في عمل التماثيل؛ أي إنها تحول المواد المختلفة إلى الحالة الصلبة أو اليابسة، كما أن المرء لا يمكنه تثبيت نظره إلى الشمس. تروى الأساطير كذلك أن إله البحر بوسيدون أخذ ميدوسا بين أحضانها وطارحها الغرام^٣، ويمكن رؤية هذا المشهد في المدن الساحلية عند المغيب، حيث يلقف البحر الشمس في أحضانها الواسعة. ويعضد ما سبق استعانة برسيوس برأس ميدوسا ليقضى على وحش البحر، إذ يرتبط هذا الجزء بموروث أسطوري واسع الانتشار، يحكى عن تغلب إله الشمس في أساطير العالم القديم على إله البحر، مثل تغلب عناة على يم، ومردوخ على تيامات، ورع على أبيب^٤.

١ - Apd., 2.40.5

٢ - عبد المعطى شعراوى، سبق ذكره، ج-٢، ص ٦٦٢.

٣ - Graves, G. M., vol. I, p. 127.

٤ - نشأت هذه الفكرة من تجفيف الشمس لماء البحر الذى يغمر الأرض. ولما كانت الأرض هي مصدر المحاصيل، فكان مد البحر وغمر الأرض يمثل هجوما من قبل قوة غاشمة على قوت الإنسان، ومن ثم كان تجفيف أشعة الشمس للأرض مرة أخرى محركا لأسطورة الصراع بين إله الشمس النافع وعدوه إله البحر الضار، ودافعا لإعلاء عبادة الشمس.

فراس السواح، سبق ذكره، ص ١٢٣ وما بعدها.

تشير هاريسون إلى أن هناك عملا فنيا محيرا^١ يجمع بين أبوللون وميدوسا وكبش، وربما يزول الغموض عن هذا العمل الفني عندما نربط بين ميدوسا والشمس، فالرابط بين الشخصيات الثلاث ليس مرده لأسطورة تجمع بينهم، ولا علاقة دينية تربط بينهم، وإنما لارتباطهم جميعا بالشمس، فأبوللون إله شمس، والكبش مرتبط بالشمس^٢، وترتبط ميدوسا أيضا بالشمس، من وجهة نظر الباحث. يرجع الباحث ارتباط الثعابين بميدوسا إلى ارتباط الثعابين بالشمس، حيث أن ارتباط الثعابين بالشمس فكرة انتشرت في أماكن كثيرة من العالم القديم،^٣ ويمكن القول أن أقرب التصويرات لشكل رأس ميدوسا - المنبعث منه الثعابين - هو صورة قرص الشمس المجنح يعلوه ثعبانان في مصر القديمة، وكذلك الهالة المشعة التي توضع أعلى رؤوس القديسين في الأعمال الفنية، والتي استمدت من العبادات الشمسية القديمة^٤.

هيراكليس Ἡρακλῆς وهيدرا Ὑδρα 'ليرنا Λέρνη

اشتهر هيراكليس بكثرة مغامراته، وقدراته الخاصة، التي فاقت قدرات غيره من الأبطال، وكانت السمة الغالبة على مغامرات هيراكليس هي مواجهاته مع العديد من الكائنات المخيفة،^٥ مثل أسد نيميا Νεμέα، وطيور ستيمفالوس

^١ - Harrison, *Prolegomena*, P.193

^٢ - عن ارتباط الكبش بالشمس عند الإغريق وفي الحضارات الأخرى راجع: Cook (A.B.), *Zeus: A Study in Ancient Religion*, Cambridge, Univ. Press, 1940, vol: I.346-430

^٣ - عن علاقة الثعابين بالشمس راجع Oldham (C.F.), *The Sun and the Serpent*, London, 1905, passim
Wake (S.), *Serpent-Worship and Other Essays*, George Redway, London, 1888, p.97ff

^٤ - عن الرأي القائل بأن الهالة حول رأس القديسين موروثة عن الآلهة الشمسية القديمة.

راجع، ويل ديورانت، سبق ذكره، ج١، ص ١٠٣.

^٥ - عن الأعمال الخاصة بالحيوانات المتوحشة ومحاولة فهمها راجع:

Στύμφαλος ، والتيتاين، ولكن كانت مواجهاته مع الكائنات الثعبانية هي الغالبة على مغامراته. أرسلت هيرا إليه في مهده ثعبانين، وقد ذهب حين صار شابا لمواجهة هيدرا ليرنا ذات رؤوس الثعابين للقضاء عليها، كما قتل لادون Λάδων، الحية العملاقة حامية شجرة الهسبيريدات Εσπερίδες؛ وواجه كيربيروس Κέρβερος، كلب العالم السفلي، الذي تنبت الحيات من جسده^١.

كانت إحدى المواجهات الصعبة في مغامرات هيراكليس، هي القضاء على هيدرا ليرنا، ذلك المسخ الذي يعيش في مستنقعات ليرنا^٢، حيث أشاع الخراب والدمار في الجوار. إنه مسخ رهيب له تسعة رؤوس، ثمانية منها خالدة والرأس التاسع الأوسط هو الوحيد الفاني. اقترب هيراكليس من المستنقع ومعه إيولاوس Ιόλαος، ابن أخيه إيفيكليس Ιφικλής، وحتى يُخرج هيدرا من الماء أخذ بنصيحة أثينا، فألقى جذوة مشتعلة في المستنقع، ظهرت على إثرها هيدرا، وبدأت المواجهة. طفق هيراكليس جزا في الأعناق، إلا أنه كلما جز لها عنقا، نبت مكانه إثنان، وقد خرج في هذه الأثناء من المستنقع سرطان ضخم، أمسك بقدم هيراكليس ليعوقه عن قتل هيدرا، وما أن قضى هيراكليس على هذا السرطان، حتى جعل من خلفه إيولاوس يقوم بكى الرأس التي يقطعها هيراكليس، إلى أن وصل إلى الرأس الفاني، فقضى على هيدرا، وشق جسدها، وخلص المكان من شرورها^٣. (شكل ٢٠)

=Nilsson, *The Mycaenean Origin of Greek Mythology*, Berkeley, 1932, p187-220

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصارا بـ (M.O.G.M.)

^١ - سوف يأتي الحديث عن لادون وكيربيروس بالتفصيل في الفصل الأول من الباب الثاني.

^٢ - تقع بالقرب من الساحل الشرقي لشبه جزيرة البيلوبونيزوس، جنوبى أرجوس.

O.C.D., s.v. Lerna.

Hes., Th., 313ff

Apd., 2.77-80

Paus., 2.37.4, 5.17.11, 5.26.7, 3.18.10-16

Diod.Sic., 4.11.5

هيدرا أصل التنين الغربى

استخدم الأوربيون الجذر drac- أو drag- المشتق من الكلمة الإغريقية δράκων أو اللاتينية draco؛ ليشيروا إلى كائن أسطورى درجت تسميته باللغة العربية- فى وقتنا الحالى- بكلمة تنين. وكانت هيدرا ليرنا النموذج الأول للتنين الغربى^١. كانت المواجهة بين هيراكليس وهيدرا ليرنا، أو البطل والتنين، التى تنتهى بذبح التنين، الأسطورة الغربية الأولى فى مجموعة عالمية من الأساطير، عرفت فى العصر الحديث بأساطير قاتلى التنانين Dragons Slayrs. ضمت هذه الأساطير أسماء عديدة لأبطال وقديسين قتلوا تنانين، على رأسهم هيراكليس^٢.

^١- كان التنين الغربى يصور فى صورة ثعبان ضخمة، له جلد حرشفى، وله جناحا وطواط، وأربع أرجل قوية، اثنتان فى المقدمة، واثنتان فى الخلف. يمكنه أن يسير على أرجله الأربع، أو أن يجلس على أردافه وذيله ويستخدم أرجله الأمامية. وكان رأسه مخروطى، يشبه رأس التمساح. وكانت رقبته طويلة، ويشبه ذيله المعول أو الحربة، وقد يعلو رأسه أذنان أو قرنان. وتظهر هذه الصفات فيما عرفه الغرب من تنانين مثل: كوكاتريس Cockatrice، وهوسرمن Husormen، وفابردراكيس Firedrakes، وليندوورم Lindworm، وملوكوكى Mlokoky، وبيست Peist، وويفيرن Wyvern، كما عرف الكتاب المقدس العديد من التنانين، التى ورد ذكرها فى العديد من الآيات.

عن أصل وتطور فكرة التنانين، من هيدرا إلى العصور الوسطى راجع:

Scott Stokes (H.F.), *Perseus, or of Dragons*, E.P.Dutton & Company, New York, 1925.

The Dragon Bestiary

<http://bestiarium.net/select.html>

^٢- من أمثال هؤلاء الأبطال هايمو Haymo من النمسا، ودوبرينجا Dobrynja الروسى، ومن القديسين جورج George، وكليمنت Clement ومايكل Michael وباتريك Patrick، والقديسة مارجريت Margaret من أنطاكية، والقديس ماجنوس Magnus من سويسرا، ومن الملوك كان الملك آرثر Arthur. عن أساطير هؤلاء الأبطال والقديسين راجع:

Ingersoll (E.), *Dragons and Dragon Lore*, Payson & Clarke Ltd., New York, 1928.

The Circle of the Dragon

<http://www.blackdrago.com/slayers.htm>

تفسير الأسطورة^١

يرى كيرينى^٢ kerenyi فى هيدرا أنها حارسة مستنقع ليرنا، بوصفه المدخل إلى العالم السفلى، ومن ثم كان على هيراكليس قتلها لاجتيازها حتى يصل للعالم السفلى.

قارن بركيرت^٣ بين هذه الأسطورة وأساطير الشرق الأدنى، ليخرج بنتيجة مفادها أن أسطورة قضاء هيراكليس على هيدرا لها أصول شرقية، حيث كان ظهور الحية ذات الرؤوس المتعددة أسبق فى الشرق، وقد ربط بين الأسطورة وبعض

=وعن أسطورة الملك آرثر والتين راجع:

Malory (T.), *The Birth Life and Acts of King Arthur. Illustrations by Aubrey Beardsley*, London: J.M. Dent, 1893-1894, XIV, vi

^١- يرى بعض العلماء، أمثال نيلسون وروز، أنه من الصعب طرح كل الروايات والآراء حول هيراكليس وأساطيره، حيث تحتاج إلى أكثر من دراسة؛ ذلك لما تمتعت به شخصية هيراكليس منذ القدم من شعبية، وما حظت به من اهتمام، وكذلك لتعدد الروايات عنه وعن أعماله الكثيرة والمتنوعة.

Nilsson, M.O.G.M., p.188ff.

Rose, H.G.M., p225, n. 90

وعن أشهر تفسيرات أعمال هيراكليس راجع:

Graves, G. M., vol:II, p.84-206

Nilsson, M.O.G.M., p.187-226

Rose H.G.M., p.205-219

Farnell, *Greek Hero-Cults and Ideas of Immortality*, 1920, Oxford, p.95ff

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصاراً بـ (G.H.C.)

^٢ - Kerényi (C.) , *The Heroes of The Greeks* , trans: H.J. Rose , Thames & Hudson, London, 1997, p.143

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصاراً بـ (H.G.)

^٣ - Burkert, *Structure and History in Greek Mythology and Ritual*, Univ. of California Press, Berkeley, 1979, p.80-2

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصاراً بـ (S.H.G.M.R.)

الأعمال الفنية من بلاد الرافدين، التي ظهر فيها بطلان يقتلان هذا الكائن، وفي نفس المشهد يوجد سرطان بحرى.

يشير زانجر^١ Zangger إلى أن مستنقع ليرنا كان مصدر للأوبئة وعلى رأسها الملاريا، وأن سكان المكان عانوا في العصور القديمة من هذا المستنقع إلى أن قاموا بتجفيفه، وأن أسطورة هيراكليس ما هي إلا تسجيل لهذا العمل.

وترى كريستينا سالوى^٢ Christina Salowey أن هيدرا هي المستنقع المتشعب نفسه، بما يصدره من أوبئة، وأن هيراكليس، الذى يمثل فى نظرها البطل ذا القدرة العلاجية، قد طهر المكان من الأوبئة الناتجة عن هذا المستنقع، حيث قام بإنشاء السدود، التى تمثل فى الأسطورة قطع رقبة هيدرا، ثم تجفيف هذا الجزء بإشعال النار والبحر، ويمثله فى الأسطورة كى ايولوس لما سبق وقطعه هيراكليس من رؤوس.

يميل الباحث لرأى سالوى بشكل جزئى، فيتفق الباحث تماما مع سالوى فى تفسير أسطورة هيدرا ليرنا، ذلك أن بعض مغامرات هيراكليس وأعماله تعطى انطبعا بوجود دور للتطهير من الأوبئة والآفات، كتنظيف حظائر أوجياس^٣ Aṽγείας، ذلك العمل الذى يتم التركيز فيه بوضوح على التصدى للأوبئة التى تتسبب فيها تلك الحظائر، كما تروى الأساطير أن هيراكليس دخل فى قتال ضد إله النهر أخيلليوس، بينما اتخذ إله النهر صورة ثعبان ثم ثور، واستطاع هيراكليس بعد

^١ - Zangger (E.), *Prehistoric Coastal Environments in Greece: The Vanished Landscapes of Dimini Bay and Lake Lerna*, JFA, 18, 1, Spring, 1991, p. 1-15

^٢ - *Herakles and Healing Cult in The Peloponnesos*
<http://www1.hollins.edu/faculty/saloweyca/Saloweytext.htm>

^٣ - ملك الإيبين فى إليس، كان يملك قطعانا من الماشية هائلة العدد، وكان تنظيف الحظائر التى تضم هذه الماشية من أعمال هيراكليس الخارقة، وقد قتله هيراكليس عندما رفض أوجياس أن يعطيه عشر قطعانه كمقابل لصنيعه.

Grimal (P.), *The Dictionary of Classical Mythology*, Blackwell Publising, Oxford, 1986, 70f

صراع عنيف أن يكسر قرن أخيلليوس^١. ويرجح الباحث أن هذه الأسطورة تحمل في مضمونها دليلاً آخر على ارتباط هيراكليس بإقامة السدود، إذ يرمز كسر قرن إله النهر - من وجهة نظر الباحث - إلى عملية بناء سد على أحد مجاريه. ويرى الباحث أن إشارة سترابون Στράβων التي يتحدث فيها عن أن مستنقع ليرنا تم تنظيفه، وأن هناك قولا ماثورا يصف ليرنا بأنها ليرنا المرضي^٢ Λέρνη κακῶν، تقوم كدليل قوى على أن ليرنا كانت مصدر وباء، حيث يرجح الباحث أن هذا القول المأثور الموروث من عهود قديمة قد أسئ فهمه^٣؛ إذ أنه يحتمل أيضاً أن مستنقع ليرنا كان مصدر الأمراض ومخلف المرضي.

يختلف الباحث مع سالوى فى نظرتها إلى هيراكليس بوصفه بطلا ذا قدرة علاجية، ويمكن القول أن إقامة هيراكليس للسدود ومواجهته للأوبئة أمور نابعة من دوره كأمير وليس كطبيب، وقد لعب أويدييوس Οἰδίπους كملك دوراً مماثلاً، فحاول أن يسيطر على الوباء الذى أصاب طيبة Θῆβαι^٤، كما اجتاحت أثينا وباء عظيم فى عهد بركليس فى أثناء الحرب بين أثينا واسبرطة، وقع بين ٤٣٠ و ٤٢٦ ق.م. وحصد حياة عشرات الألوف من البشر، وراح بركليس نفسه ضحية، وهو يحاول التصدى له^٥.

١- Ov.,Met.,ix. 1-100

Tz., ad Lyc.,50

Graves, G.M., vol:II, p.191

Strab.,8.6.8

٢- يبدو من سياق حديث سترابون أن كلمة κακῶν تشير إلى أن المكان كان ذا طبيعة علاجية.

Lerna

<http://en.wikipedia.org/wiki/Lerna>

S.,O.T.,1-150

Thucyd.,II.47-55

عن الوباء والأحداث المعاصرة له راجع:

Smith (C.A.), *Plague in The Ancient World: A Study from Thucydides to Justinian*, The Student Historical Journal, 1996-1997, vol.28.

<http://www.loyno.edu/~history/journal/1996-7/Smith.html>

مردود المواجهة بين البطل وخصمه الثعباني

يلاحظ الباحث أن الصراع بين البطل وخصمه الثعباني لم يبتعد كثيرا عن محيط الإله، إذ أن يد إله مغروسة في الصراع، إما بالزج أو بالرعاية، فتزج هيرا بهيراكليس Ηρακλῆς في الصراعات بطريقة غير مباشرة، بينما تقف أثينا إلى جواره وترعاه، الأمر نفسه فعلته أثينا من قبل مع برسيوس في صراعه ضد ميدوسا، ومن ثم فإن حسم الصراع لصالح البطل هو عمل تعاوني بين الإله والبطل، وبالتالي فمردود هذا العمل البطولي يعود على كليهما، حيث يظهر الإله في صورة المعين للبشر، بينما يثبت البطل بطولته أو يخلقها.

ظهر الثعبان - من خلال ما عرضه الباحث في هذا الفصل - في صورة خصم الإله أو البطل، وهي الصورة التي انتشرت عنه في الحضارات القديمة، وظل يؤدي هذا الدور إلى أن أصبح صورة من صور الشيطان^١، الذي يرمز إلى الشر المطلق. إلا أنه من الملاحظ أن الكائنات الثعبانية لم تكن في أساطير الصراع الإغريقية مُحركة بشر كامن، ولا مدفوعة بنية مبيتة، ولكنها كانت تمارس حياتها الطبيعية، فتيفون أداة أو سلاح أطلقتها جايا إنتقاما من الآلهة، وبيثون كانت تقوم بدورها في حماية المكان، وميدوسا لا تستطيع أن تمنع من ينظر إليها أو تنظر إليه أن يتحول لحجر، وهيدرا كانت تعيش في مستنقعاتها وتمارس نشاطها الطبيعي، وليس أدل على ذلك من أن هذه الكائنات، باستثناء تيفون، لم تبرح أماكنها، بل إن

=تشارلز الكسندر روبنسن، أثينا في عهد بركليس، ترجمة: أنيس فريحة، مكتبة لبنان، ١٩٦٦، ص ١٩٣-٢٠١.

١- أصبح الشيطان يصور في هيئة ثعبانية في الكتاب المقدس فنجد (الرؤية، ١٢):
 " ٧ ووقعت حرب في السماء بين ميخائيل وملاكه وبين التنين، فقاتلهم التنين بملائكته، لكنهم انهزموا وخسروا مكانهم في السماء. ٩ وسقط التنين العظيم إلى الأرض، وهو تلك الحية القديمة والمسماة إبليس أو الشيطان، خادع الدنيا كلها، وسقط معه ملائكته."

الإله أو البطل هو الذى قصد إليها سبيلا، فذهب أبوللون إلى مستقر بيثون، وشد برسيوس الرحال إلى مكن ميدوسا، وطوى هيراكليس الطرق والشعاب حتى وصل إلى موطن هيدرا، بل أكثر من ذلك فقد قام هيراكليس بإستئثارها واستفزازها حتى تخرج لقتاله. ويمكن القول أن الشراسة التى أبدتها هذه الكائنات فى القتال كانت رد فعل وليس فعلا. أضف إلى ذلك أن بعض هذه الكائنات الثعبانية كانت مدعومة من قبل آلهة أخرى، فهيدرا كانت مدعومة من هيرا، وبيثون كانت مدعومة من ثيميس، وتيفون كان مدعوما من جايا؛ وبالتالي فنظرة الإغريق للثعبان تختلف من أنصار إله إلى أنصار آخر.

يمكن القول، فى ضوء ما سبق، أن الثعبان كان يرمز إلى الضرر؛ إذ ظهرت الكائنات الثعبانية وقد أفسدت فى المكان، ربما دون قصد أو وعى، ولكنها خلفت فوضى وخرابا وهلاكا. وكان القضاء عليها ضرورة حتمية؛ لصعوبة التعايش السلمى معها.

الفصل الثالث

الأمعان رمز النفع

(أ) علاقة الأمعان بالحماية

(ب) علاقة الأمعان بالمرافقة

(ج) علاقة الأمعان بالعلاج

(د) علاقة الأمعان بالتجديد

(أ) علاقة الثعبان بالحماية^١

منذ أن اسكن الله الإنسان الأرض، وأمره أن يسير فى مناكبها ويأكل من رزقه، وكان هم الإنسان الدائم وشغله الشاغل البحث عن الأمان، حيث كان الإنسان البدائى فريسة للحيوانات الضارية، وعرضة لتقلبات الطقس المضطرب، فشعر بحاجة ملحة للحماية، وراح يبحث عن الملجأ والمأوى، فأقام المسكن الذى يقيه، والمنزل الذى يأويه. وما إن تطورت الأمور ونشأت المجتمعات؛ حتى صارت حاجته للحماية أكثر إلحاحا، فصار يبغي الحماية ليس لنفسه فقط، بل لعائلته، وماشيته، ودابته، وأصبحت الحماية المرجوة ليست فقط ضد عوامل الطقس والحيوانات الضارية، ولكن أيضا ضد غيره من بنى جنسه، الذين زاولوا السطو واللصوصية وأعمال القرصنة؛ لذلك أقام سورا أو سياجا يحيط بمنزله، ويحميه هو وذويه، ولكن سرعان ما شعر الإغريق - من بين الأمم - أن السور المادى ليس كافيا لحمايتهم، إذ كانوا يحتاجون لحماية أكبر من الحماية التى ابتدعها البشر؛ لذلك ارتجى الإغريق حماية إلهية، ترى ما لا يرون، وتستوعب أى خطر محقق. جعل الإغريق للسور إلها يرعاه ويقوم عليه، واتخذ هذا الإله اسمه من الكلمة الإغريقية التى تشير للسياج ἔρκος. فكان حامى السياج هو زيوس، ولكنه لم يكن زيوس إله الطقس، وإنما زيوس رب السياج Ἐρκεῖος؛ الذى جعله الإغريقى محل تبجيل، وأقام له معبدا صغيرا فى الفناء الخارجى للدار، حيث كان يتقرب إليه بالقرابين، وينحر له الأضاحى^٢.

^١ - يفضل الباحث استخدام كلمة حماية أكثر من كلمة حراسة؛ ذلك لأن الثعبان كان يقوم بالزود عن الشئ أو المكان الذى يقوم عليه وهو ما يعطى معنى الحماية، بينما ترتبط الحراسة بمراقبة الشئ ولا يشترط الزود عنه، ففى أسطورة إيو Ἴω، على سبيل المثال، كان أرجوس يحرس إيو؛ أى يراقبها حتى لا تهرب، إلا أنه لم يكن مكلفا بحمايتها.

^٢ - Suid., s.v. Ἐρκεῖος Ζεὺς

Nilsson, *Greek Popular Religion*, Columbia Univ. Press, New York, 1940, p.66f.

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصارا بـ (G.P.R.)

يسجل هسيودوس ذلك الشعور بعدم الأمان، مما يحمله القدر من أخطار خارج أبواب المنزل فيقول:

" إن الأمر أفضل في المنزل، بينما يكون ضارا في الخارج " ^١.

لم يكن زيوس رب السياج وحده المسئول عن حماية الأسرة والبيت، بل شاركه في ذلك حماة آخرون، مثل أبوللون أجويوس Ἀγυιεὺς ^٢، الإله الحامي للطريق ومدخل المنزل، وكان يصور في هيئة عمود حجرى، وكان الإغريق يسكبون الزيت عليه تقربا إليه ^٣، وبالإضافة لزيوس رب السياج وأبوللون أجويوس اللذان لم يعرفا كـثعابين، عرف الإغريق حماة المنازل ذوى الأشكال الثعبانية.

الثعابين حماة المنزل

بمجرد أن يتخطى المرء السياج الخارجى للمنزل الذى يحميه زيوس رب السياج، ويدلف من المدخل الذى يقوم عليه أبوللون أجويوس، يجد نفسه فى مواجهة مذبح زيوس حامى الممتلكات Κτησίος، ذلك المذبح الذى كان يتوسط فناء المنزل (شكل ٢١)، حيث يلتف حوله أفراد الأسرة وعبيد المنزل والمقربون من العائلة، فيتزلفون إلى زيوس حامى الممتلكات بالقرابين ويبتهلون إليه بالدعاء، يقودهم رب الأسرة فى إدارة الطقوس ^٣.

تتسم الطقوس التى تؤدى إلى زيوس حامى الممتلكات بالخصوصية، إذ كانت مقصورة على أفراد الأسرة، فحينما يشارك شخص ما فى طقوسه فذلك يعنى

= عن زيوس رب السياج فى المصادر الاثرية الإغريقية، ومكانته عند الإغريق راجع:

Howe (Th.Ph.), "Zeus Herkeios: Thematic Unity in the Hekatompedon Sculptures", AJA., 59, No. 4 (Oct., 1955), pp. 287-301

Hes., Op., 365

- ١

" οἴκοι βέλτερον εἶναι, ἐπεὶ βλαβερὸν τὸ θύρηφιν. "

يشبه هذا التعبير مقولتنا العامة الدارجة فى مصر " الدار أمان ".

Nilsson, G.P. R., p.79-80, 82.

- ٢

Ibid, p.67f

- ٣

Cook, op.cit., vol.III, p.1065f

أنه أصبح فردا في العائلة، له ما لها وعليه ما عليها^١؛ ومن ثم يكون من المتوقع أن تبدأ الزوجة الجديدة حياتها الزوجية بمشاركة أسرة الزوج تلك الطقوس، كذلك الطفل حديث الولادة، والعبد الوافد إلى المنزل، ويظهر ذلك مما أجراه أيسخيلوس من كلمات على لسان كليتايمنيسترا^٢ Κλυταιμνήστρα في مسرحية أجاممنون Αγαμέμνων (حوالي ٤٥٨ ق.م.)، حيث تمن فيها على كساندرا^٣ Κασσάνδρα أنها ستشارك في طقوس زيوس حامى الممتلكات، فيما يحمل إيحاء بأنها نالت شرف الإنتماء إلى بيت أجاممنون:

"بعد أن أحلك زيوس في المنزل لتكوني بطيب خاطر شريكة في وعاء الماء المقدس^٤، ولتقيمين مع إماء كثيرات بالقرب من مذبح حامى الممتلكات^٥"

^١ - Nilsson, "Schlangenstelle des Zeus Ktesios ", Opuscula Selecta, Lund, 1951, vol. I, p. 25ff

^٢ - كانت ابنة تينداريوس Τυνδάρειος وليدا Λήδα، وشقيقة كاستور Κάστωρ وبوليديوكيس Πολυδεύκης وهليني Ελένη. تزوجها أجاممنون، الذى أنجبت منه خريسوثيرميس Χρυσόθεμις وإكترا Ηλέκτρα وأوريستيس Ορέστης وإيفيجينيا Ιφιγένεια. قتلت كليتايمنيسترا على يد ابنها أوريستيس عقابا لها على خيانتها لزوجها وتسببها في مقتله.

عبد المعطى شعراوى، سبق ذكره، ج ١، ص ٣٠٧-٣٣٤.

^٣ - كانت ابنة برياموس Πρίαμος وهيكاى Εκάβη. كسبت حب أبوللون؛ لفرط جمالها فأعطاه ملكة التنبؤ، عندما قبلت أن يخطبها. عاقبها أبوللون بعد ذلك عندما خانت عهدها معه بأن جعل نبوءتها باطلة لا يثق بها أحد. لجأت إلى معبد الإلهة أثينا، بعد أن سقطت طروادة في أيدي الإغريق، ثم أخذها أجاممنون كأسيرة، إلا أن كليتايمنيسترا ذبحتها، كما ذبحت أجاممنون.

عبد المعطى شعراوى، سبق ذكره، ج ١، ص ٣٠٧-٣٣٤.

^٤ - وعاء أو حوض كان يستخدم للتطهر بغسل اليدين قبل المشاركة في الطقوس وتقديم القرابين.

L.S.J., s.v. χερνίβος

^٥ - يلاحظ الباحث استخدام أيسخيلوس للقب حامى الممتلكات دون اسم زيوس، مما يشير إلى أن اللقب كان يستخدم أحيانا دون اسم الإله.

^٦ - Aesch., Ag., 1036-1038

"ἐπεὶ σ' ἔθηκε Ζεὺς ἀμηνίτως δόμοις

لا تخلو طقوس زيوس حامى الممتلكات من تقديم القرابين والأضاحى،
فيتحدث ديموستينيس Δημοσθένης (٣٨٤-٣٢٢ ق.م.) عن قربان زيوس
حامى الممتلكات فيقول:

" ثور أبيض من أجل زيوس حامى الممتلكات " ^١

يرى كوك أن زيوس حامى الممتلكات لم يحظ فى العادة بقرابين ذات قيمة،
وأن ما رواه ديموستينيس محض استثناء، كما يشير إلى أن مذبح زيوس حامى
الممتلكات كان مذبحا متواضعا لا يعدو أن يكون نموذجا رمزيا بسيطا ^٢.

لم يكن فناء الدار المكان الوحيد الذى يشغله زيوس حامى الممتلكات، إذ
درج الإغريق على وضع نموذج تصويرى ^٣ σημεῖον لهذا الإله بمخزن المنزل
فى صورة ثعبان مهيب ملتج ^٤ (شكل ٢٢)، وكانوا يرجون من هذا الإجراء ردع كل
من تسول له نفسه أن يسرق محتويات المخزن من المؤن والغلال أو يعيث بها.
يقول ميناندروس Μένανδρος (حوالى ٣٤٢-٢٩١ ق.م.):

" زيوس حامى الممتلكات القائم فى مخزن المنزل " ^٥.

=κοινωνὸν εἶναι χερνίβων, πολλῶν μέτα
δούλων σταθεῖσαν κτησίου βομοῦ πέλας,"

D., In Midiam, 53.10

-١

" Διὶ κτησίῳ βοῦν λευκόν "

Cook, op.cit., vol.III, p.1067

-٢

Athenaeus, Deipnos., XI.46.1-11

-٣

٤- ترى هاريسون أن الغرض من اللحية كان التلميح إلى أن هذا الثعبان يجمع بين الصورة
الحيوانية والآدمية، أى ما يفيد وجود تقمص روح آدمى لجسد حيوانى.

Harrison, *Prolegomena*, p.326f.

بينما ترى ميتروبولوس أن هناك تأثيرا مصرية على هذا النمط من التصوير، حيث كان
المصريون يصورون الثعبان ملتجيا منذ عصور بعيدة، فى حين بدأ تصوير الثعبان الإغريقى
الملتجى منذ القرن السادس ق.م.، وهى الفترة التى شهدت ازدهارا فى العلاقات المصرية-
الإغريقية، وتؤكد ذلك بصورة لأحد الثعابين المصرية. (شكل ٢٣)

Mitropoulou (E.), *Deities and Heroes in the Form of Snakes*, Pyli Editions,
Athens, 1977., p.89f

Men., fr: 519

-٥

حرص الإغريق كذلك على تخصيص جرة Καδίσκος (شكل ٢٤) لزيوس حامى الممتلكات فى مخزن المنزل، كانت عبارة عن جرة ذات عروتين كان يتم لفهما بصوف أبيض، وبالمثل كان يلف كتف الجرة الأيمن وجبهتها. وكانت تحتوى على سائل يُسمى أمبروسيا^١، وهو خليط من كل أنواع الفواكه παγκαρπία مضاف إليها زيت زيتون وماء صافى.

"تصوير زيوس حامى الممتلكات لابد وأن يقام على هذا النحو، ولا بد أن توضع جرة جديدة بعروتين وأن تتوج العروتين بصوف أبيض وعلى الكتف الأيمن والجبهةأصفر (زعفران)، واكسوها بما تجده ثم صب عليها الأمبروسيا، لكن الأمبروسيا (يتكون من) ماء صافى، وزيت، وكل أنواع الفواكه."^٢

ويبدو أن دور زيوس حامى الممتلكات كان أحيانا يتعدى حماية الممتلكات، فكان عليه العوض فيما فقده أهل الدار من متاع، أو سرق منهم من غلال ومقتنيات. يقول أيسخيلوس:

"..وعندما تنهب أمتعة من منزل، فلربما بفضل زيوس حامى الممتلكات (تأتى) أخرى أفضل على الأقل من مصيبة (النهب)"^٣

"τὸν δὲ Δία τὸν κτήσιον
ἔχοντα τὸ ταμιεῖον"

١- كانت كلمة أمبروسيا تُطلق كذلك على طعام الآلهة. راجع كمثال لهذا المفهوم:

Hom., Od.5.93.

Athen., Deip.,XI.46.

-٢

"Διὸς κτησίου σημεία ἰδρύεσθαι χρή ὧδε· καδίσκον καινὸν
δίωτον ἐπιθηματοῦντα στέψαι τὰ ὦτα ἐρίῳ λευκῷ καὶ
ἐκ τοῦ ὧμου τοῦ δεξιοῦ καὶ ἐκ τοῦ μετώπου τοῦ
κροκίου, καὶ ἐσθεῖναι ὃ τι ἂν εὕρης καὶ εἰσχεῖαι ἄμ-
βροσίαν. ἢ δ' ἄμβροσία ὕδωρ ἀκραιφνές, ἔλαιον,
παγκαρπία."

Aesch., Supp., 443-5

-٣

"καὶ χρήμασιν μὲν ἐκ δόμων πορθουμένοις
γένοιτ' ἂν ἄλλα κτησίου Διὸς χάριν
ἄτης γε μείζω, καὶ μετεμπλήσαι γόμον."

يرى الباحث أن إشارة أيسخيلوس ذات أهمية كبيرة لفهم الكيفية التي كان يعالج بها الإغريق ما يشوب آلهتهم من قصور، فما كان أيسخيلوس - المعروف بتوقيره للآلهة - ليرضى لآلهته أن تبدو عاجزة، كما لو كانت خشبا مسندة، إذ يرجح الباحث أن أيسخيلوس أراد بإشارته دعم الثقة في زيوس حامى الممتلكات، وترسيخ الإيمان به، ذلك أن الشك قد يتسرب إلى أفئدة أهل الدار إذا ما تم نهب مخزن الغلال في حضرة الإله الحامى، أو أتت عليه القوارض؛ ومن ثم فإن أيسخيلوس يوفر لحامى الممتلكات فرصة ثانية، وبالتالي فلن يهمل أهل الدار التودد إلى زيوس حامى الممتلكات طمعا منهم في العوض، الذى قد لا يأتى على الإطلاق.

حوت جدران المنزل عبادة أخرى شعبية مقدمة لزيوس تحت لقب الرؤوف *Μειλίχιος*، الذى لعب دور الحماية بصورة مشابهة لزيوس حامى الممتلكات^١، حيث كان يتخذ صورة ثعبان ضخمة، كما يظهر من نقشين بارزين من بيرايوس^٢ *Πειραιεύς* محفوظين في متحف برلين، يرجعان إلى حوالى القرن الرابع ق.م. يبدو في النقش الأول ثعبان ضخم ملتوٍ وملتحٍ ويعلوه ما نصه " (مكرس) لزيوس الرؤوف " *"Διὶ Μειλιχίῳ"* (شكل ٢٥) ، أما النقش الثانى فيظهر فيه زيوس الرؤوف في صورة ثعبان ضخم^٣ وأمامه سيدة ورجلان، يقومون بحركات ما توحى بأنهم يؤدون طقوسا معينة (شكل ٢٦).

Nilsson, G.P.R., p.70

-١

Lalonde (G.), *Horos dios; an Athenian shrine and cult of Zeus*, Brill Academic Publishers, 2006, p.46

L.S.J., s.v. *Μειλίχιος*

Cosmopoulos (M.), *Greek Mysteries. The Archaeology and Ritual of Ancient Greek Secret Cults*, Routledge, New York, 2003, p.221

٢- ميناء في إقليم آتيكا، تقع على بعد ٩ كم جنوبى أثينا، وكانت ولا تزال منتفخ الاثينيين على البحر.

Encyclopædia Britannica, s.v. *Piræus*

٣- كان زيوس الرؤوف يظهر كذلك في هيئة ناسوتية وهو يلعب نفس الدور. (شكل ٢٧).

اعتاد الأثينيون أن يحتفوا بزيوس الرؤوف في احتفال خاص يسمى دياسيا^١ Διάσια، الذي كانت مراسمه تنطلق خارج المدينة ἔξω τῆς πόλεως، حيث يتقربون له بأضاحي ἱερεῖα لا يقربونها، إذ كانت تلقى في المحرقة فتأتى عليها النار عن آخرها، وكانت الأضحية عبارة عن حيوان داجن من ذوات الأربع πρόβατον ربما كان شاة أو خنزيرا^٢، إلا أن الطبقة الفقيرة من الناس كانوا يقدمون قرابينهم دون إراقة دماء، فكانت من الكعك على شكل الأضحية θύματα ἐπιχώρια.

لم يكن احتفال الدياسيا يتمتع بأى نوع من أنواع البهجة أو المرح، بل كانت تسيطر عليه الكآبة وتتملك الجسد فيه قشعريرة στυγνότητος،^٣ لأنه احتفال بالهة عالم سفلى.

رحب الإغريق كذلك بثعابين أخرى حامية للمنزل والعائلة، هم الديوسكوروي^٤ Διόσκοροι، اللذان كانا محل اهتمام- على وجه الخصوص- من الإسبرطيين، حيث كانوا يعدون لهم الوجبات، ويفتحون لهم الأبواب، ويفرشون

١- اشتق اسمه من كلمة δῖος، وكان يقام في النصف الثاني من شهر أنثيستيرون Ἀνθεστηριών، الشهر الثامن من السنة الآتيكية، والذي كان يقع بين آخر فبراير وبداية مارس.

Smith (W.), *A Dictionary of Greek and Roman Antiquities*, John Murray, London, 1875, p. 401

Parke (H.W.), *Festivals of the Athenians*, Thames and Hundson, London, 1977, p.120ff.

Th., 126.6.2-5

Harrison, *Prolegomena*, p.15

Sch.Th., 126.6.2-5

-٢

-٣

-٤

يؤكد ذلك أيضا :

Xen. An., VII.8,4; Luc., Tim., 7; Ar., *Nub.*, 402

Sch.Luc., 24

-٥

Nilsson, *G.P.R.*, p.72

-٦

Dietrich, *op.cit.*, p.188

O.C.D., s.v. Dioscuri

Mitroupoulou, *op.cit.*, p.55

لهما الفرش، فيذكر هيرودوتوس Herodotos (حوالي ٤٨٤-٤٢٥ ق.م.) أن الأركاديين يروون عن يوفوريون Euphoriion أنه

"...الذي استضاف الديوسكوري في منزله"^١

وقد حق العقاب على فورميون Φορμίωv ، عند باوزانياس، لأنه لم يحسن وفادتهم.^٢

يظهر الديوسكوري من خلال أحد النقوش البارزة^٣ في صورة ثعبانين^٤ يقتربان من الدوكانا^٥ δόκανα (شكل ٢٨)، كما تم تصوير المشهد نفسه على العملات الإمبرطية (شكل ٢٩)، و كان يتم- في بعض الأحيان- استبدال الدوكانا بجرتين^٦ شبيهتين بجرة زيوس حامى الممتلكات^٧ (شكل ٢٤).

فتح الإغريق أبوابهم كذلك لاستضافة ثعبان آخر حاميا للمنزل هو الروح الطيبة Αγαθὸς Δαίμων ؛ الذي قطن في المنزل في صورة فردية أو جماعية. يقول كاليستيثيس Καλλισθένης (٣٦٠-٣٢٨ ق.م.) عن تضحية أهل الأسكندرية للأرواح الطيبة أنها: "...للأرواح الطيبة حماة المنازل"^٨. واعتاد الإغريق أن يسقطوا بضع قطرات من كأس نبيذ غير مخلوط للروح الطيبة بعد الوجبة^٩.

Hdt., VI.127

-١

".... τοὺς Διοσκόρους οἰκίοισι καὶ ἀπὸ τούτου ξεινο-
Δοκέοντος"

Paus., III.16.2.5-8

-٢

Harrison, *Themis*, p.305

-٣

-٤- لابد من الإشارة إلى أن الصورة الشائعة للديوسكوري كانت في هيئة مقاتلين مع فرسيهما.

-٥- عبارة عن قوائم ثنائية تلتقى مع عوارض ثنائية من الخشب.

Plut., Fr. Am., 478a, 1-4

Margaret (C.W.), *The Meaning of the "Dokana"*, AJA, 23, 1, 1919, p.1-18

Nilsson, G.P.R., p.69

-٦

Cook, *op. cit.*, vol:III, p.1062

-٧

pesud Callisth., I.32 [cod A]

-٨

"...τοῖς ἀγαθοῖς δαίμοσι προνοούμενοις τῶν οἰκιῶν"

Ar., Eq.1o5f

-٩

زاد الاهتمام بالروح الطيبة في العصر البطلمي وتعددت صورته في هيئة ثعبان حام لمدينة الإسكندرية، إذ توجد رواية مؤداها أن الإسكندر عند تأسيسه لمدينة الإسكندرية قتل معاونوه بناء على أوامره أحد الثعابين، إلا أنه رأى فيه أنه روح طيبة؛ فأمر بدفنه وكرس له مذبحا انطلقت منه بعد ذلك ثعابين كثيرة دخلت البيوت المحيطة، فأمر الإسكندر بتقديم الحبوب لها، فصار أهل المدينة ينظرون إليها على أنها حامية المدينة ومنازلها^١. وقد بجل السكندريون الإسكندر في صورة ثعبان الروح الطيبة الحامي للمدينة^٢.

حماة المدينة من الثعابين

- الأسوار

بعد أن حصن الإغريق منزله، وشيد حوله أسياجا تشعره بالأمان، وأقام شعائر للآلهة الحامية؛ كي تدفع إلى قلبه بالأمن والطمأنينة. اتجهت نظرته بعد ذلك - على ما يبدو - إلى محيط أوسع من منزله، اتجهت نحو تأمين مدينته وحمايتها، فسعى إلى تشييد الأسوار حول المدينة؛ ليصد هجمات المغيرين والناهبين والأغراب من البشر، ويأمن شر الهائم والضال من حيوانات الصحراء والأحراش، وأقام حصنا أو قلعة يتحصن بها، ومعبدًا للآله الذي يحمي المدينة. شكلت هذه العناصر

^١ I. V., I.28 ; pesud- Callisth. I.32 [cod A]

^٢ Taylor (L.R.), "Alexander and the Serpent of Alexandria", CPh., Vol. 25, No. 4. (Oct., 1930), pp. 375-378.

Harrison, *Themis*, p.277ff.

Cook, *op.cit.*, vol.III, 1127ff

ومن نافلة القول أن أوليمبياس Ὀλυμπιάς ' أم الإسكندر قد أنجبته هو نفسه من ثعبان. عن الروايات المختلفة لهذه القصة وتصويرها في الفن راجع:

Rose, *Olympias and the Serpent: The Interpretation of a Baalbek Mosaic and the Date of the Illustrated Pseudo-Callisthenes*, Journal of the Warburg and Courtauld Institutes, 26, No. 1/2, 1963, p. 1-21

الثلاثة: السور، والقلعة، والمعبد، العناصر المميزة للمدن في العالم بأسره حتى العصر الحديث^١.

كانت أهمية الأسوار التي تحتضن المدينة دافعا لخيال الإغريق ليحيك حول بنائها أساطير ليست بالقليلة، تروى الأساطير - على سبيل المثال لا الحصر - كيف بنى أبوللون وبوسيدون أسوار طروادة للملك لأوميدون^٢ Λαομέδων، وأن الكيكلوبيس^٣ Κύκλωπες بنوا أسوار تيرنس^٤ Τίρυνς للملك برويتوس^٥ Προῖτος، وساهمت أثينا في تشييد أسوار مدينة أثينا، وقد بنى كادموس أسوار طيبة، وهذه الأساطير كان الغرض منها تخليد ذكرى بناء المدن، والتي كان السور أهم منشآتها.

-الآلهة حامية المدينة

يعتقد الإغريق أن السور وحده لا يكفي، وأن هناك إلها قادرا يقوم على

^١ - لويس مفورد، المدينة على مر العصور، ترجمة إبراهيم نصحي، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ج١، ص ٣-٥٠ في أماكن متفرقة.

^٢ - كان ملك طروادة، ووالد برياموس. بنى له أبوللون وبوسيدون حوائط طروادة بأمر من زيوس؛ عقابا لهما على محاولتهما خلعه من العرش، وعندما رفض أن يدفع لهما أجرهما، أرسل أبوللون على طروادة طاعونا، بينما أرسل عليها بوسيدون وحشا بحريا أخذ يفتك بأهلها، فحاول استرضاء بوسيدون بتقديم ابنته قريانا، بعد أن قيدها إلى صخرة، إلا أن هيراكليس أنقذها، وقتل لأوميدون فيما بعد لأنه حنث بوعده له.

O.C.D, s.v. Laomedon

^٣ - يستخدم الباحث كلمة كيكلوبس للمفرد وكيكلوبيس للجمع.

^٤ - منطقة موكنية تقع على مجموعة تلال صخرية في مواجهة البحر الإيجي، في إقليم الأرجوليد، تعرف الآن بـ Τίρυνθα.

O.C.D, s.v. Tiryns.

^٥ - كان ملكا على تيرنس، وكان أخوه أكريسيوس Ακρίσιος يُنازعه على الملك، فساعده الكيكلوبيس جاعلين من تيرنس حصنا منيعا.

Room, op.cit., p.263.

حماية المدينة، وأن لكل مدينة من المدن الإغريقية إلها يحميها ويرعاها. وتوضح أهمية ومكانة حماة المدن من مسرحيتي أيسخيلوس، الضارعات 'ΙΚέτιδες (٤٦٣ ق.م.) والسبعة ضد طيبة 'Επτά επί Θήβας (٤٦٧ ق.م.). تقوم أحداث مسرحية الضارعات على طلب بنات داناؤوس 'Δαναός حماية مدينة أرجوس، ويتضرعن في معظم أجزاء المسرحية لحماة المدينة، كما يظهر في مسرحية السبعة ضد طيبة من السطر ٧٠ إلى السطر ١٨٠، ويمتد على طول المسرحية في أماكن متفرقة.

-الثعبان الحامي للمدينة

وكانت التضارعات توجه في مدينة أثينا إلى الإلهة أثينا اللامعة Πολιάς الحامية للمدينة^٢، وكان الأثينيون يكرمون الثعبان الحامي للمدينة οἰκουρός ὄφις، الذي كان يستوى أعلى الأكروبوليس ἄκρόπολις^٣. يروي هيرودوتوس نقلا عن الأثينيين قائلا:

"يقول الأثينيون إن ثعبانا ضخما حارسا يقطن في معبد الأكروبوليس، ليس هذا فحسب بل ويقولون بالفعل إنهم يحافظون على تقديم قرابين شهرية، القرابين الشهرية هي كعكة العسل"^٤

^١ - كان ملك أرجوس، التي جاء إليها من مصر هربا من أخيه أيجبتوس Αἴγυπτος، حيث أراد أيجبتوس أن يزوج أبنائه من بنات داناؤوس عنوة.

Grimal, *op.cit.*, p.127

Paus., I.27.

Ar., Lys., 758-9

S. Ph., 1325

Hsch., s.v. οἰκουρός ὄφις

Hdt., 8.41

"Λέγουσι Ἀθηναῖοι ὄφιν μέγαν φύλακα τῆς ἀκροπόλιος ἐνδιαιτᾶσθαι ἐν τῷ ἱρῷ λέγουσί τε ταῦτα καὶ δὴ καὶ ὡς ἐόντι ἐπιμήνια διατελέουσι προτιθέντες τὰ δ' ἐπιμήνια μελιτόεσσά ἐστι."

وكان الثعبان يلقم كعكة العسل باستمرار، إلا أنها أصبحت فيما بعد لا تمس عندما حاصر الفرس المدينة، وقد فسرت الكاهنة ذلك بأن الثعبان المقدس هجر الأكروبوليس، عندها رحل الأثينيون إلى سلاميس^١ Σαλαμίς. تشير كذلك الأدلة الأثرية إلى أن الديوسكوري كانا أيضا حماة للمدينة، وقد لعبا هذا الدور تحت الشكل الثعباني^٢.

-الثعبان حامى المحارب

إذا كان الإغريق قد سعى لطلب الحماية وهو يقبع فى منزله، أو وهو يمارس حياته الطبيعية فى نواحي مدينته، فإنه أحوج ما يكون للحماية فى أوقات القتال والحمل على الأعداء، حيث يكون معرض للهلاك، ولا يدرى من أى اتجاه تأتيه الطعنة؛ ومن ثم يحتاج إلى قوى فوق طبيعية تزود عنه ما لا يرى، وتقاوم عنه العدو الغادر. وكانت هذه الحماية المرجوة تتميز بأنها شخصية، أى تخص كل محارب على حده، إذ كان هناك الإله الراعى والمعضد للجيش بأسره. وضع الإغريق صورة حاميه على ترسه؛ ليكون عوناً له فى مواجهة عدوه. يقول أيسخيلوس، متحدثاً عن الأشكال الإلهية على ترس ند هيوميديون : ' Ἰππομέδων

" سيكون زيوس راعيه ومخلصه لأنه قائم على ترسه " ^٣

^١ Hdt., 8.41

جزيرة إغريقية، تسمى الآن سلامينا، تقع على بعد ١٦ كم غربى أثينا، انتقل إليها الأثينيون إبان الغزو الفارسي، ودارت فيها معركة شهيرة بين الإغريق والفرس سميت باسم الجزيرة (٤٨٠ ق.م). وكانت الجزيرة قد أخذت اسمها من اسم إحدى الحوريات.

Salamis Island

http://en.wikipedia.org/wiki/Salamis_Island s.v

Mitropoulou, op. cit., p. 55

Dietrich, op.cit, p. 188

Aesch., Th., 519

"σωτήρ γένοιτ' ὃν Ζεὺς ἐπ' ἀσπίδος τυχών. "

أراد الإغريق أن يكون حاميه له جنة، ولعدوه هلاكاً ودماراً؛ لذلك يمكن القول أن ترس المحارب كان بمثابة أداة قتل نفسية للعدو. فكان يحمل ما يشبه التعويذة، التي تصب اللعنة على العدو، وتمنح الثبات والحماية والطمأنينة للمحارب؛ ومن ثم ظهر الشعبان على تروس المحاربين بصورة واسعة الانتشار^١ (شكل ٣٠).
ظهر تيفون كذلك على أحد التروس، ولكن تصويره كان بالكلمات في أحد الأعمال الأدبية، وهي الصورة التي لم يصادفها الباحث على ترس حقيقي فيما خلفه الإغريق من آثار، يقول أيسخيلوس، واصفاً ترس هيبوميدون:

"وعندما بدأ يدور حول مداره الضخم، أعنى حول دائرة ترسه، أصابتني رجفة، نعم، وإنى لا أقول غير ما حدث. بالتأكيد لم يكن صانعا ضئيل الشأن ذلك الفنان الذي صور ذلك العمل الرائع على ترسه: تيفون وهو يتجشأ من فمه، ذى الأنفاس الملهبة، دخاناً قاتماً، هو التوأم الخفاق للنار المشتعلة، والحافة المحيطة بدائرة بطنه الجوفاء مشدودة إلى الأرض بجذائل من الأفاعي"^٢

يبدو هذا التصوير محيراً، فإذا كان وجود وجه ميدوسا على التروس له ما يبرره، فعلى أقل تقدير كان تأسيساً بالإلهة أثينا، التي كانت تضع وجه ميدوسا على ترسها، فكيف يمكن تفسير ما رواه أيسخيلوس عن صورة تيفون، عدو زيوس، التي وضعها هيبوميدون لتحميته؟ أليس بالأحرى كان لابد أن يضع صورة زيوس نفسه؟!.

١- أوردت ميتروبولوس العديد من الأمثلة من المصادر عن التروس التي حملت صورة الشعبان.
Mitropoulou, op. cit., p. 78

Aesch., Th., 489-496

"ἄλω δὲ πολλήν, ἀσπίδος κύκλον λέγω,
ἔφριξα δινήσαντος· οὐκ ἄλλως ἐρῶ.
ὁ σηματουργὸς δ' οὐ τις εὐτελής ἄρ' ἦν
ὅστις τόδ' ἔργον ὥπασεν πρὸς ἀσπίδι,
Τυφῶν' ἰέντα πύρπνοον διὰ στόμα
λιγνὺν μέλαιναν, αἰόλην πυρὸς κάσιν.
ὄφρων δὲ πλεκτάναισι περίδρομον κύτος
προσηδάφισται κοιλογάστορος κύκλου. "

يرجح الباحث أن أيسخيلوس جعل ترس هييوميدون موشوما بصورة تيفون غير المحبوب على حد قوله ὀφίλον^١؛ لخدمة هدفه الدرامي في رسم ملامح شخصية هييوميدون المتغترسة، إذ يؤكد أيسخيلوس على أن هييوميدون لا يعبأ بالآلهة، فهو يثق بالحربة التي يحملها أكثر من ثقته بالآلهة، وأنه سيغزو مدينة أبناء كادموس رغما عن زيوس^٢، ثم يجعل خصمه يحمل ترسا تتوسطه صورة زيوس^٣؛ ومن ثم يحرك مشاعر الإغريق للتعاطف مع خصم هييوميدون، ويحمل مشاعرهم ضد هييوميدون، ثم إنه يعلن - من خلال الرجوع للأسطورة القديمة لزيوس وتيفون - عن تعاطفه مع خصم هييوميدون^٤، ومن ثم فإن هذا التصوير قد يكون من ابتكار أيسخيلوس ولم يكن له أصل في الواقع.

كانت ميدوسا تمثل كذلك أحد الأشكال الثعبانية التي كانت تصور على التروس^٥، ربما كان الهدف من ذلك طلب الحماية عن طريق شل حركة الخصم المهاجم؛ لما عرف عن ميدوسا أنها تحول ما تبصره عيناها إلى حجر والحركة إلى سكون^٦، أو تأسيا بالآلهة أثينا التي سلخت جلد ميدوسا، وجعلت منه غشاء

Aesch., Th., 522

—^١

Ibid., 529-532

—^٢

Ibid, 512

—^٣

Ibid., 510-516

—^٤

^٥ - عن أمثلة أثرية لصور الثعابين على التروس، وكذلك صور ميدوسا على التروس راجع :

Deane (J.B.), *The Worship of the Serpent Throughout the World:*

Attesting The Temptation and Fall of Man by The Instrumentality of Aserpent Tempter, J. G. & F. Rivington, London, 1830, p.199-201

Apd., 2.38-46

—^٦

لترسها ὤϊγίς^١ أو رداءا لها، ووضعت وجه ميدوسا الذى أعطاه لها برسـيوس فى صدر الترس (شكل ٣١).^٢

احتفظت الأساطير الإغريقية فى ثنايا ما روته بفكرة الثعبان الحامى، ولكن بعد أن صبغت صورته بصبغة أسطورية، تمتع فيها بالضخامة والثبات فى الحماية. **تتين آريس حامى الينبوع**^٣

تروى الأساطير عن كادموس أنه بعد أن استقر فى مدينته الجديدة، قرر أن يذبح البقرة، التى كان يتتبعها؛ لترشده إلى مكان موطنه الجديد، وكان عليه أن يقدمها للإلهة أثينا قربانا مقدسا. راح كادموس ورفقته يعدون عدتهم؛ لتقديم القربان، طلب كادموس من بعض رفاقه أن يمدوه بماء صافٍ عذب، فانطلقوا فى الحال إلى ينبوع آريس Ἄρης^٤، الذى عرفه الإغريق فيما بعد بينبوع كاستاليا Κασταλία. لم يكن كادموس يعلم أن ذلك الينبوع محرم، يحميه ثعبان ضخـم، أو تتين، كان آريس قد أقامه عليه، و"....بينما يحمى الثعبان الينبوع"^٥، ذهب الرجال ليملأوا حاوياتهم بالماء، وما إن بدأوا يقتربون من الماء، حتى خرج

^١- ترس زيوس، الذى صنعه هيفايستوس، واسمه يعنى جلد الماعز، وهو عبارة عن ترس مكسى بجلد الماعز تتوسطه صورة ميدوسا، وكان هذا الترس يظهر أحيانا بحوزة أثينا وفى أحيان قليلة مع أبوللون، وكان صوت قعقعته هو صوت هزيم الرعد. كما كان أحد مستلزمات أثينا. وتشير الأساطير أيضا إلى أن ميتيس والدة أثينا قد صنعتها لها، وأن أثينا كسته بجلد ميدوسا.

Hard (R.), *The Routledge Handbook of Greek Mythology, Based on H.J. Rose's Handbook of Greek Mythology*, Routledge, New York, 2003, p.74

^٢- Apd., 2.38-46

Paus., 1.21.3, 1.24.7, 5.10.4

Nonn., 36.15

^٣- يميل الباحث إلى رواية أحداث الأساطير بالتفصيل، لأنه سوف يستعين بهذه التفاصيل فى تفسير الأسطورة، أو سيعيد الإشارة إليها فى أماكن أخرى من البحث.

^٤- Apd. 3.22.6f

"..... φρουρῶν

δὲ τὴν κρήνην δράκων"

من بين الأحرار التتين الحامى، الذى شرع يهاجمهم زودا عن ينبوع الماء، فقتل عددا منهم، وعاد من تبقوا إلى كادموس مذعورين، وقصوا عليه ما حدث. هب كادموس غاضبا إلى الينبوع، وهاجم التتين المقدس الحامى، وبعد نزال عنيف بين الطرفين رفع كادموس صخرة ضخمة أو سيف، وضرب بها رأس التتين (شكل ٣٢)؛ فتهشم الرأس، ولفظ التتين آخر أنفاسه، ثم عاد كادموس إلى حيث يقيم رفاقه؛ ليذبحوا البقرة المنذورة ويقدموا القربان للإلهة أثينا، وأثناء القيام بالشعائر والصلوات ظهرت أثينا أمام كادموس، حيث أعربت عن رضاها عنه، ونصحته أن ينتزع أسنان التتين ويبذرهما، وعندما فعل ذلك، سرعان ما ظهر من باطن الأرض رجال مسلحون، سبارتوى Σπαρτοί؛ أى الرجال المنبتقون. بدأ الرجال المنبتقون فى الهجوم على كادموس ورفاقه، هنا تذكر كادموس نصيحة الإلهة أثينا، فالتقط حجرا وقذفه على رأس واحد منهم، وقذف بحجر آخر على رأس واحد آخر، فظن كل منهم أن زميله هو الذى قذفه بالحجر، وبدأ الرجال المنبتقون يحاربون بعضهم بعضا، فقتل كل منهم الآخر، ولم يبق على قيد الحياة سوى خمسة رجال فقط هم: إخيون Ἐχίων، وأودايوس Οὐδαῖος، واخثونيوس Χθόνιος، وهوبيرينور Ὑπερήνωρ، وبلوروس Πέλωρος^١. أعرب الرجال الخمسة الباقون على قيد الحياة استعدادهم الخضوع لكادموس، وأصبحوا جميعا فى خدمته. غضب الإله آريس من كادموس؛ لأنه قتل التتين حامى الينبوع. حاولت الإلهة أثينا أن تهدئ من غضب آريس، فقدموا كادموس للمحاكمة، وصدر ضده حكم مقدس، حيث توجب عليه أن يظل فى خدمة آريس لمدة عام عظيم؛ لم يكن العام العظيم

١- يرى جريفز أن اسم إخيون مشتق من كلمة ἔχισ، التى تعنى ثعبان، ويرجح أن اسم هذا الشخص يرتبط بعبادة الثعبان، كما يرى أن أسم اخثونيوس نسبة إلى كلمة χθόνος التى تعنى الأرض، فيما يشير إلى عبادة هذا الشخص للإلهة الأم الأرض.

عاما عاديا، كان ثمانية أعوام في حساب البشر، وبعد ثمانى سنوات عفا آريس عنه، أمرته أثينا بعد ذلك أن يبدأ في تحصين مدينته بمساعدة الرجال الخمسة المنبتقين^١. يرى جريفز^٢، في تفسيره للأسطورة، أن عشيرة صغيرة من المتحدثين بإحدى اللغات السامية، قد تحركوا من السهول السورية إلى كادميا Καδμεία في كاريا Καρία، ثم عبروا إلى بيوتيا Βιωτία حوالى نهاية الألف الثانية ق.م.، حيث استولوا على طيبة وأصبحوا سادة المدينة، وأن اسم كادموس عبارة عن كلمة سامية تعنى الشرقى. يفسر جريفز كذلك أسطورة الرجال المنبتقين، وخدمة كادموس لآريس، بأن الكادميين تخلصوا من حصار وقعوا تحته، بأن أشعلوا حربا أهلية بين السكان الأصليين، الذين ترجع أصولهم - كما تروى الأساطير - إلى الأرض، حيث كانوا يظنون أنهم نبتوا من الأرض، مثلما نبت هؤلاء المحاربون المنبتقون، ويوضح جريفز أن بعض أسماء القادة الخمسة من السكان الأصليين، الذين دخلوا تحت قيادة كادموس، كانت تشير إلى عبادات أرضية^٣، ويشير جريفز إلى أن الكادميين بقوا تحت حكم أحد الحكام من السكان الأصليين لمدة ثمانى سنوات، وأن قتل كادموس للنتين مماثلا لقتل أبوللون لبيثون، أى أنه إحلال إله مكان آخر.

تلقى فكرة تحرك كادموس وأصوله الشرقية قبولا لدى الباحثين^٤، ويتفق الباحث مع جريفز فى معظم افتراضاته، إلا أن الباحث يود أن يعرض بعض التفاصيل برؤية أخرى فى ظل تفسير جريفز.

١- Apd., 3.4.1-2

عبد المعطى شعراوى، سبق ذكره، ج-٢، ص ٥٩ وما بعدها

Graves, G.M., vol.1, p.194ff
Rose, H.G.M., p. 182f

Graves, G.M., Vol. 1, p.197

٢- راجع ص ٨٢ ملحوظة ١.

٣- عن آراء الباحثين الذين يرون أن لكادموس أصولا شرقية راجع:

Nilsson, M.O.G.M., p.117-127

Astour (M.), *Hellenosemitica*, Leiden, 1967, Ch:2

١- قتل التين:

نزل كادموس القادم من الشرق إلى أرض طيبة، فكان من الطبيعي أن يكون من أولوياته العسكرية السيطرة على مصدر الماء، في بلاد عز فيها الماء، فكانت عقبتة هي السكان الأصليين عبّاد الثعبان، الذين يقيمون حول النبع، فقاتلهم وانتصر عليهم، وكعادة القدماء فإن هزيمتهم هي هزيمة لإلههم وقضاء على عبادته.

٢- ظهور الرجال المنبثقين:

ويبدو أن بعض السكان الأصليين أعادوا الكرة على كادموس، وصارت الحرب سجّالا.

٣- دخول كادموس في خدمة آريس بعد المصالحة بينهما:

ويبدو أن الأمر انتهى بعقد اتفاق سلمى بين السكان الأصليين والكادميين، على أن يعبد الإلهان معاً، إله الغزاة وإله السكان الأصليين، وكان كادموس الملك الكاهن للإلهين.

٤- انضمام القادة الخمسة لكادموس:

ربما سادت مع مرور الوقت عبادة معبود الغزاة، لما هو معروف عن غلبة حضارة المنتصر وسيادة فكره، وانتهت عبادة السكان الأصليين الذين اندمجوا في النسيج الاجتماعي مع الغزاة، وكان من القادة الذين وقعوا الاتفاق مع الكادميين القادة البلاسجيين ذوى الأصول الأرضية، الذين حفظت ذكراهم الأسطورة^١.

=مارتن برنال، أثينة السوداء الجنود الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية، ترجمة: أحمد عثمان وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ١٩٩٧، ج١، ص٥٢، وأماكن متفرقة.

^١ - عن معانى اسمائهم وارتباطها بالثعبان أو الأرض راجع:

Rose, H. G. M., p.185

Graves, G. M., vol.1., p.196

التنين لادون حامى شجرة التفاحات الذهبية

تتحدث أسطورة أخرى عن دور الثعبان فى الحماية، فيما روى من أساطير عن هيراكليس. تروى الأسطورة أن يوريسثيوس^١ Εὐρυσθέως وجه، من خلف جدران الصندوق الفولاذى، أوامره إلى هيراكليس، وأمره أن ينجز العمل الخارق الحادى عشر، بأن يجلب تفاحات من شجرة الهسبيريدات، التى أهدتها الإلهة الأم إلى الإلهة هيرا بمناسبة زواجها من زيوس، كانت الشجرة تثمر ثمرات من ذهب. فرحت الربة هيرا بالهدية، وحافظت على الشجرة النادرة، وغرستها فى حديقتها الربانية الخاصة، ووضعتها تحت رعاية بنات المارد أطلس Atlas^٢، الهسبيريدات، وفوضت أمر حراستها إلى لادون. خرج هيراكليس يبحث عن مكان التفاحات الذهبية النادرة، فأضطر أثناء رحلته لقتال المارد الجبار كيكنوس Κύκνος ابن إله الحرب آريس، وعندما وصل هيراكليس إلى أحد الأنهار وجد عجوز البحر نريوس Νηρεύς، وسأله عن كيفية الحصول على التفاحات الذهبية. حاول نريوس أن يراوغه، فأضطره هيراكليس إلى الكلام، عندئذ نصحه نريوس ألا يقطف التفاحات بنفسه، أشار عليه أن يطلب ذلك من المارد أطلس، الذى يحمل قبة السماء فوق كتفيه، والذى يتخذ لنفسه مقرا بالقرب من حديقة هيرا الربانية. إنطلق هيراكليس يسعى حتى وصل إلى الطرف الأقصى من العالم، وهناك قابل المارد أطلس، حيث وجده يحمل قبة السماء فوق كتفيه. شرح هيراكليس له الأمر، وتوسل إليه أن يحضر إليه بعض التفاحات الذهبية. أبدى أطلس استعدادا لتلبية طلب هيراكليس، لكنه أعرب عن خوفه من الوحش لادون، ذلك التنين الضخم، الذى يلتف حول الشجرة. اتجه هيراكليس على الفور نحو الحديقة، وتسلق السور المرتفع،

^١ - كان ملك موكيناى، استولى على الحكم بدلا من هيراكليس؛ نتيجة لدسائس هيرا، وكان لزاما على هيراكليس أن يقوم على خدمته، فكلف هيراكليس بإثنتى عشرة مهمة.

و ".... قتل الثعبان الحامى"¹ (شكل ٣٣)،

ثم عاد مرة أخرى إلى أطلس مكررا طلبه، فساومه أطلس على أن يحمل قبة السماء بدلا منه حتى يعود، فوافق هيراكليس وحمل قبة السماء فوق كتفيه. ذهب أطلس إلى حديقة هيرا الربانية، قطف ثلاث تفاحات ذهبية بمساعدة بناته الهسبيريدات، وعندما أحس أطلس بطعم الحرية والراحة أثناء عودته إلى هيراكليس، رفض أن يستعيد قبة السماء فوق كتفيه، وأخبره أنه سوف يوصل التفاحات الذهبية الثلاث بنفسه إلى الملك يوريسثيوس، ثم يعود ليحمل قبة السماء على كتفيه، تظاهر هيراكليس بالموافقة، لكنه استأذن أطلس أن يحمل عنه الحمل للحظة واحدة، حتى يبحث عن وسادة يضعها فوق كتفيه. صدقه أطلس، ووضع التفاحات الذهبية الثلاث على الأرض بين قدميه، ثم تناول قبة السماء من فوق كتفى هيراكليس، وحملها فوق كتفيه كما كان يفعل من قبل، فانحنى هيراكليس نحو الأرض فى خفة ورشاقة، والتقط التفاحات الثلاث من بين قدمى أطلس، وفر هاربا، وعاد بعد مغامرات عديدة إلى موكناي، وأعطى التفاحات إلى يوريسثيوس².

يمكننا تحديد ملامح الأسطورة الأساسية فى أربعة عناصر:

- سافر البطل إلى أقصى الأرض.
- مر بالعديد من المغامرات أثناء رحلته حتى وصل إلى الشجرة.
- قصد الشجرة التى تعلوها التفاحات الذهبية ويحميها تنين.
- قتل التنين واستولى على التفاحات الذهبية.

Apd.2.121.

"....κτείναντα τὸν φρουροῦντα ὄφιν."

Apd,2.5.11

A.R., 4.1396-1484

Graves, G.M., vol.2,p.145ff

عبد المعطى شعراوى، سبق ذكره، ج١، ص ٤٠٧ وما بعدها

التنين حامى الجزة الذهبية

تمدنا الأساطير بأسطورة أخرى شبيهة بأسطورة هيراكليس، تروى عن ياسون *Ιάσων* ' أنه بعد أن صارع الأهوال، هو ومن معه من بحارة السفينة أرجو *Ἀργώ* ، وصلوا إلى كولخيس *Κολχίς* ، وبعد أن نزل على شرط الملك أيبتييس *Αἰήτης* وصارع الثورين بمساعدة ميديا *Μήδεια* ، رابطا الثورين فى المحراث، بعد أن وضع نيرا معدنيا صلبا فوق عنقيهما، وظل يحراث الحقل يوما كاملا حتى هبط المساء، عندئذ بذر أسنان التنين التى منحتها الربة أثينا للملك، وكانت هذه الأسنان قد تبقت مما زرعه كادموس فى طيبة، وما إن بذر الأسنان، حتى ظهر من باطن الأرض رجال أشداء ومسلحون بأسلحة فتاكة، أحاط الرجال بياسون يريدون الفتك به، فاحتفى بالمحراث، وتذكر ما فعله كادموس مؤسس مدينة طيبة، فتناول الأحجار، ورمى الرجال المسلحين بها، حيث ظن كل منهم أن زميله هو الذى أصابه. بدأ الرجال المسلحون يحاربون بعضهم بعضا، لقى البعض مصرعه بأسلحة الآخرين، ودارت معركة حامية بينهم انتهت بقضاء ياسون عليهم جميعا. اتجه ياسون بعد ذلك لياخذ الجزة الذهبية الموجودة فى منطقة تبعد عن مقر الملك ايبتييس ستة أميال، تقوده ميديا، حيث يوجد معبد آريس إله الحرب والدمار، وتتدلى هناك الجزة الذهبية من فرع ضخم من فروع شجرة صنوبر،

" كان يحميها تنين لا ينام"^٢،

يلتف حول الشجرة ألف لفة (شكل ٣٤). جاء ذلك التنين الشرس إلى الوجود من الدماء المتجلطة التى سالت من جسد المسخ تيفون، ذلك المسخ الذى دمره كبير الآلهة زيوس. وصل ياسون إلى مكان التنين تقوده الساحرة الشابة ميديا، وبعد أن

^١ - تقع فى النهاية الشرقية للبحر الأسود جنوبى القوقاز، جزء من جورجيا الآن.

Encyclopædia Britannica, s.v.Colchis

Apd.1.109

"ἐφρουρεῖτο δὲ ὑπὸ δράκοντος ἄύπνου."

تلت عليه ميديا بعض التعاويذ، راح التتين فى سبات عميق، حيث تقدمت نحوه ورشت جفنيه بسائل سحرى يبعث على النوم، هنا انتزع ياسون الجزء الذهبية^١.
يمكننا تلخيص الأسطورة فى أربعة عناصر:

- مر البطل بالعديد من الأهوال حتى يصل لمكان الجزء.
 - وصل إلى أقاصى الأرض.
 - هدفه كان الشجرة التى تعلوها الجزء الذهبية ويحميها تتين.
 - تخلص من حراسة التتين واستولى على الجزء.
- هناك تشابه واضح بين أسطورة هيراكليس و أسطورة ياسون، مما دفع جريفز إلى اعتبار ياسون اسما آخر لهيراكليس^٢.

الثعبان فى كلتا الأسطورتين يحمى شجرة مقدسة، فى أسطورة هيراكليس الثعبان المسمى لادون كان يحمى شجرة التفاحات الذهبية المقدسة، التى ترعاها بنات هيسبروس Εσπερος^٣، اللاتى يقطن أقصى الغرب، واسمهن يعنى بنات الغرب^٤، لقد كن يقمن فى آخر الدنيا المعروفة، حيث يحمل أطلس الأرض على كتفيه فى مكان لا يطأه البشر، ولكن إذا كان هيراكليس قد رأى أطلس وهو يحمل الأرض على كتفيه^٤، إذن فهو يقف فى مكان غير الأرض التى نعرفها، ويحملها أطلس. إذن ما هى هذه البقعة؟ وما هى هذه الشجرة؟ وما علاقة الثعبان بالشجرة؟.

Apd.I.9.23

A.R.III.1260-IV.264

Dio.Sic.,IV.48.1-5

Graves,G.M. ,vol.2,p.236ff

عبد المعطى شعراوى، سبق ذكره، ج٢، ص ٦٢ وما بعدها

Graves,G.M., vol.2, p. 240

L.S.J., s.v.' Εσπερίδες

Apd.,.2.5.11

شجرة التفاح وعلاقة الشعبان بها

كان هيراكليس يبحث عن الخلود وهو يقوم بأعماله الإثنى عشر، وإن وضع أسطورة الهيسبيريديات في الترتيب السابق على النزول للعالم السفلى لذو معزى، فنزوله إلى العالم السفلى وصعوده بسلام يحتاج إلى قوة، تجعله يقهر الموت^١، كتلك القوة التي حصل عليها اينياس ليقوم برحلته إلى العالم السفلى^٢، وربما كان الغصن الذي وصل إليه اينياس غصنا من شجرة تفاح أيضا^٣.

إن الأمر الراجح أن أسطورة هيراكليس مرتبطة بصورة ما بقصة شجرة الحياة^٤، الواردة في الكتاب المقدس^٥، ذات الأصل البابلي^٦.

مكان الشجرة ودور الهيسبيريديات

إن وجود هذا المكان خارج حدود الأرض يؤيد ارتباط الأسطورة بقصة شجرة الحياة، التي كانت في الجنة وليس على الأرض، بالإضافة لهذا فإن سكناهم أقصى الغرب يشير إلى سكناهم بالقرب من العالم الآخر^٧. حيث توجد الجنة^٨.

^١ - يرى نيلسون أن انتصار هيراكليس على الموت يتجلى في أسطورة شجرة التفاح.

Nilsson, M.O.G.M., p.219

^٢ - انطلق فريزر من هذه الأسطورة في عمله المعروف بـ "الغصن الذهبي".

^٣ - *Golden Apple*

<http://www.lundysisleofavalon.co.uk/mythology/golden%20apple.htm>

^٤ - Morford (M.) and Lenardon (R.), *Classical Mythology*, Longman, London, 1985, p.391

Johnson (R.B.), *Athena and Eden The Hidden Meaning of the Parthenon's East Façade*, Solving Light Books, New York, 2002, ch:8

^٥ - التكوين، الإصحاح الثالث.

^٦ - السواح، سبق ذكره، ص ٢٣٧

فريزر، *الفلكلور في العهد القديم*، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢،

ج ١، ص ١٠٥-١١٢

James, *op. cit.*, p.202

^٧ - عن أن الهيسبيريديات كن يسكن بالقرب من العالم الآخر راجع:

Morford and Lenardon, *op. cit.*, p.391

^٨ - نلاحظ أن الترجمة العربية لمكان الشجرة يعطى نفس الانطباع، فقد كان كتاب الأساطير

الإغريقية يطلقون على مكان شجرة التفاح "جنة الهيسبيريديات" κήποις τῶν Ἑσπερίδων

ورد هذا الاسم على سبيل المثال عند:

Diod. Sic., 4.26.2.5

كذلك فإن الهسبيريديات يلعبن نفس دور الكروبيم، الملائكة حراس شجرة الحياة فى الكتاب المقدس^١، ويؤكد جونسون Johnson على كونهن ملائكة شجرة الحياة، وأنهم فى الجنة، معتمدا على الأعمال الفنية التى تظهرهن سعيدات يلهين فى مرح^٢ (شكل ٣٥).

إن أسطورة ياسون فى تكوينها وعناصرها، (بحارة - سفينة - رحلة - مخاطرات - انتصار) تشبه عناصر حرب طروادة، ولذا فإننا نرجح أن أسطورة ياسون إذا حذفنا منها تصديه للثورين^٣، والتى على ما يبدو لنا أنها متأثرة بعمل هيراكليس السابع، حيث أمسك بثور كريت الذى كان يزفر ألسنة اللهب الحارق، وهو نفس الثور الذى قاده ثيسبيوس فيما بعد إلى مدينة أثينا، حيث قدمه قربانا للإلهة أثينا^٤. وحذفنا أيضا الجزء الخاص بإلقاء أسنان التنين، وطريقة القضاء على المحاربين المنبثقين^٥، والتى نرجح أنها متأثرة بأسطورة كادموس. وإذا حذفنا أيضا الجزء الخاص بمحاولة ياسون الحصول على الجزء الذهبية، التى نرجح أنها متأثرة بأسطورة هيراكليس، فإن ما يتبقى لدينا ليس أكثر من، إما ذكرى لرحلات تجارية من إيولكوس Iωλκός إلى كولخيس، أو حملة عسكرية قام بها إغريق ضد أهل كولخيس.

تبدو أسطورة الحصول على الجزء الذهبية مشابهة لأسطورة حصول هيراكليس على التفاحات الذهبية كما أشرنا، لكن يجب أن نعترف أن العائق يظل فى الجائزة، وهى الجزء الذهبية والتفاحات الذهبية، فكل من هيراكليس وياسون تخلص من حماية الثعبان لما يعلو الشجرة، ولكن ما تحمله الشجرة كان مختلفا فى الأسطورتين، لكن بإعمال التحليل اللغوى يتضح لنا أن ما تحمله الشجرة فى الأسطورتين كان شيئا

^١ - التكوين، الإصحاح الثالث، ٢٣ وما بعدها

^٢ - Johnson, *op. cit.*, ch:8

^٣ - Apd.1.9.23

^٤ - عبد المعطى شعراوى، سبق ذكره، ج-١، ص ٣٩٩-٤٠٠

^٥ - Apd.1.9.23

واحدًا؛ فعندما نكشف عن كلمة $\mu\eta\lambda\omicron\nu$ في القاموس^١، سوف نجد أن من معانيها الأساسية: (تفاحة، شاة)؛ ومن ثم يفترض الباحث أن متلقى الرواية اختلط عليهم الأمر، وعله يعزز وجهة نظر الباحث بالإضافة لما سبق وجود عمل فني يقضى فيه ياسون على الثعبان حامى الجزء وهو يرتدى ملابس هيراكليس ويمسك بهراوته (شكل ٣٦)؛ وبناء على ذلك فإننا نفترض أن الأسطورتين صدى لأسطورة سقوط الإنسان^٢، حيث تطورت عند وصولها إلى الإغريق، فصارت تحكى عن بطل واجه ثعبانا ضخما، يحمى شجرة مقدسة، تحمل $\tau\omicron\ \chi\rho\upsilon\sigma\omicron\nu\ \mu\eta\lambda\omicron\nu$ ، فهمها البعض على أنها تفاحة ذهبية، ونسبوها إلى هيراكليس، والبعض الآخر فهمها على أنها جزء ذهبي، ونسبوها إلى ياسون، وهذا الافتراض يعلل الخلط في رواية ديودوروس الصقلى $\Sigma\iota\kappa\epsilon\lambda\iota\omega\tau\eta\varsigma\ \Delta\iota\omicron\delta\omega\rho\omicron\varsigma$ (القرن الأول ق.م.)، الذى يتحدث عن ملكية الهيسبيريدات لقطيع من الأغنام، يحرس هذه الأغنام راع يمتاز بالقوة والشجاعة يدعى دراكون $\Delta\rho\acute{\alpha}\kappa\omega\nu$ ^٣، والتى تعنى ثعبان.

كيربيروس حامى بوابة العالم الآخر

تروى الأساطير كذلك أن يوريسثيوس أمر هيراكليس أن ينجز العمل الثانى عشر، حيث أمره أن يحضر الكلب كيربيروس من عالم الموتى. لم يكن من السهل الهبوط إلى عالم الموتى، لذا بحث هيراكليس عن منفذ ينزل من خلاله إلى أعماق الأرض، ساعدته فى ذلك أثينا وهيرميس، كان عليه أن يعبر نهر ستيكس $\Sigma\tau\upsilon\chi\varsigma$ ، الذى يفصل بين عالم الأحياء وعالم الموتى، ولم يكن يسمح بعبوره، إلا للموتى. عندما وصل لهذا النهر فزع منه خارون $\chi\acute{\alpha}\rho\omega\nu$ ، الذى كان يحمل فى قاربه العتيق الموتى فقط. لكن خارون لم يجرؤ أن يمنعه من العبور، وأوصله إلى عالم الموتى، وعندما اقترب هيراكليس من بوابة الجحيم، توجه إلى هاديس إله العالم

^١ L.S.J. s.v. $\mu\eta\lambda\omicron\nu$

^٢ - سوف يأتى الحديث عن علاقة هذه الأسطورة بسقوط الإنسان فى الفصل الرابع.

^٣ Diod. Sic., 4.26.2

عن معنى كلمة $\Delta\rho\acute{\alpha}\kappa\omega\nu$ ، أنظر الفصل الأول ص ٣.

السفلى، الذى استقبله هو وزوجته بالترحاب. طلب هيراكليس من الإله هاديس أن يسمح له باصطحاب الكلب كيربيروس، فتظاهر هاديس بالموافقة، لكنه اشترط ألا يستخدم هيراكليس هراوته أو سهامه القاتلة. لم يكن كيربيروس كلبا عاديا، " (كيربيروس) هذا كان لديه ثلاثة رؤوس كلاب، والذيل جزء من ثعبان وكان لديه على ظهره رؤوس ثعابين من كل الأنواع.^١

وكانت مهمة كيربيروس حراسة بوابة الجحيم وحمايتها. استسلم المسخ بعد صراع ضارى بينه وبين هيراكليس، وعاد هيراكليس يجر وراءه الكلب كيربيروس، حتى وصل إلى ساحة الملك يوريسثيوس.^٢

يمكن القول أن بوابة العالم السفلى هى الفاصل بين الأموات وعالم الأحياء والعكس؛ ومن ثم لابد أن يكون حاميا حذرا ومخيفا وذا مهابة وقوة، وأهم من ذلك يتمتع بكفاءة فى الحراسة؛ لذلك شكل الإغريق صورة حامى العالم السفلى بعناية، فلم يكن من قبيل المصادفة أن يجمع فى صورته بين صورة الكلب، الذى عرف بحراسته للقطيع والمنزل، والثعبان الذى عرف بالحماية والحراسة ذات الطابع المقدس، وهو الدور الذى شاركت فيه كيربيروس المسوخ ذات الأشكال الثعبانية الأخرى، مثل دلفينى Δελφύνη أخت تيفون التى أقامها حارسة على زيوس فى أحد الكهوف^٣، وكامبى التى أقامها كرونوس Κρόνος حارسة على العمالقة ذوى

Apd.2.122

" εἶχε δὲ οὗτος τρεῖς μὲν κυνῶν κεφαλὰς, τὴν δὲ οὐρὰν δράκοντος, κατὰ δὲ τοῦ νότου παντοίων εἶχεν ὄφεων κεφαλὰς. "

Apd.,2.512

Hom. Od.,XI.624

Graves, G.M., vol.2, p.152ff

عبد المعطى شعراوى، سبق ذكره، ج١، ص ١٠ وما بعدها

Apd.,1.6.3

Nonn.13.28.

Graves, G.M., vol.1, p.134

المائة ذراع Εκατόγχειρες والكيلوبيس، وقد قضى عليها زيوس إيان حربه مع المردة^١.

التنين بيثون حامى وحى الإلهة الأرض

سبق وأن تناول البحث أسطورة بيثون^٢، التنين الضخم، الذى كلفته الإلهة جايا أو ثيميس بحماية معبدها، حيث كان مقر الوحي. ويبدو جليا من هذه الأسطورة دور الحماية- وليس الحراسة- الذى كان يقوم به التنين بيثون، والذى فقد حياته دفاعا عن المكان.

مما سبق يتضح أن الثعبان كان يرمز- فى معظم الأحيان- إلى الحماية المقدسة المرسلة من قبل الآلهة؛ لتحى شخصا ما، أو شيئا ما، أو مكان ما. فكانا المؤتمن من قبل الآلهة على كل ثمين ومحرم، كما كان يمثل صورة الإله عينه حينما يقوم بالحماية بنفسه.

(ب) علاقة الثعبان بالعرافة

تُرجع الأساطير موهبة أشهر عرافى الإغريق فى التنبؤ والتأويل إلى الثعبان، الذى جمعت المصادفات بالعرافين، فمنحهم القدرة على التنبؤ ومعرفة لغة الطيور.

هيلينوس وكاسندرا

أنجبت هيكابي Εκάβη زوجة برياموس Πρίαμος، ملك طروادة، توأمين، ذكر وأنثى: الذكر كان يدعى هيلينوس Ελενος^٣، والأنثى: كانت تدعى كاسندرا. أصابهما التعب من اللهو، حيث كانا لايزالان طفلين، فغطا فى ثبات عميق أثناء الاحتفال بيوم ميلادهما فى حرم معبد الإله أبوللون الثيمبرانى θυμβραίος، فغفل عنهما والداهما، اللذان أفرطا فى شرب النبيذ، وعندما عاد

Apd.1.2.1
Nonn.18.237.

^٢ - راجع الفصل الثانى، ص ٤٦ وما بعدها

الوالدان الثملان إلى المنزل، أدركا أنهما عادا دون طفليهما، فعادت الأم على الفور مسرعة إلى المعبد، فشاهدت ثعبانين من الثعابين المقدسة يلعبان آذان طفليهما.

"...ونظفت الثعابين سمعهما، وعندئذ حازا القدرة على التنبؤ"^١.

اعتمدت رواية الأسطورة السابقة على حدث رئيسي يوضح دور الثعابين في إكساب العرافين مهارة العرافة، وكان ذلك عن طريق لعق الأذن؛ مما يدل على أن هذين العرافين سوف يتمتعان بقدرة فائقة في السمع، ولكن أي شيء سوف يسمعانه؟، توضح الأسطورتان التاليتان ماذا يسمع العراف بعد لعق الثعابين لأذنيه.

تيريسياس Τειρεσίας

كان تيريسياس، ابن الحورية خاريكلو^٢ Χαρικλώ ، واحدا من أشهر العرافين على أرض الإغريق. لجأ إليه أهل طيبة في أخرج الأوقات باحثين عن النبوءة؛ لذلك رسم هوميروس ملامح شخصيته بطريقة مختلفة عن بقية الشخصيات الأسطورية، فجعله الشخصية الوحيدة التي احتفظت بصفاتها وإمكاناتها ومواهبها، حتى أثناء وجوده في العالم السفلي. وتروى الأساطير أن تيريسياس كان واحدا من سلالة الرجال المنبثقين الخمسة، حيث كان جده لوالده هو أودايوس أحد الرجال المنبثقين الخمسة الذين بقوا على قيد الحياة، بل وامتد عمره سبعة أجيال^٣.

Sch.Hom.II., VI.76a, VII.44

".... καὶ δράκοντας ἀποψῆσαι τὴν ἀκοήν, καὶ τὴν μαντείαν ἐντεῦθεν λαβεῖν."

Graves, G. M., vol:2, p.263

^٢ - حورية تابعة لأثينا كانت زوجة إيفيريس.

Grimal., op.cit., p98

Hom., Od.X.490-5

Hes., Fr.161-2

عبد المعطي شعراوي، سبق ذكره، ج-٢، ص ٩٣

ساق القدر تيريسياس ذات يوم ليشاهد الإلهة أثينا وهي تستحم، وهو أمر محرم يوقع العقاب على فاعله. لم تنشأ الإلهة أن تقضى عليه، فاستعاضت عن ذلك بأن أفقدته بصره، فطلبت أمه خاريكلو، التي كانت مقربة لأثينا، من الإلهة أن تمنحه هبة تعوضه بها عن فقدان بصره، فأكسبته أثينا موهبة التنبؤ ومعرفة لغة الطيور، حيث أمرت الثعبان إريخثونيوس^١ Εριχθόνιος ' أن يتحرك من ترسها، ويظهر أذنى تيريسياس بلسانه، وعندها تمكن من فهم لغة الطيور، واكتسب القدرة على التنبؤ^٢.

ميلامبوس Μελάμπους

كان ميلامبوس أول من منحته الآلهة القدرة على التنبؤ من بين البشر، ذات يوم قام خدمه بقتل ثعبانين كبيرين، إلا أنه استطاع أن ينقذ صغار هذين الثعبانين من أيديهم، وكان هذان الثعبانان حديثي الفقس. قام ميلامبوس بعد ذلك بدفن الثعبانين الكبيرين بخشوع دون استهانة، وعندما شب الصغيران عن الطوق، وبينما كان ميلامبوس نائماً،

"..كانا ينظفان أذنيه بلسانيهما، لكنه استيقظ وصار مرعوباً بشدة إنه يسمع (يفهم) أصوات الطيور المحلقة بعيداً..."^٣.

^١ - سوف يأتي الحديث عنه في الفصل الرابع.

^٢ - Graves, G. M., vol.2, p.10

عبد المعطى شعراوي، سبق ذكره، جـ ٢، ص ٩٥.

ارتبط تيريسياس بالثعابين في أسطورة أخرى تروى أنه صادف ذات يوم زوجين من الثعابين في وضع تزاوج، ففرق بينهما بعصاه، فغضبت عليه هيرا وحولته من رجل إلى أنثى.

عن هذه الاسطورة ومقارنتها بأساطير أخرى مشابهة راجع:

Krappe (A.H.), "Treisias and the Snakes", A.J.Ph., 49.3, 1928, p 267-275.

Apd., 1.97.3-5

^٣ -

"...τὰς ἀκοὰς ταῖς γλώσσαις ἐξεκάθαιρον. ὁ δὲ ἀναστὰς καὶ γενόμενος περιδεὴς τῶν ὑπερπετομένων ὀρνέων τὰς

أرجع ديموقريطوس Δημόκριτος (حوالي ٤٦٠-٤٧٠ ق.م.) معرفة الثعبان لغات كل الطيور إلى أنه خلق من خليط من دم الطيور^١.

العرافة ولغة الطيور

يمكن القول أن منح الثعبان للعراف القدرة على فهم لغة الطيور في إطار علاقته بالتنبؤ^٢، ليست أكثر من معرفة بالأصوات، والإيماءات، والتحركات الصادرة عن الطيور، والتي لها دور كبير في عملية التنبؤ، وقد عرفه الإغريق والرومان^٣، كما عرفت أيضاً الشعوب الأخرى؛ ولذلك لا عجب أن كلمة عراف في الإغريقية هو οἰωνόμαντις، أو οἰωνοσκόπος، حيث يعنى الشق الأول من الكلمتين οἰωνός طائر، أما كلمة μαντις فتعنى عراف، وكلمة σκόπος تعنى مراقب؛ إذن فالمعنى الحرفي للكلمة الأولى العراف المختص بالطيور، أما

=φωνὰς συνίει.."

Sch.A.R., I.118

Eust., Hom.Od., XI.292

Plin, N.H., X.137

Halliday (W.R.), *Greek Divination, A Study of Its Methods and Principles*, Macmillan and Co., Limited, London, 1913, P.85 -^١

٢- يشير فيلوستراتوس Φιλόστρατος (١٦٠ حوالي-٢٤٧م) إلى أن الذين يأكلون جلود الثعابين يفترض أن يحوزوا ملكة فهم لغات الحيوانات، ويخبرنا أن البراكا Πάρακα، شعب الهند، فهموا أفكار ولغات الحيوانات بأكلهم قلوب وأكباد الثعابين، وروى نفس الكلام عن العرب.

Philostr., V.A., 3.9.1f

O.C.D., sv. Bird-omen -^٣

٤- كان العرب وغيرهم من الشعوب يطلقون الطيور ويرصدون تحركاتها وأصواتها وسكونها، ومن خلال تأويل هذه التصرفات ينتج العراف نبوءته. ويعرف معجم لسان العرب، ج-٤، ص ٥١٢ التطير بأنه:

"...وقيل معنى قولهم اطيرنا تشاءمنا وهو فى الأصل تطيرنا فأجابهم الله تعالى فقال طائرکم معکم أى شؤمکم معکم وهو كفرهم وقيل للشؤم طائر وطيروا طيرة لأن العرب كان من شأنه عيافة الطير وزجرها والتطير ببارحها ونعيق غرابها وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها....."

الثانية فمراقب الطيور؛ وعليه فإن المقصود بلغة الطيور هنا هو اللغة الصوتية والبدنية الصادرة عن الطيور، والتي تحمل كل إيحاء منها تفسيراً خاصاً عند العرافين، وليست لغة تحاورية يتحدث بها بعضهم لبعض.

مكانة العراف وقداصة الثعبان

كان هيلينوس، وكاسندرا، وتيريدياس، وميلامبوس، جميعاً عرافين، وارتبطت موهبتهم في العرافة بالثعابين، التي منحهم القدرة على التنبؤ ومعرفة لغة الطيور، وكان العراف شخصاً ذا قداسة خاصة، إذ ينقل للبشر كلام الإله، فكان الوسيط بين الآلهة والبشر، وكان لسان الإله في الأرض، يتلقى النبوءة ويصدرها للبشر، كما كان مقامه في مقر وحي الإله، حيث يقصد الرجل مقر الوحي طالباً المشورة، التي يجريها الإله على لسان العراف، وقد ذخرت الأعمال الأدبية والتاريخية بعدد كبير من النبوءات؛ إذ كانت النبوءة تحرك المجتمع الإغريقي في كافة مناحي الحياة، فكما يتضح من الأساطير لم يكن الإغريقي يرفع قدم ويحط أخرى، إلا بعد استشارة الوحي. وبما أن النبوءة شيء مقدس يصدر عن إله مقدس من خلال شخص مقدس، فإن ارتباط الثعبان بالنبوءة وما اتصل بها يضاف عليه مسحة مقدسة، على وجه الخصوص أنه كان - مما سبق عرضه - صاحب الفضل فيما بلغه العراف من علم ومهارة في التنبؤ والتأويل.

الثعبان في مقار الوحي

ارتبط الثعبان كذلك بمواطن الوحي والنبوءة، كما ارتبط بالقائمين عليها من عرافين والمقامة على شرفهم من الآلهة والأبطال.

وحي أبوللون في دلفي Δελφοί

كان وحي أبوللون في دلفي واحداً من أشهر مقار الوحي في بلاد الإغريق، وقد تجلت فيه قدرة الإله على منح المشورة وإرسال النبوءة وإظهار علمه الغيبي على لسان كاهنته، التي عرفت بالبيثية Πυθία، تلك الكاهنة التي ذاع صيتها،

وعُرفت صفاتها وما يعتريها من أعراض تقمص الإله لجسدها، وهو يجرى النبوءة على لسانها، إلا أن هذا الوحي الشهير كان فيما سبق وحي الإلهة الأرض جايا، وكانت الحية الضخمة التي ترمز إليها مقيمة في هذا المعبد وحامية له، وقد استولى أبوللون على مقر الوحي ونسب شهرته إلى نفسه، بعد أن قضى على الإلهة القديمة، بقضائه على التتين بيثون.^١ ومن ثم فإن ارتباط الثعبان بالوحي والنبوءة ضارب في القدم، بل وتميز بالاستمرارية تحت ظل إله الوحي الجديد أبوللون، والذي صار الثعبان أشهر رموزه في الفن، بل ظل يُطعم في معبده ويرعى من قبل كاهنات الإله العذارى بكل احترام^٢، كما كان يوجد في إبيروس Ἡπειρος^٣ قبر مخصص لأبوللون، تنال الثعابين فيه الخدمة وتطعم، ويستدل من تصرفاتها على نبوءة الإله^٤.

وحي تروفونيوس Τροφώνιος في ليباديا Λεβαδεία

كان تروفونيوس وأخوه مهندسين وبنّاءين ماهرين، شيدا بيت أمفيتريون^٥ Ἀμφιτρυῶν في طيبة، ومعبدًا لأبوللون في دلفي، ومعبدًا لبوسيدون في مانتينيا^٥ Μαντίνηια. طلبا من أبوللون ذات يوم أن يهبهما أحسن هدية اعترافا بأعمالهما؛ فمنحهما الموت الفجائي. وتوجد رواية أخرى تحكى عنهما أنهما أثناء عملهما ببناء حجرة الكنز للملك هيريوس Ὑριεύς ملك بيوتيا، وضعا حجرا يمكن تحريكه من الخارج، وبهذه الوسيلة سرقا حجرة الكنز، لكن هيريوس أعد لهما

^١ - راجع الفصل الثاني ص ٤٦

^٢ - Hastings, s.v. Serpent, p.404

^٣ - Ael, Cu.D., 34

^٤ - ابن ألكايوس وزوج ألكيميناء، تخفى زيوس في هيئته فحملت منه هيراكليس وإيفيكليس، واعتبر الاثنان من أبناء امفثريون.

^٥ - O.C.D., s.v. Amphitryon.

^٥ - كانت تقع في إقليم أركاديا، الآن على بعد ثمانية أميال شمال تريبوليس Tripolis.

O.C.D., s.v. Mantinea

فخا، وقع فيه أجاميديس Ἀγαμήδης^١، أخو تروفونيوس، وحتى لا يتضح أمره قطع تروفونيوس رأس أخيه وانطلق هاربا، وكان خلفه رجال هيريوس يلاحقونه حتى وصل ليباديا^٢، وهناك وعلى مرأى من متبعيه انشقت الأرض وابتعلته. عندئذ عاش تحت الأرض كإله وحى، وكان مقر هذا الوحي في ليباديا غربى بيوتيا، يفصله عن المدينة نهر يدعى هيركينا Ἑρκυνα^٣، الذى سمى باسم حورية، قال الإغريق إنها كانت ابنة تروفونيوس، وقد كان مقر الوحي فى الواقع داخل الكهف الذى ينبع منه النهر، حيث كانت توجد تصويرات لتروفونيوس وهيركينا مع ثعابين ملتفة حول منسأتيهما. يقول باوزانياس (القرن الثانى الميلادى) :

"..توجد منابع النهر فى الكهف وتنتصب التماثيل (هناك)، لكن الثعابين ملتفة حول عصواتيهما. ربما يظن المرء أنها (تماثيل) اسكليبيوس وهيجيا، لكنها ربما كانت لتروفونيوس وهيركينا، لأنهم يعتقدون أن الثعابين لم تكن مقدسة لاسكليبيوس أكثر من تروفونيوس."^٤

تمتع وحى تروفونيوس بصيت ذائع، فأتى لإستشارته- على سبيل المثال لا الحصر- كرويسوس (٥٩٥-٥٤٦ ق.م.) Κροίσος^٥، ملك الليديين (٥٦١-٥٤٧ ق.م) عندما قرر أن يهاجم الفرس، وكان الوحي معروفا للأثينيين في النصف الثانى من القرن الخامس ق.م.، حيث ورد ذكره عند يوربيديس Εὐριπίδης

^١ - ليفاديا Levadeia حاليا، كانت تقع غربى إقليم بيوتيا.

O.C.D., s.v. Lebadeia

Paus., IX.39.3

- ٢

"...εἰσὶ δὲ ἐν τῷ σπηλαίῳ τοῦ ποταμοῦ τε αἱ πηγαὶ καὶ ἀγάλματα ὀρθὰ, περιειλιγμένοι δὲ εἰσὶν αὐτῶν τοῖς σκήπτροις δράκοντες. ταῦτα εἰκάσαι μὲν ἄν τις Ἀσκληπιοῦ τε εἶναι καὶ Ὑγείας, εἶεν δ' ἄν Τροφώνιος καὶ Ἑρκυνα, ἐπεὶ μηδὲ τοὺς δράκοντας Ἀσκληπιοῦ μᾶλλον ἢ καὶ Τροφωνίου νομίζουσιν ἱεροὺς εἶναι."

Hdt. I.46

- ١

(٤٨٠-٤٠٧ ق.م.)^١ وأريستوفانيس (٤٥٠-٣٨٦ ق.م.)^٢، كما زاره باوزانياس بنفسه، وروى فقرات مطولة عنه، واصفا ما مر به من طقوس قبل وبعد زيارة الوحي،^٣ فيروى أن مصدر الوحي كان تحت أرض الكهف في حفرة، وكان على من يذهبون لاستشارة الوحي أن يأخذوا في حوزتهم كعكة العسل؛ لأن من يخرق عزلة الوحي، يجد هناك ثعابين مخيفة عليه أن يسترضيها بكعكة العسل^٤. ارتبطت الثعابين بوحى تروفونيوس بدرجة كبيرة، حتى صار الاعتقاد الراسخ أن الوحي كان ينقله ثعبان،^٥ أو ثعابين، والتي يرمى لها السكان كعكة

١ - E., Ion., 300-302, 404-409

زار كسوئوس Εὐθους وزوجته كريوسα Κρέουσα وحي تروفونيوس لإستشارته: إذا ما كانا سيرزقان بالذرية أم لا، وكانت هذه الزيارة تسبق زيارتهم لوحى دلفى، وهو الأمر المعتاد فى ذلك الوقت.

عن التعليق على هذه الأبيات راجع:

عبد المعطى شعراوى، يوربيديس: عابدات باخوس - إيون - هيبولوتوس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢٧٧.

٢ - Ar., Nub. 506f

ورد ذكر وحي تروفونيوس فى مسرحية السحب على سبيل التشبيه، حيث يشبه ستربسياديس Στρεψιάδης المكان الذى أمره سقراط بالدخول إليه - وهو ممسك بكعكة العسل - بكهف وحي تروفونيوس.

٣ - Paus., IX. 39

٤ - Ar., Nub. 508

Paus., IX. 39. 11

Hsch., s.v. μαγίδες

٥ - Sch. Ar., Nub. 508

عن شرح الطقوس التى كان يمر بها راجى النبوءة فى مقر تروفونيوس راجع:

Clark (R.J.), "The Manner of His Revelation", Transactions and Proceedings of the American Philological Association, 99, 1968, p. 63-75

Ibid.

Suid, s.v. Τροφωνίου κατὰ της παίγνια

العسل^١، ويوضح باوزانياس أن الثعابين كانت مقدسة لتروفونيوس كما كانت مقدسة في أماكن أخرى لاسكليبيوس^٢. كان تروفونيوس أكثر من مجرد رجل ميت. كان إلها حيا يستقبل شعائر تليق بإله^٣ حتى أنه اندمج مع زيوس في عبادة عرفت بعبادة زيوس - تروفونيوس^٤.

وحي امفياراعوس Ἀμφιάραος

تروى الأساطير أن امفياراعوس وهبته الآلهة قدرة على التنبؤ، وكان واحدا من القادة الذين حاربوا ضد طيبة بشجاعة نادرة، إلا أنه حينما مُنى بالهزيمة حاول أن يهرب في عربته، وأمام بيريكليمينوس^٥ Περικλύμενος انشقت الأرض وابتلعتة، بصورة شبيهة لما حدث لتروفونيوس، فعبدته أهل المكان بوصفه إلها حيا، وكانوا يقيمون الألعاب تكريما له، كما كان يوجد بالقرب من طيبة كاهن يقوم على مقر الوحي، الذي خصصه الإغريق له. ارتبط امفياراعوس في الأعمال الفنية بالثعبان، كما ارتبط وحيه كذلك بالثعبان، أشهر هذه الأعمال الفنية تصوره وهو يجلس خارج حصار طيبة، حيث كان قدره أن يلقى الموت، وكان يعرف أنه لن يعود من طيبة، وقد ظهر ثعبان ملتفا حول نفسه عن يمينه^٦.

^١ Suid, s.v. μελιτοῦττα

^٢ Paus., IX.39.3

^٣ Luc, D.Mort., 3.1.F

Charax, Fr.6

Sch.Ar., Nub.508

^٤ - عن عبادة زيوس - تروفونيوس راجع:

Cook, *op.cit.*, vol.III, p.1073ff

^٥ - ابن بوسيدون وخلوريس، وأحد المدافعين عن طيبة ضد القواد السبعة.

Room, *op.cit.*, 237.

Paus., I.34.5

Cook, *op.cit.*, vol.III, p.1071ff

يمكن القول - بناء على ما سبق - أن المصادر سجلت علاقة الثعبان بالعرافين ومعارفهم، فظهر الثعبان قادرا على منح العرافين موهبة التنبوء وفهم لغة الطيور، كما ارتبط بأماكن الوحي والنبوءة، وارتبط كذلك بالإله الراعى للنبوءة والعرافة أبوللون ومن قبله جايا.

(ج) علاقة الثعبان بالعلاج

ظهر الثعبان في الثقافة الإغريقية مرتبطا بالشفاء والعلاج، ومرتبطا كذلك بالشخصيات المقدسة المسؤولة عن الشفاء والعلاج والطب .

اسكليبيوس

تروى الأساطير عن اسكليبيوس أنه كان ابن أبوللون، دربه القنطور Κένταυρος خيرون Χείρων على فنون الطب وأحسن تدريبيه، حتى أصبح طبيبا ماهرا، يقدر على إعادة الحياة للموتى، ولكن زيوس أرسل صاعقة قتلت اسكليبيوس؛ حتى لا يجرد بلوتوس Πλούτος من وظيفته، وهى قبض الأرواح وإنهاء الحياة، فانتقم أبوللون من زيوس بأن قتل الكيكلوبيس الذين يصنعون الصواعق، فكان عقابه على ذلك أن يخدم في صورة آدمية في الأرض فترة من الزمان^١.

=Rohde (E.), *Psyche the Cult of Souls and Belief in Immortality Among Ancient Greeks*, Ares Publishers Inc., Chicago, 1987, p.90

Mitropoulou, *op.cit.*, p.79

Apd., 3.10.4

Diod.Sic., IV.71

نظر أهل إبيداوروس 'Επίδαυρος' إلى اسكليبيوس بوصفه مؤسس
التطبيب. وقد أعطته أثينا، بالإضافة لما تعلمه من أبوللون وخيرون عن الطب
والعلاج، قارورتين من دماء الجرجونة ميدوسا، القارورة الأولى امتلأت من
وريدها الأيسر، ويتسم دمها بأنه يعيد الموتى للحياة، أما القارورة الثانية فمن الوريد
الأيمن، ويردى محتواها إلى الهلاك. وفي رواية أخرى اقتسمت أثينا مع اسكليبيوس
القارورتين، حيث فضل اسكليبيوس أن يهب الحياة، وارتبط دور أثينا بسلبها في
الحرب. أعطت أثينا - في رواية ثالثة - لإريخثونيوس نقطتين: واحدة للقتل،
والأخرى للشفاء، وضعتهما في قارورتين، وأمرته أن يربطهما على خصره بأربطة
ذهبية.^٢

رفع الإغريق اسكليبيوس إلى مصاف الآلهة، وقيل إن زيوس وشم صورة
اسكليبيوس وهو يمسك ثعبانه الملف بين النجوم^٣. وكان أهل سيكيون^٤ Σικυών
يقصدونه في صورة ثعبان، وكان الفنانون يصورونه في إبيداوروس مستندا على رأس
ثعبان^٥. وتحكى الأساطير أن امرأة تدعى نيكاجورا Νικαγόρα، نقلته إلى
سيكيون على أحد بغال الجر في هيئة ثعبان^٦.

^١ - كانت مركز تجارى هام على الساحل الشرقى للأرجوليد وإلى الشمال الشرقى لليلوبونيزوس.
O.C.D., s.v. Epidaurus

^٢ - عن الروايات الثلاث راجع:

Graves, G.M., vol.II, p.153.

عبد المعطى شعراوى، سبق ذكره، جـ ٣، ص ١٧٣.

^٣ - Germ., Ar.Ph., 77ff

Ov., Met. 642ff

^٤ - كانت تقع شمالى شبه جزيرة البلوبونيزوس على بعد أحد عشر ميلا إلى الشمال الغربى من
كورنثوس.

O.C.D., s.v. Sikyon

^٥ - Paus.II.26.6, VIII.25.6, III.14.7, II.10.3

Strab., XIV.1.29

^٦ - Paus., II.XI.8, III.XXIII.7

يمكن القول - بناء على ما سبق - أن اسكليبيوس عُرف بقدراته العلاجية، وأنه لم يظهر فقط مع الثعبان، بل كان يظهر هو نفسه في صورة ثعبان. ارتبط كذلك إريخثونيوس، ثعبان أثينا، بالشفاء. أضف إلى ذلك أن مصدر الدم الشافي كان ميدوسا، ذات الثعابين المنبثقة من رأسها.

يشير أريستوفانيس إلى أن اسكليبيوس كان يعالج المرضى في معبده مستعينا بالثعابين،^١ فيما عرف باللجوء إلى المعبد للنوم ἐγκοίμησις أو κατακλίνειν، حيث تعتمد طريقة العلاج على نوم المريض في كنف المعبد، وعندما يخرج من المعبد يكون قد شفى تماما.^٢

هيجيا - Ὑγεία

كانت هيجيا ابنة اسكليبيوس وربة الصحة، تصور في الفن القديم مع اسكليبيوس وشقيقاتها، وأحيانا أخرى بمفردها، حيث تظهر في هيئة عذراء ذات ثوب طويل تطعم ثعبانا من طبق صغير، أو وقد التفت حول خصرها ثعبان (شكل ٣٧).^٣

=Ov., Met., XV.5

Liv., X.42

Ar., Pl., 735ff

١ -

٢ - عن اللجوء إلى المعبد للإستشفاء راجع:

فايز يوسف، " حضانة المعبد في معابد بلاد الإغريق ومصر"، مجلة الدراسات البردية، المجلد

التاسع، ١٩٩٣، ١٢٧-١٤٠.

٣ - عن هذه الأشكال الفنية راجع:

Mitropoulou, *op. cit.*, p.184ff

ميلامبوس وتروفونيوس وامفياراعوس

كان ميلامبوس، الذي وقع تحت تأثير ثعباني^١، له قدرات علاجية بوصفه معالجا، إذ عالج ايفيكلوس^٢ Iφικλος وبنات بروتيوس^٣ Πρωτεύς، كما يرجح بعض الباحثين^٤ أن تروفونيوس وامفياراعوس، المرتبطين بالثعبان، كانا لهما قدرات علاجية.

يمكن القول بناءً على ماسبق أن الثعبان ارتبط بالعلاج والشفاء من خلال استخدامه من قبل اسكليبيوس في العلاج، أو ملازمته للإله المعالج اسكليبيوس، أو تصور اسكليبيوس نفسه في صورة ثعبان، أو معاملته بتبجيل واحترام من قبل هجيا، ابنة اسكليبيوس ومعاونته، أو ارتباطه بمعالجين آخرين أمثال: ميلامبوس وتروفونيوس وامفياراعوس.

٤ (د) علاقة الثعبان بالتجدد

يظهر الثعبان في أكثر من مشهد مرتبطا ارتباطا وطيدا إما برمز من رموز الخصوبة، أو بشخصية مقدسة مانحة للخصوبة، وليس يخفى أن الخصوبة تمثل شكلا من أشكال تجدد الحياة والبعث، إذ أن آلهة الخصوبة في معظمهم ماتوا ليبعثوا، حيث يرمز موتهم للجذب وفصول الجفاف، بينما يعبر بعثهم عن الربيع

^١ - أنظر ص ٩٥ من هذا الفصل.

^٢ - ابن فيلاكوس الثسالي، كان سريعا في العدو، فكان يعدو فوق حقل قمح دون أن يثنى سيقان القمح. عالجه ميلامبوس من العقم.

Grimal, *op.cit.*, p.235

^٣ - عن هذه الأساطير راجع:

Graves, G.M., I.234f

Rohde, *op.cit.*, p.101-114

Harrison, *Prolegomena.*, p.348f

Mitropoulou, *op.cit.*, p.199

المثمر، بما يحمله من وفرة وإنبات وخصوبة. مات ديونيسوس Διόνυσος لبيعث، وكذا أوزيريس، إله الخصوبة المصري، وتموز أو دموزى، إله الخصوبة الرافدى، وآتيس، إله الخصوبة الفريجى، وأدونيس، إله الخصوبة الفينيقي، وغيرهم من الذين تتجدد حياتهم كل عام.

زيوس حامى الممتلكات وزيوس الرؤوف والديوسكورى

كان الإغريق يتقربون إلى زيوس تحت لقب حامى الممتلكات وكذلك زيوس الرؤوف^١ ليس طمعا فى الحماية فحسب، بل واستجداءً للخصوبة والنماء، كما كانوا يفعلون ذلك أيضا مع الديوسكورى، حيث توفر الأدلة الأثرية مشاهد عديدة تصور زيوس الرؤوف، وزيوس حامى الممتلكات، كل على حدا مع الثعبان، أو فى شكل ثعبان، بينما يظهر قرن الوفرة ملازما لهما ليرمز لعلاقة الإله بالخصوبة، بوصفه حاميا لها^٢، حيث كان ظهور الثعبان فى بعض الأعمال الفنية ملتفا حول قرن الوفرة، الرمز الدائم للخصوبة^٣، دليل واضح على اقتران الثعبان بالخصوبة وتجدد الحياة.

* ديميتير Δημήτηρ وتريبتوليموس Τριπτόλεμος وكخريوس Κυχρεῖος

يبدو أمرا طبيعيا أن تجد ديميتير إلهة الخصوبة عند الإغريق، ورفيقها تريبتوليموس، وكذلك كخيريوس، مرتبطين جميعا بالثعبان، إذ تظهر الأعمال الفنية ديميتير وقد التف حول جذعها ثعبان، أو صور معها ثعبان^٤ (شكل ٣٨)، كما كانت

^١ - سبق الحديث عنهم ص ٦٨ وما بعدها.

^٢ Harrison, *Themis*, p.298ff

^٣ Deane, *op.cit.*, p.195

Cook, *op.cit.*, vol.III, p.1128

Mitropoulou, *op.cit.*, p.155

^٤ Ibid, p.288, 37

Cook, *op.cit.*, vol.I.546, vol: III, p.1111

ديميتر - بوصفها إلهة للأركاديين - تصور وهناك ثعابين ملتفة حول شعرها.^١
وتروى الأساطير أن ديميتر أرسلت تريبتوليموس، بعد أن علمته أسرار الزراعة؛
لينشر ما تعلمه، حيث جهزته بعربتها التي كانت تجرها الثعابين (شكل ٣٩).^٢
وتصور الأدلة الأثرية تريبتليوس نفسه مع الثعابين،^٣ كما كان كخريوس خادم
ديميتر ورفيقها يصور في صورة ثعبان.^٤

ديونيسوس

لم يكن ديونيسوس إله الخصوبة بعيدا عن الثعبان، إذ تروى الأساطير أن
زيوس قد ضاجع برسيفوني Περσεφόνη متخذا صورة ثعبان، وعندما شعرت
برسيفوني بحمل في أحشائها ووضعت مولودها، لم تضع إلها في صورة ناسونية،
بل وضعت ثعبانا ضخما هو الإله ديونيسوس ساباتزيوس Σαβάζιος، الذي
كانت النساء في شعائره يمسكن بالثعابين، ويلتقن بها، ويلفنها حول رؤوسهن،
وكن يعرفن بالمايناديس Μαινάδες، أو النساء المخبولات (شكل ٤٠).^٥

^١ Hastings, s.v serpent, p.404

^٢ Apd., I.5.2

Hom.H.Cer.,231-274

^٣ Mitropoulou, *op.cit.*, p.39

^٤ - عن كخريوس وعلاقته بالثعبان راجع الفصل الرابع.

^٥ Clem.Al.,Protr.2

E.,Ba.,1017

Harrison, *prolegomena*,p.417-420

^٦ E., Ba.101,687

Athen., Deip.,V.28

Clem.Al.,Protr.II.12

Harrison, *prolegomena*,p.388-400

Mitropoulou,*op.cit.*,p.41

كيبيلى

لا شك أن ارتباط الثعابين بالإلهة الأم كيبيلى Kυβέλη ، إنما هو ارتباط بالخصوبة، إذ أن الإلهة كيبيلى عرفت بوصفها إلهة طبيعة، يخطب ودها طمعا فى الخصوبة والرخاء^١.

الروح الطيبة

شكلت الروح الطيبة ذات شكل الثعبان رمزا للخصوبة، فكانت أبواب المنازل تفتح لاستقبال الروح الطيبة مانحة الرخاء وحامية النماء، وظل هذا الاعتقاد فى الروح الطيبة حتى ظهور المسيحية، فكانت الروح الطيبة فى عهد الإمبراطور نيرون تُصور على العملات بجوار عرنوس ذرة مع نقش يصف فيه نيرون نفسه بالروح الطيبة الجديدة، بينما يصف نفسه فى أحد النقوش بأنه الروح الطيبة للعالم، مما يعطى إحياء أنه مانح الحماية والخصوبة والرخاء (شكل ٤١).^٢

مما رصده البحث من علاقة للثعبان بالحماية والنبوءة والعلاج والخصوبة، يتضح أن الإغريق أعلوا من قدر الثعبان وبجلوه، ورأوا فيه النفع كما رأوا فيه الضرر، إلا أن نظرهم للثعبان تصيب المرء بالارتباك والتخبط، فلا يدرك هل قدس الإغريق الثعبان أم نبذوه؟، وحتى نصل إلى إجابة مرضية فإنه من الضرورى معرفة كيف ومتى نشأت أفكار الإغريق عن الثعبان؟ وهل مرت بمراحل تطور أم ظلت جامدة؟ وما هى العوامل التى ساعدت فى نشأة هذه الأفكار واستمرارها؟، وهذا ما سوف يناقشه البحث فى الفصل التالى.

^١ - عن ارتباط كيبيلى بالخصوبة والثعبان راجع:

Deane, *op. cit.*, p.207

Mitropoulou, *op. cit.*, p.34

Rohde, *op. cit.*, p.207

Harrison, *Themis*, p.277f

الفصل الرابع

نشأة الأفكار عن الثعبان وتطورها

(أ) الأصول الخاصة للأفكار عن الثعبان

(ب) الأصول العامة للأفكار عن الثعبان

تتسم الأفكار التي اعتنقها الإغريق عن الثعبان بالتنوع والألفة؛ حيث ارتبط الثعبان بأفكار عديدة ومختلفة، كما أن أحدا من القدماء لم يستنكر ارتباطه بهذه الأفكار. ويلاحظ الباحث أن الإغريق المغرمين بالأصول والأسباب لم يربطوا أيا من هذه الأفكار مع بعضها البعض، ولم يقدم أحد من الكتاب الإغريق تفسيراً أو تصوراً أو اقتراحاً يؤصل فيه للأفكار عن الثعبان؛ من ثم فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن، من أين نشأت الأفكار التي كوَّنها الإغريق عن الثعبان؟ ومتى؟ وما هي مراحل تطورها؟ وهل كان مصدرها واحداً، أم تعددت مصادرها؟، حيث تحمل الإجابة على هذه الأسئلة تفسيراً لما عرفه الإغريق عن الثعبان، وعرضه الباحث في الفصلين السابقين.

لم تكن الصورة التي جسدها الثعبان في ذهن الإغريق وليدة العصر الكلاسيكي، وإنما كان لها أصول بعيدة. نشأت هذه الأصول منفردة، ثم تضافرت مترابطة ومجتمعة، وأدت لبعضها البعض، مما رسَّخ هذه المعتقدات في الفكر الإغريقي. ويمكن القول أن الأفكار التي كوَّنها الإغريق عن الثعبان كان لها أصول خاصة وأصول عامة.

الأصول الخاصة: هي أصول نشأت وتطورت على أرض البلقان والجزر المحيطة، ونتاجت من عقيدة سكان المكان، وتطورت مع تغير التركيبة السكانية.

الأصول العامة: هي أصول يشترك فيها الإغريق مع غيرهم من أصحاب الحضارات الأخرى؛ مما أفرز بالتالي توافقاً في بعض الأفكار بين الإغريق وغيرهم من الشعوب عن الثعبان.

(أ) الأصول الخاصة للأفكار عن الثعبان

١ - الأصل المينوى

تمثل أسطورة جلاوكوس Γλαῦκος بن مينوس Μίνως^١ بالنسبة لهذا البحث - واحدة من أهم الأساطير التي ابتدعها الإغريق، وتتبع هذه الأهمية من الأفكار المجتمعة التي حوتها الأسطورة عن الثعبان، والتي تماثل الأفكار المألوفة عنه عند الإغريق. ويزيد من أهمية هذه الأسطورة الزمان والمكان، اللذان دارت فيهما أحداث الأسطورة، كما سيوضح الباحث.

رواية الأسطورة

يروى أبوللودوروس عن جلاوكوس أنه عندما كان طفلاً، رأى فأراً، وبينما كان يطارده، سقط في جرة عسل وانغمس فيها، وعندما استشعر والده مينوس اختفاه، بحث عنه في كل مكان، واستشار عرافة الكوريتيس^٢ Κούρητες، فأخبروه أن في ماشيته بقرة ذات ثلاثة ألوان مختلفة، وأن الشخص الذى يستطيع أن يعطى أفضل توصيف لألوان البقرة، سوف يعيد إليه ابنه حياً. جمع مينوس العرافين على الفور، واستطاع بوليديوس Πολύειδος

١- كان هناك أكثر من شخصية أسطورية حملت اسم جلاوكوس، مثل جلاوكوس ابن سيسيفوس Σίσυφος وميروبي Μερόπη، ووالد بيليروفون، وملك كورنثة، وجلاوكوس ابن هيپولوخوس Ἱππόλοχος، وحفيد بيليروفون وحاكم اللوكيين، إلا أن أشهرهم، بالإضافة لابن مينوس، كان صيادا بيوتيا، من انثيدون، أكل عشباً غريباً، كما فعل جلاوكوس ابن مينوس، وتحول نتيجة ذلك إلى إله بحر، وبالرغم من أن آلهة البحر كانت تكرم وفادته إلا أنه ظل دائماً أحد الآلهة المغمورة. وكان يتمتع بالقدرة على قراءة الغيب ومعرفة الطالع.

٢- مجموعة من الحوريات أقامت ربا ليحمين الطفل زيوس من كرونوس، وليقمن على خدمته.

من بين العرافين أن يحل اللغز مقارنا لون البقرة بثمرة العَلِّيق^١، فأجبره الملك مينوس على البحث عن الطفل، وظل بوليديوس يبحث حتى اهتدى - بطريقة ما - من طرق العرافة - إلى الطفل الميت في جرة العسل، لكن مينوس أمره أن يعيده للحياة، وحجزه مع الجسد الميت في القبر.

"...وبينما كان في حيرة شديدة، رأى ثعبانا يذهب في اتجاه الجسد، فألقه بحجر وقتله، خوفا من أن يُقتل هو نفسه، إذا وقع للجسد أي أذى، لكن ثعبانا آخر أتى، ورأى الثعبان الأول ميتا، رحل، وبعد برهة عاد، حاملا عشب، ووضع على كل جسد الآخر، وما إن وضع العشب عليه إلا وعاد الثعبان الميت إلى الحياة، طبق بوليديوس المندehش من هذا المشهد نفس العشب على جسد جلاوكوس وأقامه من الموت"^٢

^١ - يعرف أيضا بالتوت البري، وهو عبارة عن شجيرة شائكة متسلقة يصل ارتفاعها إلى أربعة أمتار لها أوراق مروحية الشكل، وازهارها بيضاء إلى قرنفلية وعناقيدها من العنبات السوداء. ويوجد من العليق عدة أنواع في جميع اقطار العالم، وثماره توتية، وهي خضراء في البداية، ثم تحمر، وعند النضج تصبح سوداء اللون وفي داخلها بذور صغيرة. يعرف النبات علميا باسم *Rubus fruticosus*.

Encyclopædia Britannica, s.v. blackberry

Apd., 3.3.1ff

—^٢

"...ἐν ἀμνηχανία δὲ πολλῇ τυγχάνων εἶδε δράκοντα ἐπὶ τὸν νεκρὸν ἰόντα· τοῦτον βαλὼν λίθῳ ἀπέκτεινε, δείσας μὴ ἂν αὐτὸς τελευτήσῃ, εἰ τούτῳ συμπάθῃ. ἔρχεται δὲ ἕτερος δράκων, καὶ θεασάμενος νεκρὸν τὸν πρότερον ἄπεισιν, εἶτα ὑποστρέφει πόαν κομίζων, καὶ ταύτην ἐπιτίθῃσιν ἐπὶ πᾶν τὸ τοῦ ἑτέρου σῶμα· ἐπιθεθείσης δὲ τῆς πόας ἀνέστη. θεασάμενος δὲ Πολύιδος καὶ θαυμάσας, τὴν αὐτὴν πόαν προσενεγκὼν τῷ τοῦ Γλαύκου σώματι ἀνέστησεν."

عن قصة موت جلاوكوس وبعثه أنظر أيضا:

Tz, ad Lyc, 811

Apostol., Cent., 48

Palaeph., 27

Hyg., Fab.136; Astr., II.14

الأفكار التى حوتها الأسطورة

ظهر الثعبان - كما يبدو من الأسطورة - وهو يعلم العراف، ويوحى إليه بأفكار لم يكن العراف على علم بها، فظهر أكثر علما من العراف، ومصدر معرفة وإحياء له، كما ظهر الثعبان كذلك على علم بأسرار الأعشاب، وقادرا على العلاج والمداواة والشفاء، واستطاع الثعبان أن يعيد العافية لرفيقه، ويجدد فيه الحياة؛ من ثم يمكن القول أن الأسطورة تربط بين الثعبان والعراف، وبين الثعبان والعلاج، وبين الثعبان وتجديد الحياة، وهى الأفكار التى رصدها البحث متفرقة فى أساطير ومصادر مختلفة، مما يدفع الباحث لترجيح أن أسطورة جلاوكوس أسطورة تسترعى الاهتمام بوصفها أسطورة أصيلة جامعة.

مكان وزمان الأسطورة

دارت أحداث أسطورة جلاوكوس فى أبهاء قصر مينوس المنيّف، ذلك القصر الذى كان مسرحا لأحداث العديد من الأساطير، كما كان صاحب القصر - الملك مينوس - من الشخصيات الأسطورية التى دارت حولها أساطير عديدة^١، وأعطت أساطيره لمحات عن حضارة قديمة قامت فى كريت، ثم أثبتت الاستكشافات الأثرية حقيقة وجودها، وتم كشف النقاب عن قصر مينوس؛ مما يجعل الأساطير حول الملك وقصره تستحق المراجعة بوصفها مادة ترقى لمستوى الحقائق التاريخية غير المكتوبة عن حضارة كريت.

الإلهة - الثعبان المينوية

تشجع المكتشفات الأثرية المرء على البحث عن وجود اهتمام ما بالثعبان فى البقايا الأثرية لحضارة كريت، حيث اكتشف إيفانز فى ٢٣ مارس عام ١٩٠٠ فى تل كفالاً Καβάλα موقع قصر كنوسوس، وفى

^١ - من الأساطير التى دارت حول الملك مينوس وقصره : أسطورة ثيسوس، وأسطورة أريادنى، وأسطورة المينوتاوروس، وأسطورة باسيفاي، وأسطورة ديدالوس.

أثناء الشهور القليلة التالية نبش فدانين من الموقع كانا يحجبان عددا من الحجرات غير المسقوفة بامتداد الجانب الغربى، مما عُرف بعد ذلك ببلاط القصر المركزى، إلا أن الاكتشافات المثيرة كانت حجرة العرش، وحجرة المركبات الحربية Chariot Tables، والمنطقة التى بها حجرة الجرة الطويلة Tall Pithos، والحجرة الصغيرة ذات الفتحتين، والتى ليس بها سوى خزانات تحت أرضيتها. لاحظ ايفانز بعد ثلاث سنوات تحديدا فى عام ١٩٠٣ أن البلاط حول هذه الخزانات الأرضية خائرا، وكشف عند الحفر فى هذا المكان عن خزانتي من الحجارة الضخمة، أو هما بالأحرى محرابين، شرقى وغربى، ووجد العديد من القطع الأثرية فى المحراب الشرقى (شكل ٤٢)، بينما وجد جزء من أحد التماثيل الصغيرة فى المذبح الغربى، وكانت هذه القطع التى وجدت فى المحرابين غاية فى الأهمية بالنسبة لهذا البحث^١.

القطعة الأولى: عبارة عن تمثال لأنثى يرتفع ٣٤,٢ سم (شكل ٤٣)، ترتدى قلنسوة طويلة، وقلادة، ورداء يتكون من صدر (مشد) مطرزة، مع مشد للوسط مضفر، وتتوردة ذات مئزر مزدوج، بينما أنسدل شعرها خلف كتفها، ويبدو صدرها ممثلا وعاريا تقريبا، وتظهر ثلاثة ثعابين ملتفة حول هذه المرأة، التى تمسك رأس واحد من هذه الثعابين فى يدها اليمنى، ويلتف الثعبان بجسده صاعدا مع ذراعها لأعلى، بعد ذلك يهبط جسده خلف الأكتاف، ليصعد مرة أخرى للذراع الأيسر هابطا للكف الأيسر، الذى يمسك بالذيل. الثعبان الآخران، الملتفان حول الفخذين بأسفل، تضفرا وتشابكا ليشكلا أنشودة (عقدة)، ويظهر رأس واحد من هذين الثعبانين فى منتصف هذه الأنشودة الثعبانية، ويستمر حتى أسفل

١- عن استكشافات ايفانز فى كريت وكيفية اكتشافها راجع:

Horwitz (S.), *The Find of a Lifetime: Sir Arthur Evans and the Discovery of Knossos*, Viking Press, New York 1981, ch:1 passim

مقدمة المنزر، بينما يصعد ذيله إلى حافة الصدر، ثم إلى الرقبة، حيث يلتف حول الأذن اليمنى. يصعد الثعبان الثالث- الذى يشكل نهاية ذيله جزءاً من ضفيرة حول الفخذين- بطول التطريز الأيسر للصدر إلى أعلى حتى الأذن اليسرى، ويلتف أعلى حول القلنسوة، حيث يبرز رأسه. ويمثل هذا الشكل الإلهة المينوية.^١

القطعة الثانية: تمثال لأنثى يرتفع ٢٠ سم (شكل ٤٤)، وتبدو الأنثى أكثر رشاقة من سابقتها، وتشارك هذه القطعة مع القطعة الأولى فى الصدر ومشد الوسط والثديين العاريين، وترتدى الأنثى، التى يصورها التمثال، تنورة مهدبة من سبعة أهداب تلامس الأرض، ويوجد أعلى هذه التنورة منزر مزدوج، وينسدل الشعر خلف الفخذين، ويظهر على ذراعها الأيمن، الذى زين بسوار، ثعبان صغير تمسك به من الوسط، رأسه لأسفل وذيله لأعلى، بينما فقد الساعد الأيسر، ويبدو أنه كان يمسك ثعباناً بطريقة مشابهة للأيمن. هذا الشكل وجدته ايفانز ونشره لأول مرة بدون الرأس، بعد ذلك اكتشف الرأس الذى يعلوه قبعة، وقد برز منها مسمار برشمة (عاشق)، ثم وجد بعد ذلك هرة جالسة من الخزف، بها من أسفل تجويف (معشوق)، يناسب مسمار البرشمة فى القبعة، فوضع ايفانز الهرة أعلى القبعة، ويرجح ايفانز أن هذا التمثال كان لكاهنة الإلهة.^٢

^١ Evans (A.), *The Palace of Knossos*, Annual of the British School in Athens, 9, 1902-03, PP. 74. fig. 54-57

Idem, *The Palace of Minos*, Macmillan, London, 1921. vol. I. P. 500. fig. 369-362

Nilsson, *Minoan-Mycenaean religion and its survival in Greek religion*, lund, 1950., p.84f

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه اختصاراً بـ (M.M.R.)

^٢ Evans, *The Palace of Knossos*, p. 77-80

Idem, *The Palace of Minos*, vol: I, p.501-505, III. p. 440-442

عن هذا الشكل قبل أن يتم إصلاحه راجع:

لم تكن اكتشافات إيفانز الخاصة بالإلهة وكاهنتها الوحيدة من نوعها، حيث اكتشف الأثرى الأمريكى هاريت بويد Harriet Boyd تراكوتا لأنثى، يلتف ثعبان حول جسدها وكتفها وذراعها الأيمن، في مذبح موجود في جورنيا بكريت، يرجع تاريخه إلى ما بين ١٣٥٠-٢٠٠٠ ق.م.

اكتشف كذلك المنقب الإيطالى فديريكو هالبهير Federico Halbherr شذرات لخمسة تماثيل أو ما يزيد، وهى تماثيل صغيرة لأنثى داخل مقبرة فى برينياس Πρινιάς بالقرب من جورتيνα Γόρτυνα^١، والتي يظهر بها فى معظم الحالات ثعبان فى نحت بارز أسفل الذراع، ويوجد تماثيل آخر محفوظة فى بوسطن، غير معروف أين؟ وكيف تم اكتشافه؟، وهو عبارة عن تماثيل لأنثى ترتدى تنورة ذات أربعة أهداب، مزينة وموشاة بشرائط من ألواح ذهبية رقيقة، وتظهر أنشودة من الذهب عند فخذيهما، وصنعت كذلك سواعدها التى تلتف حولها الثعابين من الذهب، كما صنعت رؤوس بعض الثعابين من الذهب أيضا، ويعلو رأس الأنثى تاج عالى^٢.

=Ibid., vol. I, p. 502 – 3 fig. 360 – 1

عن صور ملونة لشكل الكاهنة راجع :

Jones (B.R.), *Revealing Minoan Fashions*, Archaeology . 53.3, 2000, P.39

Foster (K.P.), *Aegean Faience of the Bronze Age*, Yale University Press 1979. P. 72

عن المذبح الشرقى ومحتوياته راجع:

Evans, *The Palace of Minos*, vol. I, PP. 495

عن الإلهة الثعبان راجع:

Gaskey (L.D.), *A Chryselephantine Statue of the Minoan Snake Goddess*, Museum of Fine Arts Bulletin (Boston) , 12, 1914, 51ff

^١ - مدينة فى كريت تبعد بحوالى ٤٥ كم، عن عاصمتها الحديثة إراكليو Ηράκλειο .

^٢ - Nilsson, M.M.R., p.312

Evans, *The Palace of Minos*, vol.III. 439 – 43

وظيفتها في رأى الباحثين

بات من الراجح-اعتمادا على هذه المكتشفات الأثرية- أن المينويين قدسوا الإلهة-الثعبان، وأفسحوا لها المجال في محراب القصر الملكى لتتسيد بوصفها إلهة كبرى، إلا أن الخلاف فى رأى بين الباحثين كان حول وظيفة هذه الإلهة، فيرى ايفانز^١ أن الثعبان وهو رافع رأسه أعلى قلنسوة الإلهة يعيد إلى الذهن الصل الملكى Uraeus ، الذى يعلو رأس حتحور والإلهات المصريات الأخريات، كما كان الثعبان رمز إلهة الدلتا وادجيت Wadjet، التى يفترض ايفانز تأثر الفن المينوى بها، ويرجح ايفانز^٢ أن الإلهة-الثعبان المينوية كانت إلهة عالم سفلى. بينما يرجح بيكارد^٣ أن الإلهة المينوية والثعابين المصاحبة لها كانوا يحمون الموتى، ويرى كذلك أنها كانت تعبد في طقوس منزلية عائلية، إلا أن نيلسون يعارضه فى ذلك، حيث يستبعد نيلسون^٤ أن تكون قد عبت فى عبادة منزلية بوصفها إلهة عالم سفلى، ولكنها من وجهة نظره لعبت دور الإلهة الحامية للمنزل. ويرى جيرالدينى جيسيل Geraldine Gesell أن الإلهة-الثعبان لم تعبد فى عبادة منزلية؛ ذلك أنها كان لها وظيفة أوسع مفترضا أنها كانت أما كونية، أو إلهة أرضية منوطة بالخصوبة^٥. وبعد أن ناقشت بيرنيس جونز^٦ Bernice Jones مواصفات ودلالات الملابس التى ترتديها كاهنة

Evans, *The Palace of Minos*, vol.I.,p.509

Ibid., vol. IV, p. 187

Picard (C.), *Les religions préhelléniques: Crète et Mycènes*, Univ. de France, Paris, 1948,P.113ff

Nilsson,M.M.R.,p.323-5

Gesell (G.), *Town, palace, and House cult in Minoan Cnete*, paul Astroms Forlage, Goteborg , 1985,

apud <http://witcombe.sbc.edu/snakegoddess/>

Jones , *The Minoan" Snake Goddess" new interpretations of her Constume and indentity*, Aegaeum,22,2001,259-264

الإلهة، ومقارنتها بتمثيلاتهما في مصر والشرق الأدنى والكتاب المقدس، استنتجت أن هذه التماثيل، من خلال ملابسها وعدد الأهداب في التتورة، تعبر عن مراتب من الكاهنات في سلك التدرج الكهنوتي، في حين ترى جيمبوتاس^١ Gimbutas أنها كانت إلهة مرتبطة بالخصوبة والماء، وأنها كانت تلقى قبولا في عبادتها. وتشير ألينا^٢ Alena إلى أن هناك تأثيرا من مصر والشرق الأدنى على الفكر المينوي عامة وعلى هذه الإلهة بصفة خاصة، وتستنبط أن هذه الإلهة كانت مرتبطة بالبعث والتجدد، أما كريستوفر Cristopher فيؤيد وجود تأثير مصري متمثلا في الإلهة المصرية وريت - هيكاو Weret-hekau ، إلهة السحر والحماية السحرية للطفل والمرأة، ويرجح أنه كان للإلهة-الثعبان طقوس سحرية خاصة في مذبج القصر، تشارك فيها الفتيات في فترة الحيض طلبا للخصوبة، ومن ثم يعتقد أن عبادتها كانت عبادة نسائية منزلية مرتبطة بالخصوبة وحماية المرأة بالوسائل السحرية^٣.

امتدادها من الإلهات الإغريقيات

يرى سالومون Salomon^٤ أن أرتميس Artemis^٥، بوصفها سيدة الأحرار والمسيطرة على الحيوانات، تتناسب الإلهة الثعبان ذات الصورة الحيوانية، إلا أن هذا الرأي لا يرجع صدى؛ عل السبب في ذلك

^١ Gimbutas (M.), *The Goddesses and Gods of Old Europe , 6500-3500BC - Myth and Cult Images*, Thames and Hudson, London, 1982, p.152ff

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه إختصارا بـ (G.G.O.E.)

^٢ Minoan Snake Goddess

http://www.pantheon.org/articles/m/minoan_snake_goddess.html/

^٣ Minoan Snake Goddess

<http://witcombe.sbc.edu/snakegoddess/>

^٤ Reinach (S.), *L'Artémis Arcadienne et la Déesse aux Serpents de*

Cnossos, Bulletin de Correspondance Hellénique, 30, 1906, 150-160

هو ندرة الأدلة التي تربط بين أرتيميس والثعبان. بينما يعتبر البعض^١ أن الإلهة الإغريقية أثينا تمثل امتدادا طبيعيا للإلهة المينوية، اعتمادا على ارتباطها بالطيور وعلى وجه الخصوص البومة، وكذلك ارتباطها بشجرة مقدسة^٢ بالإضافة إلى ارتباطها بالثعبان، وكانت الشجرة والطائر والثعبان من رموز العبادة التي وجدت في ديانة المينويين. ويرى نيلسون، الذي ربط الإلهة-الثعبان بالحماية، أن علاقة أثينا بالحرب نابعة من علاقتها بالإلهة-الثعبان، التي كانت في العصر المينوي حامية للمنزل، ثم أصبحت في العصر الموكيني إلهة حامية تحمي الملك والرعية في الحروب، على وجه الخصوص وأن الشعب الموكيني كان شعبا محاربا.^٣

تتلخص الآراء السابقة في احتمال كون هذه الإلهة مرتبطة بالخصوبة والتجدد، أو العالم السفلي، أو الحماية، وقد أرجع كل من إيفانز وجونز وأليناو كريستوفر هذه الإلهة إلى أصل مصري، وافترضوا بناءً على ذلك وظيفتها. ورشح سالمون أرتيميس كامتداد للإلهة-الثعبان، بينما يرى نيلسون وآخرون أن أثينا هي الأقرب لذلك.

يتفق الباحث مع الرأي القائل بأن أثينا تمثل امتدادا للإلهة-الثعبان؛ ذلك أن أثينا كانت أكثر الإلهات الإغريقية ارتباطا بالثعبان، فبالإضافة لارتباط أثينا بأساطير شخصيات كانت لها صلة بالثعابين، أمثال هيراكليس، وكادموس، وكيكروبس Κέκροψ، وإريخثونيوس، وارتباطها بـثعبان الأكروبوليس، فإن الاستشهادات الأثرية تعضد ذلك

^١ Harrison, *Prolegomena*, p.303-7

Nilsson, *M.M.R.*, p.496ff

Gimbutas, *G.G.O.E.*, p.147f

Nilsson, *M.M.R.*, p.498f

Gimbutas, *G.G.O.E.*, 147f

Harrison, *Prolegomena*, p.500

Gimbutas, *G.G.O.E.*, p.149

بشكل واضح، فيبدو على كأس من بيوتيا^١ ثعبان ضخّم خلف أثينا، كما يجثم طائر ما فوق المذبح في خلفية المشهد، ومن الجدير بالذكر أن هذه المزهرية من بيوتيا وليست من أثينا، مما يبرهن على أن الثعبان لم يكن حيوان أثينا المقدس في مدينة أثينا فقط، حيث كان ثعبان الإلهة أثينا معروفا للمدن الأخرى، ويزيد من تأكيد هذه الفكرة التمثال المصنوع من الذهب والعاج بيد فيدياس Φιδίας في البارثينون Παρθενών (شكل ٤٥)، حيث يصور هذا العمل الفني ثعبانا ضخما يختبئ تحت ترس الإلهة، ويرجح باوزانياس أنه

"...قد يكون هذا الثعبان إريخثونيوس"^٢.

كما يظهر ثعبان ملتف حول شجرة زيتون في الوسط، على مزهرية موشاة بالرسم البارز^٣، تصور النزاع بين أثينا وبوسيدون. وهذا العمل عبارة عن نسخة مستوحاة من الجزء الأوسط للزخارف الغربية للبارثينون.

تظهر عربة الإلهة أثينا يجرها ثعبانان كبيران على غطاء صندوق خشبي πυξίς، محفوظ في المتحف القومي بكوبنهاجن^٤.
يظهر على قنينة زيت λήκυθος كل من باريس Πάρις وأثينا، ويقف الثعبان إلى جوار أثينا، وقد بدى في نفس كبر حجم الإلهة نفسها^٥. (شكل ٤٦)

Nilsson, M.M.R., p.492

Paus.1.24.7

"...εἴη δ' ἄν Ἐριχθόνιος
οὗτος ὁ δράκων."

Cook, *op.cit.*, vol. III, pp.764,

Farnell, C.G.S., vol.IV.pl.Xa

Roscher, *Lex. d. Myth.*, vol. III, p.1618

Nilsson, M.M.R., p.497

١

٢

٣

٤

٥

تصور قنينة زيت أخرى كاسندرا تفر من اياس Aïας ملتجئة لتمثال أثينا، وفي الصدارة يهاجم الثعبان بضراوة البطل اياس، الذى دنس المعبد^١. (شكل ٤٧)

يصور كذلك إناء ماء، محفوظ فى برلين، مشهد توضحية لأثينا، حيث تجلس الإلهة ومعها قنينة فى يدها اليمنى، وتحمل خوذتها فى يدها اليسرى، ويظهر عند قدميها جزء من ثعبانها^٢.

وتوضح أسطورة بنات كيكروبس، بالإضافة لما سبق، أن ارتباط أثينا بالثعبان كان قديما قدم المدينة، فأثينا طلبت منهن أن يحافظن على الصندوق الذى أخفت فيه الطفل إريخثونيوس، أحد الملوك الأوائل لمدينة أثينا، فعصينها وفتحن الصندوق، فوجدن ثعبانا ضخما، خرج من الصندوق، وأثار الفزع فى نفوسهن. ويظهر هذا المشهد على مكيال خمر πελίκη، محفوظ فى المتحف البريطانى^٣. (شكل ٤٨)

يتضح مما سبق كيف كانت أثينا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالثعبان؛ مما يجعلها مؤهلة لتكون وريثة هذه الإلهة، وسوف يفرد الباحث السطور التالية لتقديم تصوره فى نشأة وتطور الإلهة-الثعبان وصولا إلى أثينا.

جذور الإلهة-الثعبان

تنتشر اللقى الأثرية المكتشفة فى جنوب أوربا وشرقها وجنوبها الشرقى، والتى تبرهن على أصالة الإلهة-الثعبان المينوية وعمق جذورها. وتعود هذه المكتشفات الأثرية إلى أوائل العصر الحجرى الحديث حوالى ٦٥٠٠ ق.م. إلى حوالى ٣٥٠٠ ق.م.، وقد استمرت بعد ذلك فى شبه جزيرة البلقان وجزر

Harrison, *Prolegomena*, p.306, fig.85

Harrison, *Themis*, p.145 fig.25

Farnell, *C.G.S.*, vol.I., Pl.XIVb

Harrison, *Prolegomena*, p.133, *Themis*, p.264

الكيكلاديس وجزيرة كريت في صورة الإلهة الثعبان المينوية إلى حوالى عام ١٥٠٠ ق.م.^١

تنوعت اللقى الأثرية مابين أشكال ثعبانية على أوانى فخارية (شكل ٤٩)، أو أشكال طوطمية (شكل ٥٠)، تجسد الإلهة-الثعبان، أو أشكال مسخية هجينة لإلهة ذات شكل آدمى وبدلاً من أطرافها ثعابين (شكل ٥١)، أو إلهة ناسوتية الشكل تحمل ثعبانا أو أكثر (شكل ٥٢).^٢

لم يناعز الإلهة-الثعبان انتشاراً في أوربا القديمة سوى الإلهة-الطائر، التى تنوعت أشكالها بصورة مشابهة للإلهة-الثعبان، وانتشرت كذلك فى نفس الأماكن منذ الألف السادس ق.م.، ومثلت المكتشفات الخاصة بالإلهتين معا ما يقرب من أربعين بالمئة من مكتشفات أوربا القديمة.^٣

عندما توافد الهندوأوروبيون إلى أوربا فى الألف الرابع ق.م. بدأت الإلهة-الطائر تختفى تدريجياً مع بداية الألف الثالث ق.م. من أوروبا، إلا أنها بقيت بقوة فى كريت، بل زادت بإطراد الأشكال الفنية التى تصور الطيور والثعابين، والنساء ذوات الأجنحة أو النساء المصاحبات للثعابين، كما يتضح من مخلفات عصر الصروح المينوية العظيمة التى بنيت ما بين ٢٠٠٠ ق.م. و ١٧٠٠ ق.م.^٤

الإلهة-الثعبان وميدوسا

يرجح الباحث أن هناك دمجا حدث بين الإلهة-الثعبان والإلهة-الطائر فى أواخر العصر المينوى، فتم التعلد إليهما بوصفهما إلهة واحدة، ويمكن-

^١ - Gimbutas, *The Language of the Goddess*, Thames & Hudson, London, 1989.p.122

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سوف يشار إليه اختصاراً بـ (L.G.)

^٢ - Idem, *G.G.O.E.*, p.101

^٣ - Dexter, *Whence the Goddess*, p.4-5

Gimbutas, *L.G.*, p.126

^٤ - Idem, *G.G.O.E.*, .146

Dexter, *Whence the Goddess*, p.6,12

ببعض التصور وبناء على شكل الإلاهتين - القول بأنها كانت تُصور في هيئة أنثى لها جناحان وتحمل ثعابين. ويرى الباحث في ميدوسا امتدادا لهذه الإلاهة التي لم يتبق منها سوى القناع^١، حيث يرجح الباحث أن الإلاهة - الثعبان - الطائر كان لها رنك خاص هذا الرنك عبارة عن وجه الإلاهة يحفه جناحان ويتدلى منه ثعبانان أو أكثر، والذي عرف بعد ذلك بقناع الجورجونة^٢ γοργόνειος (شكل ٥٣)، كما يرجح الباحث أن هذا الرنك نتج عن تأثر المينويين بالشكل

^١ - تعود فكرة القناع إلى العصر الحجري القديم، وامتد استخدامه إلى العصر الحجري الحديث في أنحاء مختلفة من العالم. تظهر الأشكال المقنعة على الأعمال الفنية من كريت، والتي تعود إلى العصر المينوي، كما يبدو من المزهريات والخواتم والأختام، وامتد استخدام الأقنعة إلى العصر الموكيني والعصور اللاحقة له، حيث استخدم في الأعمال الفنية والطقوس الدينية والاحتفالات، فتصور إحدى المزهريات مشهدا لعمود عليه رداء ويعلوه قناع ليعبر عن الإله ديونيسوس. كان الكهنة والراقصون والعازفون يرتدون الأقنعة في احتفال أرتميس Corythalia في إيطاليا، حيث يحتفلون بالرقص مرتدين أقنعة خشبية تكريما للإلاهة، كما تم العثور على أقنعة طينية في معبد أرتميس Orthia في اسبرطة تعود للقرن السابع ق.م. ظل استخدام الأقنعة كذلك في المسرح الإغريقي فكانت الجوقة ترنّد أقنعة الحيوانات والطيور والأسماك والحشرات والمسوخ، ولم تكن هذه الأقنعة المستخدمة في المسرح إلا امتدادا لقناع العصر الحجري القديم.

Gumbutas, G.G.O.E., p.57ff.

^٢ - اعتاد الفنانون الإغريق والرومان تصوير ميدوسا رأسا بلا جسد، وقد عرف هذا الشكل الفني لرأس ميدوسا بقناع الجورجونة، ويرجح كثير من الباحثين أن هذا الشكل موروث من بقايا عبادة قديمة، ربما أتت من ليبيا.

عن أن كلمة γοργόνειος تعني قناع الجورجونة راجع:

L.S.J., s.v. γοργόνειος

عن انتشار هذا الشكل الفني راجع:

Frothingham (A.), *Medusa II. The Vegetation Gorgonein*, A.J.A., vol:19, No.1, Jan-Mar., 1915, p.13-23.

عن آراء الباحثين راجع ص ٥٦ وما بعدها

المصري^١ المعروف للشمس، المحفوفة بجناحين ويتدلى من فوق الجناحين ثعبانان (شكل ٥٤)^٢، كما يرجح الباحث أيضا أن عبّاد الإلهة- الثعبان- الطائر كانوا يرتدون قناعا على شكل الرنك أثناء تأديتهم لطقوس العبادة.

دخول الإلهة الليبية المحاربة Anatha

شهد القرن السادس عشر ق.م. دخول الموجات الأستيطانية التي جاءت من أكثر من جهة، وكان من بين هذه الموجات موجة أتت من شمال أفريقية (ليبيا في ذلك الوقت). جاء هؤلاء الليبيون حاملين معهم إلهتهم المحاربة أناثا

^١ - تسمح العلاقات المصرية- الكريتية بمثل هذا التأثير. عن العلاقات المصرية- الكريتية راجع:

Καρέτσου (Α.), *Κρήτη-Αίγυπτος Πολιτισμικοί δεσμοί τριών χιλιετιών*, Herakleion, 2000, passim

^٢ - لقد عبد المصريون الثعبان في مصر القديمة تحت اسم الإلهة بوتو Buto، وهو اسم آخر للإلهة وادجيت، حامية ملك مصر، والوجه البحري، وكذلك في صورة الصل حامى إله الشمس ورفيقه، وكانت هذه الصل ذات الرقبة المفالطة توضع على الجزء الأمامى من غطاء رأس الفرعون، وترسم متكررة على الأفاريز الطويلة في المعابد، وتقذف النار على الأعداء في القبور الملكية ويلبس أرباب الشمس على رؤوسهم قرص الشمس وبه الصل، وعادة ما يشير علماء الآثار المصرية إلى الصل على أنها مذكر، غير أنها عادة ما يشار إليها بالضمير هي لتذكر دائما أنها في الحقيقة أفعى مؤنثة. وقد وصل انتشار تقديس الثعبان للحد الذي جعل المصريين في العصور القديمة يخصصون رسم الثعبان مع اسم كل إله، والذي كان يساوى بذلك كلمة "إله"، كما كان الأمر عند رسم الصقر، ثم بعد ذلك أصبحت العادة تحتم أن يحوى كل معبد نموذجا حيا من هذه الثعابين، وقد كانت كذلك إلهة الحصاد الصغيرة الطيبة رننوتت Renenutet لها شكل ثعبان.

عن تقديس الثعبان في مصر راجع:

ثناء جمعة الرشيدى، الثعبان ومغزاه عند المصري القديم: من البدايات الأولى وحتى نهاية الدولة الحديثة، إشراف: جاب الله على جاب الله، علا العجيزى، رسالة دكتوراة، غير منشورة، كلية الآداب بقنا، ١٩٩٨.

Anatha التي أصبحت بعد ذلك أثينا، كما يرجح البعض^١. ويعضد هذا الرأي ربط بعض الكتاب الإغريق نشأة أثينا ببحيرة تريتونيس Τριτωνίς في ليبيا^٢، فيقول هيرودوتوس، بعد أن تحدث عن الليبيين المقيمين حول البحيرة:

" هكذا عبدوا على طريقة أسلافهم إلهتهم المحلية التي نطلق عليها أثينا"^٣

ويقول باوزانياس:

" لأن هؤلاء (الليبيين) لديهم رواية أنها (أى أثينا) هى ابنة بوسيدون والبحيرة تريتونيس..."^٤

ويقول أبوللودوروس:

" تربت أثينا بجانب (بحيرة) تريتونيس"^٥

كما لقبت أثينا بوليدة تريتونيس Τριτογένεια ، فيقول هوميروس:

" ابنة زيوس المجيدة تريتوجينيا (سليلة تريتونيس)"^٦.

أثينا وميدوسا

يرجح الباحث أن الإلهة الليبية استحوذت على معبد الإلهة-الثعبان- الطائر بعد أن عبدت معها لفترة جنباً إلى جنب، بل واستولت على صفاتها

^١ - راجع ص ٥٦ وما بعدها

^٢ - كانت هذه البحيرة توجد تقريبا شمال أفريقيا على وجه التقريب تونس، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى تريتون Τρίτων إله البحر.

Lake Tritonis

http://en.wikipedia.org/wiki/Lake_Tritonis

Hdt.4.180

- ٣

" τῇ αὐθυγενεί θεῷ λέγουσαι τὰ πάτρια ἀποτελέειν τὴν Ἀθηναίην καλέομεν."

Paus.1.14.6

- ٤

" τούτοις γάρ ἐστιν εἰρημένον

Ποσειδῶνος καὶ λίμνης Τριτωνίδος θυγατέρα εἶναι.."

Apd.3.144

- ٥

"...τὴν Ἀθηναίην παρὰ Τρίτωνι τρέφεσθαι"

Hom.,Il.IV.515

- ٦

"....Διὸς θυγάτηρ κυδίστη Τριτογένεια.."

ورموزها، فأصبحت أثينا إلهة أم -عذراء، محاربة، ترتدى عادة لباس الحرب وتمسك بترسها المسمى أيجيس، وهى المقتنيات التى رأى هيرودوتوس أن أثينا قد أتت بها من ليبيا^١، حيث يقول:

"...كان الإغريق يصنعون تروس تماثيل أثينا (نقلا) من الليبيين..."

بينما احتفظت من بقايا الإلهة القديمة بالثعبان والطائر -البومة- كرموز لها، وبرنك أو قناع ميدوسا التى يبدو أنها شوهدت من قبل عبّاد أثينا^٢، فتحول وجهه الإلهة الجميل إلى شكل بشع وتحول الشعبانين إلى ثعابين تدلى من رأسها. على الرغم من ذلك ظلت ميدوسا محتفظة بقدرتها على الحماية^٣، الأمر الذى يؤكد اسمها نفسه، والذى يعنى الحامية^٤، وقد ورثت أثينا القدرة على الحماية من ميدوسا، كما أنها أصبحت تضع صورة ميدوسا على الأيجيس؛ لما لها من قدرة على الحماية.

ويعضد وجهة نظر الباحث أن تطبيق ما استنتجه يفسر العديد من الأمور فى شخصية ميدوسا وأثينا وعلاقتها.

١- تروى الأسطورة أن العلاقة بين أثينا وميدوسا كانت ودية، وكانتا تقطنان نفس المعبد، وكانت ميدوسا تتمتع بالجمال؛ حتى أنها قارنت نفسها بأثينا، فقبحت أثينا وجهها وفتتها من المعبد.^٥ يرى الباحث أن هذه الأسطورة

Hdt.4.189

"... τὰς αἰγίδας τῶν ἀγαλμάτων τῆς Ἀθηναίης ἐκ τῶν Λιβυσσέων ἐποιήσαντο..."

^٢- يرى الأنثروبولوجيون أن النزاع بين شعبين أو طائفتين ينعكس على أساطير الآلهة، وكانت أى ديانة جديدة تعتمد على تشويه الديانة القديمة وتحويل الآلهة القديمة إلى رموز للشر، على سبيل المثال لا الحصر أصبحت كلمة دايمون فى العصور المسيحية تشير إلى الشيطان، وقد كانت تشير فى الديانة الإغريقية إلى روح خيرة. راجع:

سميث، سبق ذكره، ص ٣٨.

^٣- راجع ص ٧٩ وما بعدها

^٤- L.S.J., s.v. μέδω

Room, op. cit., s.v. Medusa.

Apd, 2.46

^٥-

ترجع إلى الفترة التي عبدت فيها الإلهة- الثعبان- الطائر (ميدوسا) جنباً إلى جنب مع الإلهة أناثا (أثينا)، وعندما صارت الغلبة والسيطرة لعباد أناثا استبعدوا الإلهة القديمة وشوّهوا صورتها، فصارت رمزا للضرر والايذاء.

٢- يمكن تفسير أسطورة فصل رأس ميدوسا عن جسدها، وعودة برسايوس به إلى معبد أثينا بأنه محاولة لتفسير سبب استمرار القناع والرنك في المعبد، وعدم وجود جسد لهذا القناع المستغرب فيما بعد.^١

٢- يرجح الباحث أن سبب وضع صورة ميدوسا على ترس أثينا أن القدماء اعتادوا وضع رنك الإلهة الحامية ميدوسا على تروسهم، ويبدو أن ترس أثينا نفسها كان من مستلزمات ميدوسا، ويعضد ذلك الفكرة المتناقضة أن أثينا الحامية تضع صورة ميدوسا على ترسها، كما كان يفعل الجنود طلباً للحماية، فهل كانت أثينا في حاجة إلى دعم وحماية ميدوسا؟ أم أن الترس المصور عليه صورة ميدوسا كان من موروثات المعبد.

٣- وقوع ميدوسا تحت التأثير المصري خلف في شخصيتها طبيعة شمسية، ذلك أن الثعبان ارتبط بالآلهة الشمسية في مصر.

٤- يرجح الباحث أن حيوانى أثينا المقدسين، الثعبان والبومة، من مخلفات الإلهة القديمة.

٥- يعضد ما طرحه الباحث من تطور في شخصية ميدوسا ذلك التذبذب الفنى في تصوير ميدوسا المتناقض بين الجمال والقبح، والجسد واللاجسد.

يمكن القول أن الإلهة- الثعبان لم تكن إلهة حماية للقصور والمدن فحسب، ولكنها كانت إلهة أم أرضية حامية، تحمى كذلك الحرث والنسل؛ ومن ثم كان لها وحى حالها حال الإلهات الأرضيات، وكانت مسئولة عن النماء

^١=Ov., Met., 4.770.

^١- أنظر ص ٥٧

والخصوبة وعن حماية العافية والصحة، وهى الأمور التى حفظتها أسطورة جلاوكوس.

٢ - عبادة الموتى

أولى الإغريق موتاهم عناية بالغة، واهتموا أيما اهتمام بإتمام طقوس الدفن^١؛ وذلك حتى ينعم المتوفى بمرور يسير فى رحلته إلى العالم الآخر، بل يعتبر عدم إتمام طقوس الدفن أو إهمالها جريمة^٢.

لم تكن العناية التى أولاها الإغريق لموتاهم سوى ميراث اجتماعى ودينى ورثه الإغريق عن سابقيهم من المينويين والموكينييين، حيث توضح الأدلة الأثرية أن المينويين والموكينييين كانوا شديدي الارتباط بموتاهم، فكانت العلاقة بين الأحياء والأموات أساسها الحب والوفاء للموتى وتتسم بالسلام، فكانوا يمدفنون موتاهم فى كنف المنزل، كما تدل على ذلك جرار التخزين $\pi\iota\theta\omicron\iota$ ^٣. يقول أفلاطون^٤:

"من ناحية أخرى فإن الأوائل كانوا لا يزالون يمدفنون موتاهم فى نفس

المكان فى المنزل"

^١ - تشتمل الطقوس الجنائزية على: عرض الجثمان $\pi\rho\acute{o}\theta\epsilon\sigma\iota\varsigma$ ، ثم الجنازة $\epsilon\kappa\phi\omicron\rho\acute{\alpha}$ ، ثم الدفن $\theta\acute{\alpha}\pi\tau\omicron\nu$ ، ويتلو ذلك زيارات القبور.

عن طقوس الدفن راجع:

محي الدين مطاوع، الطقوس الجنائزية بين التقاليد والقانون فى مدينة أثينا خلال القرن الخامس ق.م.، أوراق كلاسيكية، العدد الخامس، كلية الآداب، جامعة القاهرة،

٢٠٠٤، ص ٢٢٦ وما بعدها.

^٢ - عن أهمية طقوس الدفن عند الإغريق راجع:

منيرة كروان، العالم الآخر فى المسرح الإغريقى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٥-٤٧.

^٣ Farnell, G.H.C., p.4

Persson (A.W.), *The Religion of Greece in prehistoric Times*, Univ. of California Press, 1942, p.13

Eiddon (I.) and Edwards (S.), *Cambridge Ancient History*, vol.II, part 2, 1973, p.871

Cook, *op.cit.*, vol:III, p.1059f

Plat.Minos.315d

^٤ "οἱ δ' αὖ ἐκείνων ἔτι πρότεροι αὐτοῦ καὶ ἔθαπτον ἐν τῇ οἰκίᾳ τοὺς ἀποθανόντας"

نظر المينوويون والموكينيون إلى أسلافهم الموتى بعين التبجيل، وقدسوهم وقدموا لهم طقوس العبادة وأدوا فروضها^١، فكان الأب الميت يحظى بالعبادة من أفراد أسرته^٢، ورأس القبيلة من قبيلته، والأمير من شعبه، وتستمر عبادة الميت وتُحيا ذكراه تبعا لاتساع دائرة أتباعه؛ ومن ثم كان السلف الميت البسيط الذى يعبد من أفراد أسرته يلقى عبادة محدودة تمحى ذكراها مع مرور الوقت، أما الأمير، سيد قومه، فيبقى أميرا حتى فى قبره على حد تعبير نيلسون^٣، إذ كان يتلقى العبادة فى قبره من قبل قاعدة عريضة من أولئك الذين كانوا يخلدون ذكراه، ويقيمون له نصبا معلوما، ويطلقون عليه لقب البطل، حيث كانت كلمة ἥρωες تشير إلى الأمير أو سيد قومه أو الشخص النبيل أو المقاتل أو الحر حتى وقت هوميروس^٤.

كان السلف الميت يلقى العناية الكاملة داخل قبره بعد موته على اختلاف مكانته ووضعه الاجتماعى، فكانت تسكب له السكوب ويتقرب إليه بالقرابين، وإن كان الأمير ينال فى قبره تكريما ورعاية تفوق ما يقدم للبسطاء من الناس. فكانت تتحر على قبور الأمراء الثيران، وتهرق دماء الخيول، التى كان يمتطيها، ويلحق به عبيده ليخدموه فى العالم الآخر. وكانوا يضعون أيضا معه قدرا من الطعام، وأدوات الزينة، ودمى صغيرة من الصلصال فى صورة نساء يقمن على خدمته أو يواسينه أبد

^١ Soles (J.S.), *Reverence for Dead Acestors in Prehistoric Crete*, Aegium 22,2001,p.230-235

Coldstream (J.), *Hero-Cults in the age of Homer*, JHS 96,1976, p. 8-17

Rohde, *op.cit.*, p.166f

Nilsson, *H.G.R.*, p.103

Rohde, *op.cit.*, p.118

Burkert, *G.R.*, p.203

L.S.J.,s.v. ἥρωες

Farnell, *G.H.C.*, p.5

الدهر، إلا أن عبادة الأبطال كانت أكثر انتشاراً وأقوى ظهوراً في العصر الموكيني^١.

شكل الروح

اعتقد الإغريق أن قرابينهم تصل إلى موتاهم، كما اعتقدوا أن أرواح موتاهم تتغذى على ما يقدمونه إليها^٢، فلم يكن انتهاء حياة الميت وانقضاء أجله يعنى انتهاء روحه، حيث كانت روح الميت تتقمص جسداً آخر، الذى يكون فى الغالب جسداً غير آدمى، وهو نفس المفهوم الطوطمى المعروف عند الشعوب القديمة، وكان هذا الجسد المتقمص فى بعض الأحيان على هيئة طيرية، حيث تروى الأساطير كيف خرجت روح أريستياس Ἀριστίας^٣ من فمه فى هيئة غراب أسود،^٤ أو كما تظهر الأعمال الفنية هيرميس وهو يدخل الأرواح، التى ظهرت فى هيئة طيرية، إلى جرة العالم السفلى (شكل ٥٥)، وكان الإغريق كذلك يصورون روح الميت فى هيئة ثعبان، على وجه الخصوص إذا كان بطلاميتاً، يقول فوتيوس Φώτιος (٨١٠-٨٩٣ م) :

"كان الأبطال ثعابين رقصاء"^٥

كما تظهر على أحد الرسوم البارزة (شكل ٥٦)، والذى يرجع إلى القرن السادس ق.م.، صورة لذكر وأنثى يقفان جنباً إلى جنب جهة اليمين أمام كرسي عرش ضخم، الأنثى ممسكة ستر الوجه، والذكر يحمل كأساً ذا عروتين، كما لو كان على وشك القيام بطقس السكب، يظهر الزوجان فى أحجام صغيرة متزلفين بالقرابين، والتى تتكون من ديك وكعكة

^١ Burkert, G. R., p.190-3

^٢ Nilsson, H.G.R., p. 101

^٣ Rohde, op. cit., p.116

^٤ Pulleyn (S.), *Prayer in Greek Religion*, Oxford Univ. Press., 1997, p.123f

^٥ Nilsson, H.G.R., p.102

^٦ Phot., s.v. ἥρωες ποικίλος

"τοὺς ὄφεις ποικίλους ὄντας ἥρωας"

وببيضة وفاكهة، ويوجد اسم تم نقشه بالقرب من الرسم، يبدو أنه لأحد الموتى يدعى تيموكليس Τημοκλής، أما كرسى العرش فيجلس عليه أحد الأشخاص مصورا في هيئة ضخمة مقارنة بالذكر والأنثى المواجهين له، مما دفع هاريسون إلى التأكيد على أن الشخص الجالس هو أحد الموتى الذين عبدوا من قبل ذويهم، كما يظهر خلف كرسى العرش ثعبان ملتجئ يقف ملتويا في نفس حجم الشخص الجالس على كرسى العرش، وترى هاريسون أن نية الفنان كانت واضحة في إظهار قدسية وتأليه أضافهما على البطل الميت، عندما وضع ثعبانا ضخما ملتويا ذا لحية خلف الكرسى مساويا في الإرتفاع البطل الجالس^١.

يظهر البطل الميت أيضا على قنينة زيت، محفوظة في متحف نابولي، في هيئة ثعبان يسكن قبره، في دلالة على تحول البطل الميت إلى ثعبان بعد وفاته^٢. (شكل ٥٧). وتعرض هاريسون^٣ تصويرات متعددة للبطل الميت في حضور الثعبان الذى يمثل روحه.

تصور الإغريق، وكذلك الرومان، أن العمود الفقري وما يحويه من نخاع شوكة يتحول بعد موت البطل إلى ثعبان^٤. يخبرنا بلوتارخوس °Πλούταρχος أنه عندما تعفن جسد كليومينيس Κλεομένης، رأى الناس ثعبانا ضخما يلتف حول رأسه، فعرفوا أنه كان أكثر من

Harrison, *Prolegomena*, p. 325ff

Ibid., p. 328

Ibid, p. 347ff

Idem, *Themis*, p. 307ff

Plut. Vit. Cleom. 39

Ael. Nat. An. 1.51

Plin. His. Nat. 10.56.86.,

Ov. Met. 15.389

Serv. Aen. 5.95

Plut. Cleom. 39

١

-

٢

-

٣

-

٤

-

٥

-

فانى، إنه الأفضل أو الأقوى 'Κρείττονος، ويضيف بلوتارخوس إلى هذا أن الرجال فى الأوقات القديمة ربطوا الثعبان بالأبطال. وقد فعلوا هذا لأن الفلاسفة لاحظوا أنه عندما يتبخر جزء من ندى النخاع الشوكى للميت، ويصبح قوامه سميكا، ينتج عنه الثعابين.

يتضح مما سبق أن السلف الميت كان يعبد بعد موته، وكان الإعتقاد السائد أن روحه تتقمص صورة الثعبان أو الطائر؛ ومن ثم لا عجب أن الإيرينيات 'Ερινύες اللاتى كن يعبرن عن الأرواح المنتقمة للقتلى، والتى كانت تطارد قاتليها، كانت تجمع فى تكوينها الجسمانى بين الصفة الطيرية والثعبانية (شكل ٥٨)، فيصفهم يوريبديدس قائلا:

"...أيتها الإلهات الثائرات، ذوات الأجنحة..."^٢

"...العذارى أشباه الثعابين..."^٣

كذلك يرجح الباحث أن عصى هيرميس καρύκειον التى كان يتشعب منها ثعبانان وجناحان كانت ترمز إلى وظيفة هيرميس بوصفه مرشدا للأرواح 'Ψυχοπομπός ويدل على ذلك تصويره على أحد الأعمال الفنية وهو يقوم بإدخال الأرواح إلى جرة العالم السفلى. (شكل ٥٥)

^١ - كانت هذه الكلمة تشير إلى أن صاحبها من الأبطال، عن معنى هذه الكلمة ومناسبات استخدمها راجع:

Harrison, *Themis*, p.270

Eur., Or.317

-٢-

"... ὧ πτεροφόροι ποτνιάδες θεαί..."

Eur., Or.256.

-٣-

"... δρακοντώδεις κόρας..."

^٤ - كان من ألقاب هيرميس لقب بسيخوبومبوس، أى مرسل الأرواح وكان يؤدى هذا الدور فى العالم الآخر، حيث يقود الأرواح إلى جرة العالم السفلى.

Diod. Sic., I.96

Harrison, *Themis*, p.295

استمرت حياة الميت بتشكيل روحه في هيئة شعبان، وكان لارتباط الشعبان بالموتى من البسطاء والأمراء أكبر الأثر في تكوين العديد من الأفكار، التي توارثها الإغريق عن الشعبان، ومرت في الفصول السابقة من البحث، والتي سوف يتم توضيحها فيما يلي.

الحماية

اعتاد المينويون والموكينيون على دفن موتاهم في فناء المنزل، كما اعتقدوا في تحول روح الميت إلى شعبان، وظنوا أن السلف الميت كان يتردد على المنزل في هذه الصورة ليؤدي دوره الذي اعتاد أن يلعبه أثناء حياته، ألا وهو حماية أهل الدار، ثم طابقوا بعد ذلك بين السلف الميت وزيوس^١ بوصفه أبو الآلهة والبشر، فأصبحوا ينظرون إلى السلف الميت في هيئته الشعبانية على أنه حامى الدار، وصاروا ينادونه بزيوس حامى الممتلكات، وأحيانا أخرى بزيوس الرؤوف^٢. وكان لظهور شعبان صغيرة في رحاب المنزل دور مهم في تحريك خيال أهل الدار، الذين اعتقدوا أن هذه الشعبان الصغيرة هي أبناء زيوس الديوسكوروى Διόσκοροι، كما يظهر من معنى الاسم.

تطور المجتمع من مجتمع قبلى إلى مجتمع مدنى وأصبح منزل السلف الأكبر ورأس القبيلة مقر معبد المدينة^٣، بوصفه المكان الذى استقبل أول طقوس عبادة الإله أو الإلهة، كما ضم بين جنباته قبر السلف الميت^٤، الذى تحول إلى بطل محلى حامى للمدينة ككل، وليس المنزل فحسب، بعد أن تشعبت سلالاته. ويدعم الباحث رأيه بالنموذج المعروف للشعبان حامى المدينة - ونقصد شعبان

^١ - Harrison, *Themis*, p.297ff

Cook, *op.cit.*, vol.III p.1054-1059

Nilsson, *H.G.R.*, p.70

Harrison, *Themis*, p.298

Nilsson, *H.G.R.*, p.25

Idem, *M.M.R.*, p.490ff

Persson, *op.cit.*, p.138

^٤ - عن أمثلة للأبطال الذين دفنوا في معبد الآلهة أنظر ص ١٤٥

الأكروبوليس، الذى كان هو نفسه إريخثونيوس^١، السلف الأكبر لمعظم الأثينيين، والذى كان مدفونا فى معبد الإلهة أثينا المعروف بالإريخثيون Ἐρέχθειον^٢، أى بيت إريخثونيوس^٣، ذلك المعبد الذى كان يعبر اسمه عن ماضيه، فكان على ما يبدو منزل إريخثونيوس فيما مضى، وظل إريخثونيوس نفسه يلعب دوره فى حماية المدينة حاملا لقب أويكوروس أوفيس، والذى يعنى الثعبان المراقب أو الحامى للمنزل^٤؛ ومن ثم فعلى الرغم من أنه أصبح حاميا للمدينة، إلا أنه ظل يحتفظ بصدى لدوره الأول فى حماية المنزل، والشئ بالشئ يذكر فقد أصبح الديوسكورى، الثعبانين ولدا زيوس، حماة مدينة، وقد كانوا حماة المنزل. بعد أن أصبح قبر البطل الميت فى مركز المدينة، أضحي يقصد للاستنباء أو الاستشفاء؛ إذ كان معظم الأبطال المحليين يتمتعون فى مقار قبورهم بموهبتى التنبؤ والعلاج^٥، وكان الثعبان عنصرا ملحوظا فى هذه المقار.

العرافة

ارتبط الثعبان بمقر وحى تروفونيوس، وكان تروفونيوس بطلا ميتا، وكان مقر وحيه هو نفس المكان الذى انشقت فيه الأرض وابتلعت^٥، أى مكان قبره، ومن ثم كان الثعبان القاطن فى الحفرة يخرج حاملا النبوءة، فيما يمكن تفسيره بأن روح البطل الميت خرجت من القبر فى الصورة الثعبانية وهى تحمل

Hdt., VIII.41

Burkert, *Savage Energies: Lesson Lessons of Myth and Ritual in Ancient Greece*, Translated by Peter Bing, Univ. of Chicago Press, 2001, p.45

L.S.J., s.v. οἰκουρός ὄφις

Rohde, *op.cit.*, p.133

Burkert, *G.R.*, p.199

Harrison, *Prolegomena*, p. 340-7

^٥ - أنظر ص ٩٩ وما بعدها

النبوءة. ينطبق الأمر نفسه على أمفياراعوس الذى كان وحيه حيثما انشقت الأرض وابتلعتة^١.

العلاج

كان الكاهن الذى يقوم بعلاج المرضى فى معبد اسكليبيوس يصاحبه ثعبان أو أكثر، كما كان الثعبان هو الحيوان المصاحب لاسكليبيوس، وكان اسكليبيوس نفسه يصور فى هيئة ثعبان^٢، ولما كان اسكليبيوس بطلا ميتا^٣؛ وروح البطل الميت تصور فى هيئة ثعبان، فيرجح الباحث أن الثعبان لم يكن سوى صورة روح اسكليبيوس.

ويمكن تفسير وجود الثعبان فى مكان الوحي ومكان العلاج على أنه صورة البطل الميت الذى بقيت روحه ترعى المكان وتؤدى وظيفتها بمعاونة الكاهن، ذلك أن أمفياراعوس كان قبل موته يتمتع بموهبة التنبؤ، كما كان اسكليبيوس قبل موته يتمتع بمهارة التطبيب^٤.

كانت الطقوس التى يؤديها المريض انتظارا للعلاج هى نفسها الطقوس التى كان يؤديها انتظارا للنبوءة من اغتسال وصوم ونوم. ويمكن القول أنه فى مقر الوحي أو مقر العلاج تشابهت الظروف والأحوال فالمعبد فى كلتا الحالتين مقام على شرف بطل ميت، والطقوس التحضيرية قبل النبوءة أو العلاج واحدة؛ مما يدل على أن مصدرهما واحد.

^١ - أنظر ص ٩٩ وما بعدها

^٢ - أنظر ص ١٠٣ وما بعدها

^٣ -

Rhode, *op. cit.*, p.100

Burkert, G.R., p.214

Harrison, *Prolegomena*, p.330ff

^٤ - يتفق بوركيرت مع رودى فى فكرة استمرار البطل الميت فى تأدية وظيفته بعد موته، فالمحارب يحمى قومه والعراف يقصد للاستنباء والطبيب للعلاج.

Rhode, *op. cit.*, p.133

Burkert, G.R., p. 203

وتوضح هاريسون أن استنباء الموتى هي عادة استقاها الإغريق من الليبيين، حيث كان طقس النوم الأصلي الخاص بالوحى قد جاء من عادة ليبية تحدث عنها هيرودوتوس، حيث يتقدم كل طاهر ومميز ويلمسون قبر الميت ويؤدون القسم، ويلوذون بقبره ويتضرعون وينامون وأى رؤية يرونها يعملون بها.

" لكنهم يتنبئون حينما يلجأون لقبور أسلافهم ويتضرعون وينامون، وما يرونه فى الرؤية من حلم يتم التصريح به."^١.

التجدد

كان الثعبان هو إحدى صورتين تتقمصهما روح الميت، حيث كانت روح الميت تستمر فى البقاء فى صورتها الجديدة فى هيئة ثعبان أو طائر^٢، وكان الثعبان يعبر عن تجدد حياة الميت واستمرارها، بالإضافة إلى ذلك كان الاعتقاد السائد أن الميت له القدرة على منح الخصوبة ويسترضى من أجلها^٣؛ لذلك يمكن القول أن الثعبان، الذى يعبر عن صورة البطل الميت، كان هو الصورة التى يُنتظر أن يمنح البطل من خلالها الخصوبة مقارنة بدوره فى الحماية والنبوءة والعلاج، وهو الأمر الذى يتضح من تعامل الإغريق مع زيوس حامى الممتلكات أو زيوس الرؤوف، الذى يعبر عن صورة السلف الميت فى هيئة ثعبانية بوصفه مانحاً للخصوبة^٤.

سقاية الثعبان وإطعامه وعلاقتها بالطقوس الجنائزية

Harrison, *Prolegomena*, p. 329f

Hdt.IV.172

" μαντεύονται δὲ ἐπὶ τῶν προγόνων φοιτῶντες τὰ σήματα καὶ κατευξάμενοι ἐπικατακοιμῶνται· τὸ δ' ἂν ἴδῃ [ἐν τῇ ὄψι] ἐνύπνιον, τούτῳ χρᾶται. "

٢- أنظر ص ١٢٩

Ar., Tag., Fr.1.

٤- أنظر ص ١٠٥ وما بعدها

حرص الإغريق على إطعام الثعبان وسقايته، إما بصورة فردية أو جماعية، فاعتاد الإغريق أن يصعد شهريا إلى قمة الأكروبوليس الأثيني، مقتربا من معبد الإلهة أثينا، حيث يسعى بين أركانه ثعبان ضخمة، وكانت علة هذه الزيارة هي إطعام ذلك الثعبان الضخم، بإلقاء كعكة العسل μελιτοῦσσα نحوه ليلتقمها،^١ كما كانت كعكة العسل تُلقى إلى بعض الأبطال ذوي الأشكال الثعبانية مثل: كيخريوس واسكليبيوس وإريخثونيوس،^٢ ويذكر فرجيليوس Virgilius (٧٠-٩١ ق.م.) أن الثعبان الحارس لشجرة الهسبيريدات كان غداؤه من كعكة العسل umida mella التي تلقيها له كاهنة معبد الهسبيريدات. فيقول:

"ناثرة (له) كعكات العسل الندية..."^٣

ويذكر أيضا أن ما كان من الممكن أن يلهم كيروبيروس كلب العالم السفلي الحارس ذو الثلاثة رؤوس أن يلقي إليه المرء بكعكة العسل، فيقول:

"يلقى إليه كعكة منومة بالعسل والفاكهة"^٤

وقد كان ثعبان الوحي في مقر نبوءة تروفونيوس يتلقى كعكات العسل، على سبيل الاسترضاء، يقول باوزانياس:

"...آخذا كعكة الشعير المعجونة بالعسل..."^٥

Hdt.8.41

Mitropoulou, *op.cit.*, p.50

Virg.Aen.IV.483

"spargens umida mella...."

Virg.Aen.VI.419f

"melle soporata et medicatis frugibus offam obicit."

Paus.9.39.11

"... ἔχων μάζας μεμαγμένους μέλιτι..."

ذكر ذلك أيضا:

Ar., Nub.508

Hsch.,s.v. μαγίδες

وقد كان الإغريق يعد في منزله جرة داخل المخزن تقبع في انتظار زيوس حامى الممتلكات، قد امتلأت سلفا بما يسمى بالأمبروسيا، التى كانت عبارة عن خليط يتكون من ماء صافى وزيت زيتون وأنواع مختلفة من ثمار الفاكهة^١. يظهر الثعبان كذلك فى الأعمال الفنية وقد التف حول كأس فى طريقه للشرب، وهو ما اتخذ فيما بعد رمزا للعلاج والدواء الناجع، أو يظهر وقد حملته هيجيا فى رقة وهى تمد يدها إليه بإناء، بينما الثعبان يتناول محتواه، وفى بعض الأحيان يظهر البطل الميت وهو يمد يده بكأس معد ليشرب منه الثعبان^٢ (شكل ٥٩).

إن الصورة التى تظهر اهتمام الإغريق بسقاية وإطعام الثعبان فيها نوع من التبجيل، يفوق حد الاستئناس، ويقترب أكثر من الاسترضاء، ولكن لأى غرض كانت هذه الرعاية وهذا الاسترضاء؟ وما الذى يدفع الإغريق إلى التأكيد على فكرة إطعام أو سقاية الثعبان؟

يمكن القول أن السمة الغالبة والواضحة هى علاقة الثعبان المطعم بالعالم الآخر، فثعبان الأكروبوليس كان إريخثونيوس^٣ البطل الميت، كذلك كان كخريوس واسكليبيوس وإريخثونيوس أبطالا موتى، بينما كان كيروبيروس حارس عالم الموتى، وكان ثعبان تروفونيوس مرتبط بالبطل الميت تروفونيوس، كما ظهر الثعبان المطعم مع البطل الميت بوضوح، كما كان زيوس حامى الممتلكات إلها أرضيا مرتبطا بالعالم الآخر ومتداخلا مع السلف الميت^٤، وكذلك الديوسكوروى^٥، أضف إلى ذلك أن جرة زيوس حامى الممتلكات، التى كانت تحمل فى جوفها الأمبروسيا،

^١ - أنظر ص ٧١

^٢ - Harrison, *Prolegomena*, p.346ff

^٣ - أنظر ص ١٣٣

^٤ - أنظر ص ١٣٢

^٥ - أنظر ص ١٣٢

تشبه إلى حد بعيد الجرار الجنائزية، يرى كوك^١ أنها تشبه الجرار المعروفة باسم بيثوى، والتي كانت تستخدم لدفن الموتى، كما أنها تشبه كذلك الجرار المعروفة بديبيلون δῖπυλον، التي كانت تستخدم في طقس السكب، أو الجرة المسماة بروثيسيس Πρόθεσις التي كانت تستخدم أيضا في طقس السكب. ويتفق الباحث مع كوك في وجهة نظره، أن جرة زيوس حامى الممتلكات هي إحدى الجرار الجنائزية التي كانت مرتبطة بطقس السكب؛ إذ إنها بالإضافة لشكلها فإن محتواها أيضا له علاقة بالطقوس الجنائزية، حيث يشبه المحتوى السائل المستخدم في طقس السكب، بدرجة كبيرة الوجبة المعدة لسقاية أو إطعام الثعابين، فقد كان سائل السكب عبارة عن نبيذ غير مخلوط وعسل وزيت وماء^٢، وكانت مادته تسكب من جرة أو قدح، وكان طقس السكب يقدم للميت والآلهة الأرضية بصفة عامة، كما كان يؤدي عند شرب النبيذ أولا لزيوس والأولمبيين، ثانيا للأبطال وأخيرا لزيوس الكامل Τέλειος، ويبدأ أحيانا الطقس بالسكب للأجاثوس دايمون^٣، والذي كان يصور في صورة ثعبان. كان يقدم كذلك هذا الطقس للموتى والآلهة التي تسكن الأرض، وقد قام أوديسيوس بهذا النوع من الشعائر وهو يناشد ويسترضى الموتى^٤، فسكب حول حفرة القرايين سائل السكب من أجل كل الموتى، أولا بالعسل واللبن، ثم بالنبيذ، وبعد ذلك بالماء، وفوق هذا نثر الشعير الأبيض. يقول هوميروس:

Cook, *op. cit.*, vol:3, p.1056ff

Porph. Abst. 2.20

Burkert, G. R., p.70

Hom., Od. 10.518-20

" ἄμφ' αὐτῷ δὲ χοὴν χεῖσθαι πᾶσιν νεκύεσσι,
πρῶτα μελικρήτῳ, μετέπειτα δὲ ἡδέϊ οἴνῳ,
τὸ τρίτον αὖθ' ὕδατιρ ἐπὶ δ' ἄλφιτα λευκὰ παλύνειν."

" بعد أن يحفر حفرة، يسكب حولها المسكوب لكل الموتى، أولاً باللبن الممزوج بالعسل، بعد ذلك بالنبيذ المبهج، وفي المنطقة الثالثة مباشرة بالماء، وينثر عليه الشعير الأبيض."

وعند أيسخيلوس^١ قامت الملكة الفارسية بسكب اللبن، والعسل، والماء، والنبيذ، والزيت، والزهور، على قبر الملك الميت.^٢

كان الطقس يقدم إذن للموتى فى قبورهم، الذين اتخذوا أشكال الثعابين بعد موتهم، كما يتضح ذلك فى عمل فنى رائع، يظهر فيه القائمون بطقس السكب وهم يمسون بجرة السكب، وقد وقفوا على قبر أحد الموتى فى وضع استعداد للسكب، وداخل المقبرة يظهر الميت فى صورة ثعبان^٣ (شكل ٦٠). وهو ما يؤيد ما يود الباحث إثباته، أن إطعام الثعبان وسقيه مستمد من طقس السكب المقدم للميت، والذي كان يأخذ شكل الثعبان. فشكل الجرة ومحتواها تقريباً واحد، وكان المتلقى سواء كان الميت أو الثعبان وجهين لعملة واحدة.

لكن لماذا كان يتم طقس السكب؟ لماذا يقدم الإغريقى العسل والنبيذ أغلى ما يملك من طعام، وليس ما تبقى من مائدته؟

يمكن الوصول لبعض هذه الأسباب بين سطور الأعمال الأدبية، فيوضح أريستوفانيس أن الرجل حينما يموت يتقدمون إليه بالقرابين الجنائزية والمسكوبات، راجين أن يرسل إليهم الخيرات من أسفل إلى أعلى.^٤ وقد قام بحارة السفينة أرجو Ἀργοναῦται 'بهذا الطقس

^١ - Aesch.Pers.607-622

^٢ - شرح سوفوكليس بالتفصيل كيف تتم عملية السكب وطقوسه فى مسرحية أويديبوس فى كولونوس Οἰδίπους ἐπὶ Κολώνῳ (أبيات: ٤٦٦-٤٩٢)، كما اتخذت مسرحية أيسخيلوس حاملات المسكوبات Χοηφόροι اسمها من طقس السكب نفسه، الذى يتصدر أحداث المسرحية (أبيات: ٨٤-١٦٤).

^٣ - Cook, *op.cit.*, vol.III.p.1057

^٤ - Ar., Tag., frg.1

عندما وصلوا إلى أرض كولخيس Κολχίς الأجنبية، فسكبوا عسلا،
ونبيذا صافيا غير مخلوط بماء، للأرض جايا، وآلهة البلاد
ἐπιχώριοι، وأرواح الأبطال الموتى، طالبين العون والترحاب.^١
يستنتج الباحث -مما سبق- أن الإغريق كانوا يقومون بطقس السكب خوفا
أو طمعا، خوفا من غضب السفليين، أو طمعا في عطائهم وفضلهم.

الأبطال أنصاف الثعابين

قدمت لنا الأساطير الإغريقية صورة الأبطال أنصاف الثعابين،
أو المتحولين إلى ثعابين، الذين يظهرون وقد خرقوا نواميس الطبيعة، فقد
ظهر في هذه الصورة كل من كيكروبس^٢ (شكل ٦١)، وإريخثونيوس^٣،
وكيخريوس^٤ وكادموس^٥.

تروى الأساطير أن هؤلاء الأبطال كانوا أبناء الأرض، فقد
استقبلت أثينا إريخثونيوس من الأرض ورفعته، وأقامته في معبدها

A.R., 2.1271-5

Ar., V., 438

Apd., 3.14.1

Sch.E., Ion., 1163

Sch.Ar., Pl., 773

Paus., 1.24.7

Et.Mag., s.v. Erechtheus, p.371.47

Hyg.Fab.166

Serv.Verg.A.3.113

لا بد أن نشير إلى أن إريخثونيوس وإريخثيوس هما نفس الشخص وأن اسم

إريخثيوس هو اختصار لاسم إريخثونيوس. راجع:

Sch.Hom., Il., 2.547

Et.Mag.s.v. 'Ερεχθεός

Dawden, *op.cit.*, p. 87

Nilsson, *M.O.G.M.*, p.162

Paus., 1.36.1

Strab., IX.393

المتعرف^١ (شكل ٦٢). كذلك تروى الأساطير أن كيكروبس كان أيضا ابن الأرض.^٢

يمكننا اختصار صفات كل بطل من هؤلاء الأبطال في أنه كان ذا طبيعتين διφυής، وأنه كان من السكان الأصليين أبناء الأرض المحليين αὐτόχθονος. فقد استخدم ديودوروس الصقلي كلمة διφυής ليصف شكل كيكروبس، حيث رأى أن كيكروبس بهذا الشكل يرمز لأصله الأجنبي، وجنسيته الجديدة الإغريقية،^٣ حيث يقول ديودوروس:

"...لأنه كان يحمل جنسيتين، إغريقية وأجنبية، فكان لديه طبيعتين جزءا حيوانيا وجزءا آدميا."

بينما وردت في معجم سويداس Σουίδας لتشير إلى أن كيكروبس كان له جنسان ذكر وأنثى، أو آدمى وثعبانى. فيقول المعجم:

Hom., Il., II.456ff
Hdt., VIII.55
E. Ion. 267, 1000

ويتضح من اسمه أنه مرتبط بالأرض

ἐρι = كثير χθών = الأرض

ويؤيد الباحثون ارتباطه بالأرض من خلال اسمه.

Dawden, *op. cit.* p. 87,
Nilsson, *M. O. G. M.*, p. 162
Persson, *op. cit.*, p. 138
E., Ion., 1163
Ar., V. 438
Apd. 3.14.1

Bremmer, *op. cit.*, p. 193
Diod. Sic., I. 28

"... ὅτι δυοῖν πολιτειῶν μετασχών, Ἑλληνικῆς καὶ βαρβάρου, διφυῆς ἐνομίσθη, τὸ μὲν ἔχων μέρος θηρίου, τὸ δὲ ἀνθρώπου. "

تشير بعض المصادر إلى أصل كيكروبس المصرى وأنه أتى من سايس المصرية، مثل:
Diod. Sic. I. 29; Sch. ad Ar. Pl. 773

"أسس مدينة أثينا، والذي كان مصرى الأصل، ومنه أيضا الكيكروبويون (الأثينيون). لكن يقول البعض إنه ولد بطبيعتين، الأعلى رجل، لكن الأسفل امرأة، لكن البعض (يقولون إن الجزء الأسفل) حيوان."^١

ويفسر بعض الباحثين الشكل الآدمي-الثعباني وما يرمز إليه على أنه كان يشير إلى الوطنية، أى أن صاحبه من سكان البلاد الأصليين، أو يرمز إلى معرفة كيكروبس للغتين المصرية والإغريقية، أو لتوضيح القوة فوق العادية للبطل، أو يرمز لاستمرارية حياة البطل بعد موته،^٢ ويرى روز أن كادموس عندما تمنى أن يتحول هو وزوجته إلى ثعبانيين إنما أراد أن يصبحا مؤلهين.^٣

كما تعنى كلمة αὐτόχθονος وطنى أو محلى، فهى عكس كلمة مهاجر، حيث تفسر فكرة الوطنية كميلاد طبيعي من التربة المحلية، وتميز بذلك سكان المكان، وخصوصا أثينا، عن غيرهم من المدن المحيطة بأنهم ولدوا فى المدينة، ولم يأتوا من أى مكان آخر، ولم تختلط دماؤهم بدماء المهاجرين.

Suid., s.v. Κέκροψ

"Αἰγύπτιος ὢν τὸ γένος ᾤκησε τὰς Ἀθήνας ὅθεν καὶ Κεκροπίδαι. τινὲς δὲ φασὶ τοῦτον καὶ διφυῇ γεγενῆσθαι, τὰ μὲν ἄνω ἄνδρός, τὰ δὲ κάτω γυναικός ῥ οἱ δὲ θηρίου. "

^٢ - عن الآراء حول هذا الشكل راجع :

Harrison, *Themis*, p.261ff

Nilsson, M.M.R., p.562f

Bremmer, *op.cit.*, p.193ff

Fowler (M.), " *The Myth of Erichthonius*", CPh., 28, 1943, p.28ff

Rose, *Gods and Heroes of the Greeks :An Introduction to Greek Mychology*, Meridian Books, New York, 1961, p. 85

عند ذكر هذا المرجع مرة أخرى سيشار إليه اختصاراً بـ (G.H.G.)

^٤ - نعت بهذه الصفة من الأبطال كل من كيكروبس وإريخثونيوس وبيلاسجوس

Πελασγός . عن هؤلاء الأبطال وآخرين مما نعتوا بهذه الصفة راجع:

Autochthonous

<http://homepage.mac.com/cparada/GML/AUTOCHTHONOUS.html>

كان الملكان، كيكروبس وإريخثونيوس وايدا الأرض، نموذجا أسطوريا يعبر عن الأثينيين فى إدعائهم لأصلهم الأرضى، إذ يتحدث الأثينيون أحيانا عن انحدارهم من ملوكهم الأوائل، إنهم من سلالة كيكروبس أو إريخثونيوس^١.

يرى الباحث أن الملوك أنصاف الثعابين كانوا يعبرون بنصفهم السفلى عن حيازتهم للقدسية، حيث صاروا مؤلهين، ونالت أرواحهم الخلود باستمرارها فى الصورة الثعبانية، ويرجح الباحث أن ظهور الأبطال فى هيئة أنصاف ثعابين وليس فى هيئة ثعابين كاملة مرده إلى ثلاثة افتراضات.

الافتراض الأول: هو انتماء كيكروبس وإريخثونيوس إلى مدينة أثينا، ولأنهم ملوك أثينا الأوائل فربما عايشوا الفترة التى كانت تسيطر فيها الإلهة الثعبان على المعبد، ومن ثم كان تصويرهم فى صورة أنصاف ثعابين يشير إلى أنهم مؤلهين وليسوا آلهة، أى بشر مؤلهين، فعبر النصف البشرى عن طبيعتهم الأصلية وعبر النصف الثعبانى عن طبيعتهم الإلهية المستقبلية.

الافتراض الثانى: هو مقتضيات العمل الفنى؛ ذلك أن كيكروبس وإريخثونيوس كانا بطلين معروفين فإذا صورا فى هيئة ثعابين كاملة كان من الصعب التعرف عليهما أو تمييزهما؛ ومن ثم فإن الجزء البشرى يسهل عملية الفصل بينهما فى التصوير.

الافتراض الثالث: أن هذه الصورة نصف الثعبانية تصور قديم لشكل الروح إذا ما قورنت بشكل الروح فى الهيئة الطيرية، حيث كانت الروح تصور فى هيئة بشر ذوى أجنحة، بقول آخر أنصاف طيور

(شكل ٦٠)؛ ومن ثم تكون صورة الأبطال أنصاف الثعابين هي صورة الروح.

البطل الميت والإلهة

يرجح الباحث أن البطل الميت لم يكن منعزلاً عن الإلهة الثعبان، بل عزز كل منهما الآخر وربما حدث خلط بين وظائفهما، حيث لم يكن على ما يبدو للإلهة في العصر المينوي معبد خاص، مثل تلك المعابد في العصر الكلاسيكي. إذ أن الأدلة على عبادتها في المنزل كانت الأكثر، فلم يكن للإلهة الثعبان أى معبد يذكر، ولكن كانت عبادتها ملحقة بالمنزل، كما ظهر في قصر كنوسوس. كذلك كان السلف الميت الذى يدفن فى باحة المنزل توجه إليه طقوس العبادة^١.

جمعت أسوار المنزل بداخلها عبادتين، إحداها موجهة للإلهة أرضية مرتبطة بالثعبان، وفي بعض الأحيان أقل منها مرتبة موجهة للسلف الميت، ويفترض الباحث أنه مع تطور المجتمع من قبلى إلى مدنى، تطورت الحالة الدينية لتخرج الإلهة المنزلية إلى مكان للعبادة العامة، حيث بقى مكان عبادتها فى موقع مرتفع معلوم للجميع، هو المعبد الذى كان فى الأصل قصراً ملكياً^٢ ويرجح الباحث أن الإلهة لم تشغل المعبد وحدها، بل كان فى كنفها السلف الأكبر للعشيرة، الذى يرمز لأصل العشيرة، حيث تبدل دوره من حراسة المنزل إلى حراسة المدينة.

شارك السلف الميت ذو الشكل الثعبانى الإلهة معبدها بوصفه أصل العشيرة^٣ وأول من قام على خدمتها، فتحول من سلف حى إلى

^١ - راجع ص ١٣٣

^٢ - Nilsson, M.M.R., p.490f

Persson, op.cit., p.138

^٣ - على سبيل المثال لا الحصر كان هناك قبيلة فى فريجيا يتضح من اسمها Ὀφιογενεῖς أنهم كانوا يظنون أنهم من نسل ثعبان.

بطل ميت، بعد أن حكم عشيرته كملك، ويدلل الباحث على ذلك بأن قبر
 كيكروبس على الأكروبوليس في أثينا كان في معبد الإلهة،^١ كذلك دفن
 إريخثونيوس في معبد أثينا المعروف بالإريخثيون أو بيت إريخثونيوس،
 وكانت تقدم له طقوس العبادة والأضاحي من الكباش،^٢ ويذكر كليمنت
 السكندري^٣ قبر كنيراس^٤ Κινύρας وسلالته في معبد أفروديتي
 Αφροδίτη ' في بافوس^٥ Πάφος، وقبر أكريسيوس^٦ Ακρίσιος
 في معبد أثينا على أكروبوليس لاريسا^٧ Λαρίσα، ويذكر باوزانياس^٨
 قبر كاستور Κάστωρ في حرم معبد اسبرطة، ويذكر كذلك قبر
 هياكينثوس^٩ Υάκινθος ' تحت تصوير أبوللون في أميكلاي^{١٠}

= كما أن أول ملك لأثينا على ما يبدو كان ثعباني الشكل، كما يتضح من اسمه "دراكون".

Nilsson, *M.M.R.*, p.488

Rhode, *op.cit.*, p.98

Apd.III.XIV.7

Burkert, *G.R.*, p.50

Persson, *op.cit.*, p.138f

Nilsson, *M.M.R.*, p.561f

Rhode, *op.cit.*, p.98

Clem.Al., *protr.* III.45, p.39

^٤ - كان ابن أبوللون وملك قبرص، أدخله والده أبوللون مسابقة موسيقية فخر وانتحر.

Room, *op.cit.*, s.v. Cinyras

^٥ - مدينة ساحلية جنوبي غرب قبرص.

O.C.D., s.v. Paphos

^٦ - كان ملك أرجوس وزوج داناي.

O.C.D., s.v. Acrisius

^٧ - أكبر مدن إقليم ثساليا، على الضفة الشرقية من نهر بينيوس Πηνειός .

O.C.D., s.v. Larissa

Paus., III.13.1

^٨ - بطل تم تأليهه في اسبرطة، وله احتفال خاص به وشهر مسمى باسمه.

O.C.D., s.v. Hycinthus

^{١٠} - مركز هام على الضفة اليمنى لنهر يوروتاس Εὐροτάς شمال اسبرطة.

O.C.D., s.v. Amyclae

Amύκλαι^١؛ وقبر أركاس^٢ Arkάς ' فى معبد هيرا فى مانتينيا^٣ Μαντίνηια.^٤ ويمكن القول أنها كانت أقرب إلى دفن الأولياء والقديسين فى دور العبادة فى أيامنا هذه.

(ب) الأصول العامة للأفكار عن الثعبان

١ - طبيعة الثعبان

كما صورت الأساطير الإغريقية الثعبان فى صورة مغيرة للواقع، فإنها لم تزل كذلك من تصوير الثعبان فى صورته الطبيعية، فقد صورت الثعبان فى صورة مألوفة منقولة عن الطبيعة، إنه يتحرك فى هدوء من خلف الأحراش، أو من بين الزروع، أو من بين الشقوق، أو عند ينابيع المياه، متسللا إلى فريسته، ناشرا فى جسدها سمه الزعاف. وقد يكون هو نفسه الضحية، فيلقى حتفه جراء ضربة مميتة من سيف، أو سحقة حجر.

تروى الأساطير الإغريقية أن فيلوكتيتيس Φιλοκτήτης تعرض لعضة ثعبان، وإن كانت الروايات قد اختلفت فى تفاصيل الحدث.^٥ تحكى الاساطير كذلك أن أوريسستيس Ορέστης ' لقي حتفه بعد أن عضه ثعبان فى أركاديا Αρκαδία^٦، وقد عض الثعبان ايبيتوس^٧

^١ - Paus., III.19.3

^٢ - ابن زيوس وكالليستو، أطلق اسمه على منطقة أركاديا.

^٣ - O.C.D., s.v. Arcas

^٤ - مدينة قديمة فى منطقة أركاديا، تقع وسط البيلوبونيزوس.

^٥ - Mantinea

^٦ - <http://en.wikipedia.org/wiki/Mantinea>

^٧ - Paus., VIII.9.3

^٨ - راجع: عبد المعطى شعراوى، سبق ذكره، ج٢، ص ٢٩١-٢٩٤

^٩ - O.C.D., s.v. Chryse

^{١٠} - Apd., Ep.6.28

^{١١} - ابن كريسفونتييس Κρεσφόντης من مسينيا Μισηνά وميروبي Μερόπη، استرد عرش أبيه من بوليفونتييس Πολυφόντης.

^{١٢} - O.C.D., s.v. Aepytus

Αἰπυτος و ارداه قتيلا^١، وعندما قتل الثعبان اوفيلتيس^٢ Οφέλτης 'تقدم
أدراستوس^٣ Αδραστος 'أو كابانيوس^٤ Καπανεύς وقضى عليه في
الحال^٥ (شكل ٦٣)، وقد فرق الثعبان بين استيروبي Asteróπη 'وحبيبها
ايساكوس^٦ Αἰσακος بعد أن قضى عليها بعضته المميتة^٧، وعندما عض
الثعبان تيلوس هم داماسن بقتل الثعبان في الحال^٨، وقتل ألكون^٩ Ἀλκων
الثعبان عندما هدد حياة ابنه فاليروس Φάληρος^{١٠}، وأرسلت هيرا ثعبانين
ليقتلا هيراكليس في مهده، إلا أنه تغلب عليهما وقتلها^{١١}.

يتضح من النماذج السابقة أن الثعبان ظهر في صورته الطبيعية في
الأساطير الإغريقية، وأن الإغريق لم يكونوا على جهل بطبيعته الحيوانية، حيث
تمدنا المصادر بأنهم أخضعوا الثعبان للدراسة والفحص والملاحظة والتشريح،

^١ - Paus., 8.4.7, 8.16.2

^٢ - يسمى أيضا أرخيموروس Αρχέμορος ابن الملك ليكورجوس Λυκοῦργος النيمى
ويوريديكى Eurydίκη ملكة ليمنوس، كانت الألعاب النيمية تقام تكريما له. يبدو أن
أوفيلتيس كان لقبه، الذى يصف أسطوره، حيث يعنى الذى التف حوله الثعبان، ويتكون من
من الجذرين -ὄφι- و -εἰλ-، أما اسمه الحقيقى فهو أرخيموروس.

Room, *op.cit.*, s.v. Opheltes

^٣ - ابن تاولوس Ταυλός كان ملكا على أرجوس إبان الحرب على طيبة.

O.C.D., s.v. Adrastus

^٤ - ابن هييونوس Υπνός وأحد القواد السبعة الذين توجهوا ضد طيبة.

O.C.D., s.v. Capaneus

Apd 3.6.4

St., Th. 5.566ff

^٦ - كان ابن برياموس تنبأ بأن باريس الذى سيولد سوف يكون سببا في دمار عظيم، عندما قتل
الثعبان استيروبي التى هام بحبها ألقى بنفسه في البحر، ولكن ثيتيس حولته إلى طائر.

Room, *op.cit.*, s.v. Aesacus

Ov. Met. 11.771

Nonn. 25.514ff

^٩ - رفيق هيراكليس في رحلة قاما بها للاستيلاء على ماشية جيريون وقد كان ماهرا في الرماية.

Room, *op.cit.*, s.v. Alcon

A.R., 1.97

Apd 2.4.8

Dio. 4.10.1

كما يظهر من كتابات أرسطو عن الحيوان، فيقدم أرسطو Ἀριστοτέλης في كتابه تاريخ الحيوان τῶν περὶ τὰ ζῷα ἱστοριῶν وصف تفصيلي لطبيعة الثعبان وصفاته التشريحية^١، حيث أولى أرسطو النظرة العلمية للثعبان اهتماما. ترى بودسون^٢ أن أرسطو كان يحتجز الثعابين لوضعهم تحت الملاحظة، وتستقى ذلك من ملاحظة لأرسطو يشير فيها إلى أن الثعبان من الممكن أن يبقى دون غذاء لفترة طويلة^٣. يتضح مما سبق أن الإغريق على الرغم مما روه عن الثعبان من أساطير ملونة بألوان الخيال، إلا أنهم لم يجهلوا طبيعة الثعبان وأسلوب حياته ودورها.

^١ - تناول أرسطوطاليس في أكثر من موضع بهذا العمل الثعبان بوصفه احد الحيوانات الزاحفة ذات الصفات الخاصة، فيقول على سبيل المثال لا الحصر:

Arist. H.A., 505b, 5ff

"Λοιπὸν δὲ τῶν ἐναίμων ζῴων τὸ τῶν ὄφεων γένος. Ἔστι δὲ κοινὸν ἀμφοῖν· τὸ μὲν γὰρ πλεῖστον αὐτῶν χερσαῖόν ἐστιν, ὀλίγον δὲ τὸ τῶν ἐνύδρων ἐν τοῖς ποτίμοις ὕδασι διατελεῖ."

"جنس الثعابين هو (الجنس) المتبقى من الحيوانات ذات الدماء، ويوجد بشكل شائع في كلاهما؛ إذ أن معظمهم برى، لكن القليل من المائية منها يبقى في الأنهار الجارية."

Arist. H.A., 504a.16ff

"...Ἔτι δὲ περιστρέφει τὸν τράχηλον εἰς τοῦπίσω τοῦ λοιποῦ σώματος ἡρεμοῦντος, καθάπερ οἱ ὄφεις."

"...تظل تلف رقبتها إلى الخلف بينما باقى جسدها ثابت، مثل الثعابين."

Arist. H.A., 508a, 12

"...ὄρχεις οὐκ ἔχει..."

"...ليس لديها خصية..."

Arist. H.A., 508a, 13f

"...καὶ τὴν ὑστέραν μακρὰν καὶ δικρόαν..."

"...والرحم طويل ومتشعب..."

^٢ Bodson (L.), *Living Reptiles in Captivity: A Historical Survey From the Origins to the End of the XVIIIth Century*, A.Z.P.A., 78, 1984, p.19

^٣ Arist., H.A., 594a.4ff

أثر طبيعة الثعبان على صورته فى الأسطورة والدين

يرجح الباحث أن طبيعة الثعبان كان لها دور مهم وفعال فى خلق الأساطير عنه والشعور بقدسيته؛ إذ يتميز الثعبان عن غيره من الكائنات بصفات خاصة، لا يألّفها المرء فى غيره من الكائنات، وقامت عليها بعض الأفكار الدينية والأسطورية.

-أنواع الثعابين وأثره على الفكرة عن الثعبان

سبق وأن تناول الباحث فى الفصل الأول تقسيم الثعابين إلى أقسام وأنواع وفئات، واتضح كيف أن الثعابين تنقسم إلى قسمين: ثعابين سامة، وثعابين غير سامة. تعرف الثعابين السامة بقدرتها على القتل وإصابة بنى البشر بضرر بالغ، بينما تعرف الثعابين غير السامة بدورها فى القضاء على القوارض سواء فى الحقول أو المنازل أو مخازن الغلال فى حين أنها غير مؤذية لبنى البشر. ويبدو أن هذا الاختلاف بين أنواع الثعابين انتقل إلى الأسطورة والدين فخلف تضادا فى الأفكار حول الثعبان، فظهر الثعبان رمزا للضرر، كما ظهر كذلك رمزا للنفع؛ ومن ثم ليس من الغريب أن نجد أن الثعبان المصاحب لأثينا وأبوللون وديونيسوس وديميتر واسكليبيوس من الثعابين غير السامة، التى تتغذى على القوارض^١، بينما إخيدنا وبيثون ثعابين سامة^٢. ويمكن القول أيضا أن ظهور الثعابين غير السامة التى تتغذى على القوارض فى الحقول، ومخزن الغلال، وحول المنزل، وهى تؤدى دورها، خلف الفكرة التى جعلت من الثعبان رمزا

^١ - Bodson, *Nature et Fonctions des Serpents d'Athéna*, MACTOUX

Marie-Madeleine et Geny Evelyne, éd./ed., *Mélanges Pierre Lévêque*, IV, Besançon, Presses universitaires de Besançon, 1990, pp. 45-62.

Idem, *Living Reptiles in Captivity*, p.18

^٢ - Idem , *Observations sur le vocabulaire de la zoologie antique*, op.cit., pp. 68

للحماية، وخاصة حماية مخزن الغلال، وهو ما يبدو جليا في عبادة زيوس حامى الممتلكات الرابض فى مخزن الغلال.

أثر البيئة التى يحيا فيها الثعبان وتكوينه الجسمانى

يرجح الباحث أن البيئة التى يحيا فيها الثعبان كان لها أثر كبير فى بناء بعض الأفكار عنه، فخرج الثعبان من الشقوق والتجاويف الأرضية خلف عند الإغريق فكرة ارتباط الثعبان بالوحى، وبالثرورات والخصوبة، وارتباطه بأرواح الموتى؛ إذ أن الاعتقاد السائد الذى ورثه الإغريق كان ارتباط الوحى بالإلهة الأم الأرض، مثل جايا أو ثيميس^١، وكان خروج الثعبان من باطن الأرض يجعل بعض الناس يتصورون أنه مرسل من قبل الإلهة بإشارة، وهو الأمر الذى يمكن ملاحظته كذلك فى وحى الأبطال، حيث يخرج الثعبان فى وحى تروفونيوس من حفرة فى باطن الأرض حاملا النبوءة، ويمكن القول أن الحفرة التى ابتلعت البطل، قد تشير مجازيا إلى قبر البطل؛ ومن ثم فإن الثعبان يكون قد خرج وهو يحمل نبوءة البطل الميت نفسه. يمكن القول كذلك أن خروج الثعبان من باطن الأرض، وهو نفس المكان الذى يخرج منه النبات المثمر، ربما حرك خيال الإغريق ومن سبقوهم لربط الثعبان بالخصوبة التى كان مصدرها الأرض؛ إذ إنه يخرج من حيث تخرج الخيرات. يرجح الباحث كذلك أن سكنى الثعبان القبور أو خروجه منها أوحى للقديماء بأن روح الميت قد تقمصت شكل الثعبان وخرجت من قبرها، على وجه الخصوص وأن الثعبان يقترب شكله من شكل العمود الفقرى، إذا ما تصورنا أن العمود الفقرى اكتسى باللحم والجلد.

ويوحى تغيير الثعبان لجلده بأنه يعرف سر تجديد الحياة، مما يعضد فكرة ارتباطه بالخصوبة. يرجح الباحث كذلك أن ارتباط الثعبان بتجدد الحياة جعل البعض يبنى أفكارا أخرى عليها، على سبيل المثال أنه يعرف خواص النباتات وطرق المداوة، وأنه من خلال معارفه بالأعشاب عرف النبتة التى تجدد الحياة،

^١ - راجع ص ٤٨

وربما يساعد في تأكيد هذه الفكرة وجود الثعبان في بيئات مختلفة، فيوجد في الحقول أو في الأحراش أو في القفار وبين الصخور، وهي الأماكن التي تنبت فيها الأعشاب على اختلاف ألوانها. وليس يخفى أن الثعبان يعرف بأنه مصدر السم والترياق في آن واحد أي أنه مصدر الداء والدواء، فكما له القدرة على النفع له القدرة على الضرر، والترياق يوحى بقدرة الثعبان على الشفاء وتجديد الحياة بالنظر إلى الأثر المميت للسم.

يرجح الباحث كذلك أن شكل الثعبان كان مؤثرا في ظهور بعض الأفكار الأخرى عنه، فخروج لسانه بصورة سريعة وانشقاقه من المقدمة ربما يوحى بأنه له أكثر من لسان ويتحدث كثيرا، كما يبدو صوت الفحيح كما لو كان همسا، مما قد يكون سببا في الاعتقاد بأن الثعبان يمنح القدرة على فهم لغات الطيور.

الثعبان لا يصلح أضحية ولم يظهر كممسوخ

ظهر الثعبان وهو يلعب دوره الطبيعي في الأساطير، وهذا الدور لعبه أكثر من حيوان، مثل كلب أوديسيوس المدعو أرجوس ^١ Ἄργος، وحصان أمفياراعوس^٢، والخنزير الذي قتل ايدمون^٣ Ἰδμῶν، والبقرة التي قادت كادموس^٤.

لعب الثعبان كذلك دور الحيوان المقدس، الذي ينظر إليه الإغريق بوصفه رمز الإله، حيث يظهر في صحبته، أو يتمثل الإله في صورته، فظهر الثعبان في دور الحيوان المقدس للإله أبوللون وأثينا واسكليبيوس، وهو دور عرف به عجل ديونيسوس^٥، وبقرة هيرا^٦.

^١ St.,Th.6.463

^٢ - ابن أبوللون واستريي Ἀστερίη، كان متبئ حملة بحارة السفينة أرجوس.

Room, op.cit., s.v.Idmon

Apd.1.9.23

A.R.,3.1179

Nonn.40.51

Ant.Lib.10

Ov.Met.5.319

-^١

-^٢

-^٣

-^٤

-^٥

-^٦

ظهر الثعبان أيضا في صورة التتين الضخم، أو الوحش، وهى الصورة المعروفة عن غيره من الحيوانات، أمثال أسد كيثايرون^١ Κιθαίρων^٢، وأسد نيميا^٣ Νεμέα^٤، والكبش الذهبى^٥، وثور مارثون^٦ Μαραθών^٧، وحصان أخيلئوس الخالد^٨.

صادفنا الثعبان بالإضافة لما سبق فى صورة مسخ، مثل تيفون، وإخيدنا، وهيدرا، وقد تميزت الأساطير الإغريقية بالمسوخ الحيوانية، أمثال خيمايرا^٩ Χίμαιρα^{١٠}، وأورثوس^{١١} Ορθος^{١٢}، الهاربيات Αρπυιαί^{١٣}، لكن الباحث يلاحظ أن الثعبان لم يظهر فى صورة قربان، مثل غيره من الحيوانات

^١ - نسبة إلى منطقة كيثايرون شمال أتيكا.

O.C.D., s.v. Kithairon
Apd.2.4.9

- ٢

^٣ - نسبة إلى نيميا بالقرب من كونثوس فى شبه جزيرة البيلوبونيزوس فى اليونان.

O.C.D., s.v. Nemea
Apd.2.5.1
Ibid.,1.4.1

- ٤

- ٥

^٦ - نسبة إلى منطقة مارثون بجوار أثينا فى إقليم أتيكا، وهى ماراثوناس حاليا.

O.C.D., s.v. Marathon
Apd., 3.15.7
Ibid.3.13.5

- ٧

- ٨

^٩ - وحش مؤنث ابنة تيفون وإخيدنا، يتنفس لهيب نار، مقدمة جسدها لأسد، ووسطها لعنزة، وذنبها لثعبان.

Room, *op.cit.*, s.v. Chimaera
Hes., Th.319ff ; Apd., 2.3.2

- ١٠

^{١١} - كان ابن تيفون وإخيدنا ووالد سفينكس، كان مسخ ذا رأسى كلب، كان يحرس ماشية جيرون.

Room, *op.cit.*, s.v. Orthus
Hes., Th.309,326

- ١٢

Apd., 2.5.10
Hes., Th.267

- ١٣

Hom., Od.1.241,20.61-78
Apd., 1.2.6

التي لعبت دور الأضاحي، كالخنزير، والبقرة، والثور، والكبش، والعنزة، ويبدو أن السبب في ذلك أنه من غير المعتاد أكله، كذلك لم يصادفنا الثعبان بوصفه ممسوخا، وهي الصورة التي اعتدنا رؤيتها في الأساطير الإغريقية^١، فقد تحولت أطلنطا^٢ Atlantia "إلى لبوءة"^٣، وكاليسثو^٤ Καλλιστώ إلى دب.^٥

٢- سقوط الإنسان

لعب الثعبان في حضارات العالم القديم والحضارات البدائية نفس الدور الذي لعبه في الحضارة الإغريقية، فلم تكن أفكار الإغريق عن الثعبان متفردة في مضمونها، ولا جديدة مبتدعة، بل إنها لا تعدو أن تكون نموذجا من بين نماذج عدة. كانت الأفكار التي تكوّنت عن الثعبان، والأساطير التي رويت عنه، والرموز التي بطنت فيه متشابهة في التراث الحضاري، إلا أنها اصطبغت بثقافة المكان، مما جعل الفكرة الواحدة لها أكثر من لون، فارتبط الثعبان بالوحي والعلاج والتجدد في الحضارات الأخرى، بالإضافة لارتباطه بصورة خصم الإله أو البطل^٦.

^١ - دفعت الأساطير المتعددة عن الممسوخات ليبانيوس Λιβάνιος وأوفيدوس Ovidius إلى أن يؤلف كل منهما كتاب عن التحولات Μεταμόρφωσις.

^٢ - ابنة ياسيوس وكلوميني، طردها أبوها فربها دب وبذا اكتسبت قوة، شاركت في الصيد الكاليدوني وجرححت الخنزير البري.

^٣ - Room, *op. cit.*, s.v. Atlanta
Apd.3.9.2

^٤ - حورية أركادية كانت ترعاها أرتميس، حولتها هيرا أو أرتميس إلى دب لعلاقتها بزيوس.

^٥ - O.C.D., s.v. Callisto
Hyg.Ast.2.1

^٦ - انشغل بعض الباحثين بتجميع الأساطير والأفكار والرموز التي انتجتها الشعوب عن الثعبان، والتي تظهر إلى أي مدى كان هناك تشابه بين صورة الثعبان من حضارة لأخرى. أنظر المقدمة.

وحدة الأصل

يمكن القول أن التشابه بين أسطورتين أو أكثر في حضارات مختلفة يعزى لعدة أسباب أهمها: بساطة الفكرة وبديهيته، أو وجود اتصال بين شعبين أو أكثر، أو وحدة الأصل، لكن الانتشار الواسع لبعض الأفكار العميقة عن الشعبان- والتي يصعب وصفها بالبساطة- في أكثر من مكان وأكثر من حضارة في أزمنة مختلفة وبين شعوب لا توجد بينها أية رابطة أو اتصال، يجعل الباحث يستبعد سببى البساطة والاتصال، ويرجح الباحث أن اشتراك الإغريق مع غيرهم من الشعوب في بعض الأفكار عن الشعبان يعود لوحدة الأصل.

اللاوعى الجمعى

إذا كان التشابه يرجع إلى وحدة الأصل، فلا بد من وجود وسيلة كانت تحفظ هذا الأصل وتنقله للأجيال المختلفة حتى صار الناس شعوباً وقبائل وتشعبوا حاملين نفس الأسطورة. نجد وسيلة انتقال الأسطورة الأولى بما حوته من رموز وأفكار فيما أنتجه العلماء النفسيون، تحت مصطلح اللاوعى الجمعى، حيث يرون أن هناك كم هائل من الرموز والأفكار المشتركة بين البشر- على اختلاف مواطنهم ومعتقداتهم- أفرزتها خبرات سابقة مرت على الإنسان الأول، واستقرت فى اللاوعى، لا يشعر بها البشر ولا يعلمون عنها شيئاً، وإنما تصدر فى شكل أساطير أو أفكار دينية أو أعمال أدبية^١.

إذا كانت هناك أسطورة قديمة أصيلة كمنت واستقرت فى اللاوعى الجمعى، فما هى هذه الأسطورة؟ وما هو ذلك الأصل؟

^١ - عن اللاوعى الجمعى راجع:

كارل غوستاف يونغ، *جدلية الأنا واللاوعى*، ترجمة: نبيل محسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٧، ص ٩-٧١.

عشب الحياة

كانت أسطورة جلاوكوس- بناء على ما توصل إليه الباحث- هي أقدم الأصول الجامعة التي عرفها الإغريق عن الثعبان، حيث ورثوها بشكل مباشر عن سابقهم من المينويين، فإذا أضفنا إلى ذلك وجود تشابه بين أسطورة جلاوكوس في مضمونها وأساطير أخرى، حيث يشتركون جميعاً في ارتباط الثعبان بسر الخلود وعشب الحياة، يتضح لنا أن هناك أصلاً بعيداً انحدرت منه هذه الأساطير، وأن هذا الأصل البعيد يركز على ارتباط الثعبان بعشب الحياة، الذي يهب الإنسان الخلود.

لم تكن أسطورة جلاوكوس الأسطورة الوحيدة المرتبطة بفكرة عشب الحياة، فهناك أسطورة أخرى ترجع إلى حوالى القرن الرابع الميلادى، يرويها نونوس Νόννος (القرن الخامس الميلادى)، مؤداها أنه عندما قتل ثعبان سام تيلوس Τύλος من ليديا Λυδία، فإن أخته موريى Μορίη طلبت من العملاق داماسين Δαμασῆν أن يساعدها، قتل داماسين الثعبان بجزع شجرة، لكن زوجة الثعبان جلبت عشب زهرة زيوس Διὸς ἄνθος، ووضعتة على فتحة أنف الثعبان، عندما عاد للحياة، قبضت موريى نفس العشب، واستخدمته بنفس الطريقة، لكي تعيد أخاها للحياة^١.

Nonn., XXV.451ff

١ -

وردت أسطورة العشب الأسطوري الذي يعيد الموتى للحياة فى العديد من الحكايات الشعبية، فالقصة التى يرويها الإغريق المحدثون تحكى عن أم ذهبت تبحث عن ابنها الميت، قتلت ثعباناً وهى فى طريقها، وفى الحال جاء ثعبان آخر فأعاد الحياة للثعبان الميت، بعد أن وضع عشباً على جسده، وقد أخذت الأم بعضاً من هذا العشب، وأعادت الطفل إلى الحياة بنفس العشب. ذهب زوج وزوجته- فى حكاية شعبية يونانية حديثة أخرى- لبحثاً عن ابنهما الميت، فرأيا ثعبانين يتقاتلان، حتى قتل أحدهما الآخر، أمر الزوج زوجته أن تغطى الثعبان الميت بأوراق الشجر، حتى لا يراه أحد، ففعلت الزوجة ما أمرها به زوجها، فعاد الثعبان للحياة مرة أخرى، أمر الزوج زوجته - بناء على ذلك- أن تملأ حقيبتها بالعشب؛ لأنه دواء ناجع، واستطاع أن

مصدر معرفة الثعبان بالعشب

روت الأساطير الإغريقية كيف ذهب الثعبان وأحضر عشباً أعاد به الثعبان الآخر للحياة، إلا أن الأساطير لم تتحدث عن مصدر معرفة الثعبان من بين الكائنات بعشب الحياة أو "زهرة زيوس" ؟

ربما تكون هناك أسطورة إغريقية تتحدث عن هذا الموضوع لم تصلنا، ويرجح الباحث أن ما يسد الفجوة الأسطورية الإغريقية يكمن فى أسطورة جلجامش الرافدية، حيث تروى أن أوتنابيشتم Utnapishtim الانسان المؤله، أفشى للبطل جلجامش Gilgamesh سر وجود نبات له مقدرة سحرية على إعادة الشباب للإنسان، يطلق عليه اسم "الرجل الكهل يعود شاباً"، وكيف أن جلجامش اهتدى إلى هذا النبات، وأصابه الزهو بأنه سيأكل منه ويسترجع شبابه الذى ولى، ثم كيف أن حية تسللت، قبل أن يأكل جلجامش هذا العشب، وسرقت النبات السحري، بينما كان جلجامش يستحم فى المياه الباردة فى أحد الينابيع أو الغدران،

يعيدا ابنهما للحياة بواسطة هذا العشب. وتحكى قصة ألمانية كيف أن شاب من أصل متواضع تزوج أميرة بشرط، أنها إذا ماتت قبله فلا بد أن يدفن معها حياً، وبالفعل ماتت قبله، وبالتالي فإن زوجها الشاب نزل معها قسراً إلى المدفن الملكى؛ وذلك ليبقى بجوار جسد زوجته الميتة، حتى يلحق بها، وبينما كان جالساً يشاهد الجثة، وينتظر الموت، رأى ثعباناً يخرج من جانب القبر، وتوجه نحو الجسد الميت، فظن الشاب أن الثعبان جاء ليؤذى جسد الأميرة، فأمسك الشاب بسيفه وقطع الثعبان إلى ثلاث قطع، وبعد فترة جاء ثعبان آخر من حفرة، ورأى الثعبان الأول، فعاد من حيث أتى ولكنه سرعان ما عاد ومعه ثلاث أوراق خضراء من نبات ما فى فمه، ووضع الثلاث أوراق على الثلاث قطع الممزقة، فعاد الثعبان الميت إلى الحياة، وبعد ذلك ذهب الثعبانان معاً مخلفين وراءهما الأوراق الخضراء، فالتقطها الشاب وبوضعها على فم وعين زوجته الميتة أعادها إلى الحياة، وبعد ذلك دق على باب المدفن، وظل يصرخ حتى جذب انتباه الخفراء، وجاء الملك وأخرجهما.

ثم كيف أن جلامش بعد أن فقد الأمل في اكتساب الخلود، جلس وبكى، ونالت الحية الخلود ونال من الإنسان الفناء^١.

تدل روايات الأساطير التي تحدثت عن الثعبان وعشب الحياة، على أن الثعبان صار خالدا بسبب معرفته بعشب الحياة الذي يجدد الشباب أو العافية، ولكن من الغريب أنه على الرغم من معرفة الإغريق بطبيعة الثعبان في تغيير جلده، إلا أنهم لم ينسبوا تجديد حياة الثعبان لهذه الطبيعة، التي تبدو منطقية نوعا ما، بل نسبوها إلى معرفته بعشب ما، ويشبه الإغريق في هذا الاعتقاد الرافديين، ويختلفون عن كثير من البدائيين، الذين يعتقدون أن بعض الحيوانات وبصفة خاصة الثعابين يتجدد شبابها ولا تموت أبدا؛ وذلك بفضل مقدرتها على تغيير جلدها في مواسم معينة، ويقصون - بسبب تصورهم هذا - حكايات تبين كيف اكتسبت الثعابين منحة الخلود، وكيف حُرِم الإنسان منها^٢.

^١ - ملحمة جلامش، اللوح الحادى عشر، ترجمة وتعليق: سامى سعيد الأحمد، دار التربية، بغداد، ١٩٨٤، ص ٥٣٠ وما بعدها.

^٢ - يعرض فريزر Frazer مجموعة من الأساطير التي تدور حول هذه الفكرة، فعلى سبيل المثال تحكى قبيلتا وافييا و وايندى، اللتان تسكنان في شرق أفريقيا، أن الإله الذى يسمونه ليزا هبط ذات يوم إلى الأرض، وسأل الكائنات الحية جميعها قائلا: "من منكم يود ألا يموت؟"، ولسوء الحظ كان الناس نائمين، وكذلك كل صنوف الحيوان، فيما عدا الحية التى كانت مستيقظة آنذاك، فردت هذه على سؤال الإله قائلة "أنا أرغب فى هذا"، ولهذا فإن الإنسان وكل صنوف الحيوان فيما عدا الحيات يموتون، أما الحية فلا تموت إلا إذا قتلت، فإذا لم تقتل فإنها تغير جلدها، وبذلك يتجدد شبابها، كما تتجدد قوتها، ويحكى "الدوسون" سكان شمال بورنيو البريطانية، وهى جزيرة ضخمة تقع جنوب شرق آسيا بين ماليزيا و إندونيسيا وبروناي، فهم يقولون: إن الخالق حينما فرغ من خلق كل شئ - سأل الكائنات: "من منكم يستطيع أن يغير جلده؟"، إن من يفعل هذا لن يموت أبدا"، ولم يطرق هذا السؤال سمع أحد من الكائنات سوى الحية، التى أجابت على الفور: "أنا أستطيع أن أفعل هذا" ولهذا السبب فإن الثعابين حتى يومنا = هذا لا تموت، إلا إذا قتلها الإنسان أما "الدوسون" فلم يسمعوأ سؤال الإله، ولو أنهم سمعوه لغيروا جلودهم كذلك، ولأصبحوا خالدين، والأمثلة كثيرة ومتعددة. تروى أساطير قبائل كيكويو

يمكن مما سبق استنتاج أن أفكار الإغريق وغيرهم من الشعوب عن الثعبان كانت متأثرة بأصل بعيد، وكانت العناصر الأساسية في هذا الأصل البعيد هي: الثعبان، وعشب الحياة، وخداع الثعبان للإنسان، ومعرفة الثعبان لسر هذا العشب، وحرمان الإنسان من الخلود، ولا شك أن هذه العناصر مجتمعة تردنا إلى قصة سقوط الإنسان، وخروجه من الجنة. ويقصد الباحث بقصة سقوط الإنسان الحدث الفعلى الذى ظل راسخا فى اللاوعى الجمعى لبنى البشر وظهرت بقاياها فى أساطير العالم القديم. وعلى الرغم من أن الروايات الراقدية التى تحوى بقايا عن قصة سقوط الإنسان وخروجه من الجنة هى الأقدم، فإن رواية العهد القديم هى الأكثر تفصيلا؛ ومن ثم فإننا عندما نشير فى هذا الفصل إلى تأثير قصة سقوط الإنسان على الإغريق معتمدين على رواية العهد القديم، فإننا لانقصد تأثير العهد القديم نفسه على الإغريق، وإنما تأثير الحدث الأسمى البعيد الذى ظل فى اللاوعى الجمعى، وكان نص العهد القديم إحدى رواياته.

الخروج من الجنة

طبقا للروايات المقدسة فى الأديان السماوية، اليهودية والمسيحية والإسلام، فإن أقدم حدث مر على الإنسان كان خلق الإنسان نفسه، الذى اسكنه الله الجنة، وقد كان أول البشر ذكر، يدعى آدم، وأنثى تدعى حواء، الحدث التالى، وهو مقصدنا، كان سقوط الإنسان فى الخطيئة، وتغريير الشيطان بآدم وحواء، وإخراجهما من الجنة.

=فى كينيا عن طائر ما كان يحمل رسالة الخلود الإلهية إلى البشر فخدعه الثعبان وأثر عليه واستطاع أن يجعله يبدل مضمون الرسالة، فأصبح مضمونها: سوف يهلك البشر، عندما يهرمون، وعندما يصيب الكبر الثعبان، سوف يستبدل جلده، ويستعيد شبابه

جيمس فريزر، الفولكلور فى العهد القديم (التوراة)، ترجمة: د.نبيلة إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ١٩٨٢، ج١، ص ١٣ وما بعدها.

أحمد ديب شعبو، فى نقد الفكر الأسطورى والرمزى: أساطير ورموز وفولكلور فى الفكر الإنسانى، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ٢٠٠٦، ص ١٨١.

يروى الكتاب المقدس أنه بعد أن أسكن الرب آدم الجنة أمره ألا يأكل من شجرة المعرفة، وبعد أن خلق الإله لآدم زوجته من ضلعه، بدأت الحية تظهر في الأحداث، حيث أغوت المرأة بالأكل من الشجرة فأكلت وأعطت زوجها، فسقطا في الخطيئة. وطردهما الرب من الجنة وحكم بالعداوة بين الآدمي والحية مدى الحياة. وأقام الكروبيم ليحرسوا شجرة الحياة.^١

يعلق فريزر على هذه القصة، موضحاً أنه على الرغم من أنها تدور حول شجرة معرفة الخير والشر، فإن هناك شجرة أخرى تقف مع شجرة المعرفة جنباً إلى جنب وسط الجنة، كانت شجرة الحياة التي تكسب كل من يأكل من فاكهتها الخلود. ومع ذلك فإن هذه الشجرة الرائعة لا تلعب أى دور فى قصة السقوط الحقيقية، يطرح فريزر افتراضاته أن هذه الشجرة غير المحرمة المانحة للخلود لم تلفت نظر أحد الأبوين، وقد تركزت أبصارهم على شجرة المعرفة، حتى أن الرب نفسه لم يتذكر هذه الشجرة، التي تقف بإمكانيتها غير المحدودة مهمة فى وسط الجنة، إلا بعد مضي الأمر، ويفصح فريزر عن وجهة نظره موضحاً أن حكاية الشجرتين اعتراها بعض الخلط، وأن شجرة الحياة لم تلعب فى الحكاية هذا الدور المثير السلبي الصرف الذى لعبته فى هذه الحكاية؛ ومن ثم فقد اعتبر البعض ، كما يوضح فريزر، أنه كان هناك فى الأصل حكايتان مختلفتان عن السقوط، صورت فى إحداهما شجرة المعرفة على حدة، كما صورت فى الأخرى شجرة الحياة منفردة، وأن كاتباً ما مزج بين الحكائيتين فى غير حذق، وجعل منهما حكاية واحدة، ويشير فريزر إلى شجرة المعرفة بأنها شجرة فناء، وأن الحية حينما أضلت الإنسان حرمة من الخلود.^٢

^١ - التكوين ٢: ٣

^٢ - فريزر، سبق ذكره، ج ١، ص ١٠٦-١٠٩

نوع الشجرة

على أى حال فإن شجرة المعرفة عرفت عند الكنيسة الشرقية بأنها شجرة التين، ولم تعرف شجرة التفاح رمزاً للتعبير عن الخير والشر إلا فى القرن الرابع والخامس الميلاديين، وقد جعل الفرس لها علاقة بمفهوم الجنة، وظهرت رسومات شجرة التفاح فى الرسوم الخشبية على أنها شجرة المعرفة عند الكنيسة الكاثوليكية^١، وكانت شجرة الخلد- فى التفسيرات الإسلامية- عبارة عن شجرة تين أو حنطة أو نخل أو كرم^٢، وقد جاء الكشف الأثرى من سومر القديمة فى صورة ختم أسطوانى (شكل ٦٤) يصور رجل وامرأة تتوسطهما نخلة، والرجل والمرأة، جالسين متقابلين، يمدان يديهما لاقتطاف الثمر المحرم، والحية واقفة خلف المرأة تغريها بالتناول من شجرة النخيل.

ورغم أنه من الصعب البت فى نوع الشجرة، إلا أنه من نافلة القول أن نشير إلى العلاقة اللغوية بين التفاح والشر فى اللغة اللاتينية إذ أن كلمة malum تعنى الشر وتعنى كذلك ثمرة التفاح^٣.

أثر قصة الخروج من الجنة على الإغريق

يرجح الباحث أن قصة سقوط الإنسان تركت أثرها على الأفكار والأساطير، التى كوَّنها الإغريق عن الثعبان. وفيما يلى سوف يستعرض الباحث بعض الأدلة على ذلك الأثر.

^١ - تفاحة المعتزلة فى زمن بؤس البصرة

<http://www.elaph.com/elaphweb/ElaphWriter/2004/11/22706.htm>

^٢ - ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد الأول، ص ٧٤، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٦

^٣ - Lewis & Short, s.v. malum

١- الثعبان والضرر

لم ينل الإنسان الأول من الثعبان سوى الضرر فقد ضله وخدعه وضره، فأخرجه مما كان فيه، وعصى الثعبان الرب، ويبدو أن هذه الفكرة لازمة العقل البشرى، فظهر الثعبان مجابها للآلهة والأبطال، وضارا لبنى البشر الفانين.

٢- الحماية

حينما أكل آدم وزوجته من شجرة المعرفة، طبقا لرواية الكتاب المقدس، أمر الرب الكروبيم، حراس الجنة أن يلتفوا حول شجرة الخلد ليحموها. كان الكروبيم حراس شجرة الحياة، وربما حدث خلط بين الكروبيم وحراس آخرين كانوا يشاركونهم الحراسة فى الجنة، هم السرافيم، وكانت هذه الكائنات ذات أشكال ثعبانية^١. وسبق أن تناول الباحث ارتباط الثعبان بالحماية عند الإغريق، كما ظهر الثعبان الحامى للشجرة فى أسطورتى هيراكليس وياسون.

٣- الثعبان والوحي

ظهر الثعبان فى أسطورة سقوط الإنسان وهو يوحى للمرأة بأن تأكل من الشجرة المحرمة، كما بدا أكثر علما من الرجل والمرأة. الأمر الذى يتجلى بوضوح عند الإغريق؛ إذ يظهر الثعبان مرتبطا بالوحي ومقاره والمقام على شرفهم من الآلهة والأبطال، كما تظهر المرأة فى معبد أبوللون- والتى تدعى بالبيثية- وهى تتلقى النبوءة من الإله أو الثعبان، واستمدت كساندرا كذلك مهارة التنبؤ من الثعبان^٢.

^١ -سبتيو موسكاتى، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الرقى، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٠٥.

صلاح قنصوة، سبق ذكره، ص ٣١٣.

٢- ا.ح. ص ٩٠ وما بعدها

٤ - العلاج والتجدد

كان الثعبان - فى قصة سقوط الإنسان والأساطير الأخرى المتأثرة بها - يعرف سر الشجرة أو النبتة المانحة إما للمعرفة أو للخلود، ويرجح الباحث أنه فى وقت كان العلاج يعتمد فيه على مهارة الطبيب فى معرفة خواص الأعشاب، فإن معرفة الثعبان بسر النبات يجعله متصلاً بالعلاج. وإذا تعاملنا مع شجرة الجنة بوصفها شجرة الحياة، فإن ذلك يجعل من قصة سقوط الإنسان مصدراً أصيلاً للأساطير التى ربطت بين الثعبان وعشب الحياة ومنها أسطورتى جلاوكوس وتيلوس عند الإغريق وجلجامش فى بلاد الرافدين.

٥ - شجرة الهسبيريدس

أوضح الباحث فى الفصل الثالث وثوق الصلة بين شجرة الجنة وشجرة الهسبيريدس، فشجرة التفاح التى يحميها الثعبان ويقصدها هيراكليس الباحث عن الخلود وترعها حوريات سعيدات يغنين ويلهون، تستدعى إلى الذهن قصة شجرة الجنة وسقوط الإنسان.

يتضح مما سبق أن فكرة الإغريق عن الثعبان تكوّنت عبر قرون عدة، وكانت متأثرة بمصادر خاصة وأخرى عامة، يصعب الفصل بينها، حيث تضافرت هذه المصادر وأكدت على بعضها البعض، فظهرت الأفكار عن الثعبان عند الإغريق مسايرة للفكرة عنه فى الحضارات الأخرى، ولكنها ذات صبغة ونكهة إغريقية.

خاتمة

استهدف البحث فهم الافكار التى كونها الإغريق عن الثعبان من خلال دراسة صورته فى الأساطير وما حمله من رموز أسطورية ودينية، كما تناول بالتفسير هذه الأساطير، وأصل لما كونه الإغريق من أفكار عن الثعبان. وللوصول للهدف من البحث كان لابد من طرح قضايا فرعية تشعبت منها قضايا أخرى جزئية، نوجزها فيما يلى:

- * هل كانت الكلمات الإغريقية التى تشير إلى الثعبان ذات مدلول واحد؟
- * شكّل الثعبان العنصر الرئيسى فى تصوير الشخصيات الأسطورية، التى لعبت دور عدو الإله أو عدو البطل. فهل كان الثعبان يرمز للشر المطلق ؟
- كيف يمكن تفسير تصوير الشخصيات الأسطورية أمثال، تيفون وبيثون وهيدرا وميدوسا، فى صورة ثعبانية؟
- * هل كان الثعبان يحمل رمزا إيجابيا عند الإغريق ؟
- لماذا اعتبر الثعبان رمزا للحماية ؟
- ماذا كان يحمى؟
- ما نوع الحماية التى يوفرها الثعبان؟
- كيف يمكن تفسير شكل الثعبان وسبب وجوده فى الأساطير التى لعب فيها دور الحماية مثل: ثعبان آريس، والثعبان لادون، و ثعبان كولخيس، و ثعابين كيربيروس؟
- لماذا ارتبط الثعبان بالعرافة والعرافين ؟
- لماذا اعتبر الثعبان رمزا للعلاج والشفاء ؟
- لماذا اعتبر الثعبان رمزا للخصوبة والتجدد ؟
- * كيف يمكن تفسير الأفكار التى كونها الإغريق عن الثعبان؟ وهل توجد صلة بينها؟

— ما هى المصادر التى استمد منها الإغريق أفكارهم عن الثعبان؟

— مَن من الإلهات الإغريقيات يمثل امتدادا للإلهة-الثعبان المينوية؟

— لماذا ارتبط الثعبان بالموتى ؟

— لماذا صور الإغريق بعض أبطالهم وملوكهم فى صورة ثعبانية؟

— هل كان الإغريق على علم بطبيعة الثعبان؟

— هل ظهر الثعبان فى الأساطير فى صورته الطبيعية؟

— هل تفرد الإغريق فى أفكارهم عن الثعبان ؟

— كيف نفسر التشابه الواضح بين أفكار الإغريق عن الثعبان مع أفكار غيرهم من الشعوب ؟

خلص الباحث من خلال هذه التساؤلات إلى ما يلى:

— لم تكن مرادفات كلمة ثعبان عند الإغريق ذات مدلول واحد، ولكن كانت كل كلمة تشير إلى فئة معينة أو نوع من أنواع الثعابين.

— كان الثعبان يعبر عن الضرر أكثر من الشر، كما كان يعبر أيضا عن النفع.

— ارتبط الثعبان بالحماية من خلال ظهوره فى الأساطير وهو يقوم على حماية شجرة أو نبع أو معبد أو بوابة، كما ارتبط ببعض الآلهة الحامية للمنازل والمدن والمحاربين.

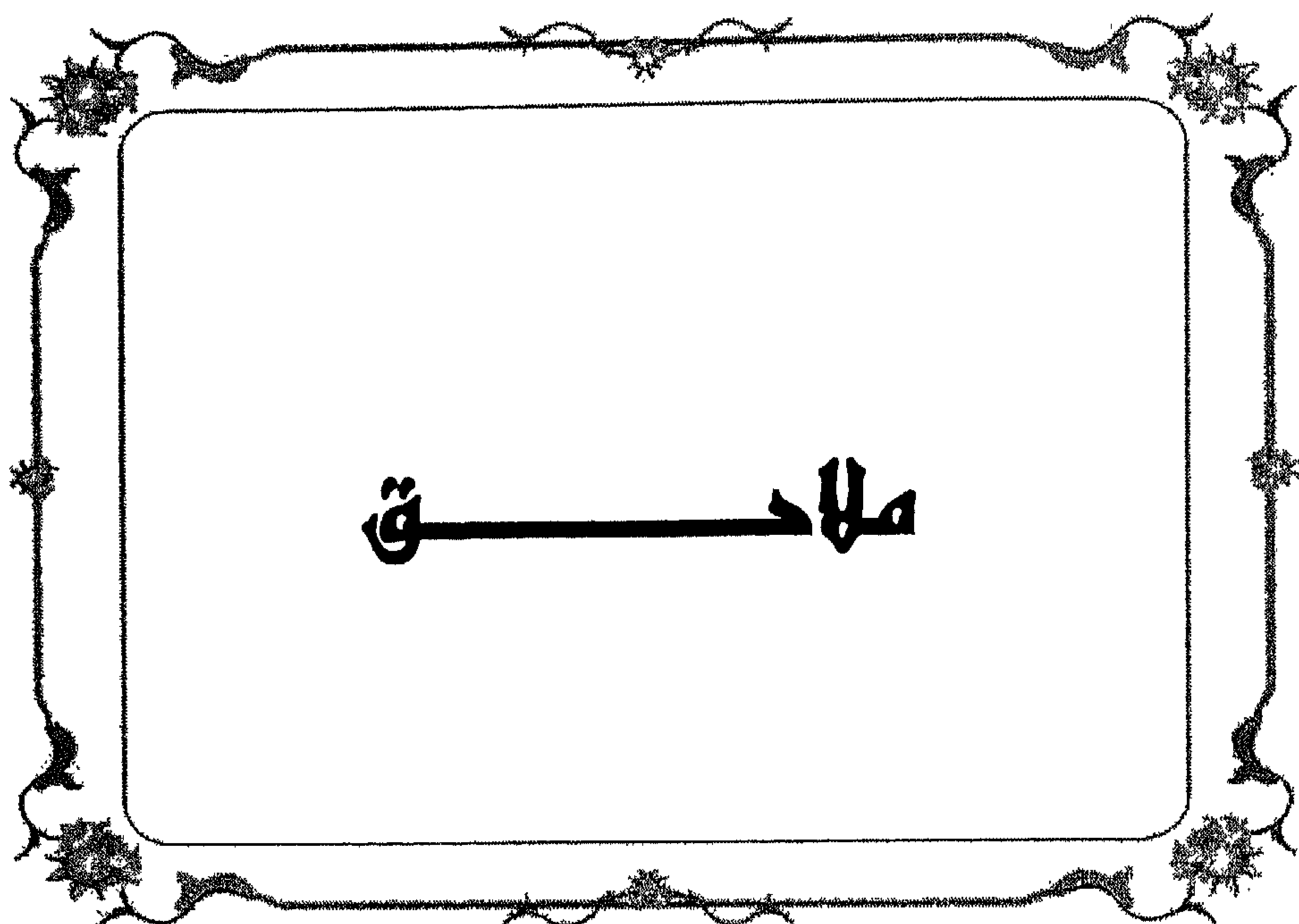
— كُلف الثعبان بالحماية فى معظم الأحيان من قبل قوى مقدسة ليحمى أشياء لها حرمانات.

— ربطت الأساطير الثعبان بالنبوءة والعرافة وما ارتبط بهم من أماكن وشخصيات، كما كان وجوده فى مقار الوحي سببا فى ارتباطه فى الأذهان بالعرافة والعرافين.

- ارتبط الثعبان فى الأساطير بالشفاء والعلاج وما ارتبط بهم من أماكن وشخصيات، حيث لازم اسكليبيوس وهيجيا وغيرهم من الأبطال ذوى القدرات العلاجية.
- ارتبط الثعبان بالخصوبة والتجدد والبعث وصار رمزا لهم، من خلال ارتباطه بآلهة الخصوبة والروح الطيبة وقرن الخير.
- استمد الإغريق أفكارهم عن الثعبان من أربعة مصادر تنقسم بين مصادر خاصة وهى: الموروث المينوى وعبادة الأبطال، ومصادر عامة وهى: طبيعة الثعبان، وقصة سقوط الإنسان. وقد تضافرت هذه المصادر مجتمعة فى تكوين صورة الثعبان فى ذهن الإغريق.
- كانت الإلهة أثينا تمثل امتدادا للإلهة المينوية.
- كان الثعبان يجسد روح السلف الميت.
- كان الملوك أنصاف الثعابين صورة للأشخاص المقدسين الذين تلقوا التكريم والعبادة ونالت أرواحهم الخلود.
- كان الإغريق على دراية كافية ليس فقط بطبيعة الثعبان، بل وبصفاته التشريحية.
- لم يتفرد الإغريق فيما انتجوه من أفكار حول الثعبان عن الحضارات الأخرى، بل شاركوا الشعوب القديمة نفس الأفكار، التى نبعت فى معظمها من قصة سقوط الإنسان.
- من خلال تعامل الباحث مع مجموعة من الأساطير قام بتحليل البعض منها، والبحث عن سبب ظهور الثعبان فيها، وتفسير ما يرمز إليه دوره، كما دعم بالأدلة ما أيده من تفسيرات سابقة لغيره من الباحثين.

والجديد الذى قد يضيفه هذا البحث يتمثل فى أنه:

- يضيف إلى الدراسات السابقة عن الثعبان عند الإغريق جانبا جديدا هو الجانب الأسطوري.
- يضيف إلى سلسلة الدراسات الحضارية عن الثعبان دراسة جديدة.
- يعطى صورة نموذجية عن دور الثعبان فى الأساطير بأشكاله المختلفة كحيوان طبيعى، ووحش، ومُتَقَمَّص، ومسوخ، وممسوخ إليه.
- يقدم تفسيرات جديدة لبعض الأساطير عن طريق التركيز على دور الكائن الثعبانى وما يرمز إليه، ففسر أسطورة تيفون، وكذا أسطورة ميدوسا، ولادون، وثعبان كولخيس، وفسر شكل كيربيروس، كما دعم تفسير أسطورة بيثون وهيدرا.
- قدم تصورا جديدا لأصل وتطور شخصية الإلهة أثينا.
- حدد المصادر التى استمد منها الإغريق أفكارهم عن الثعبان.

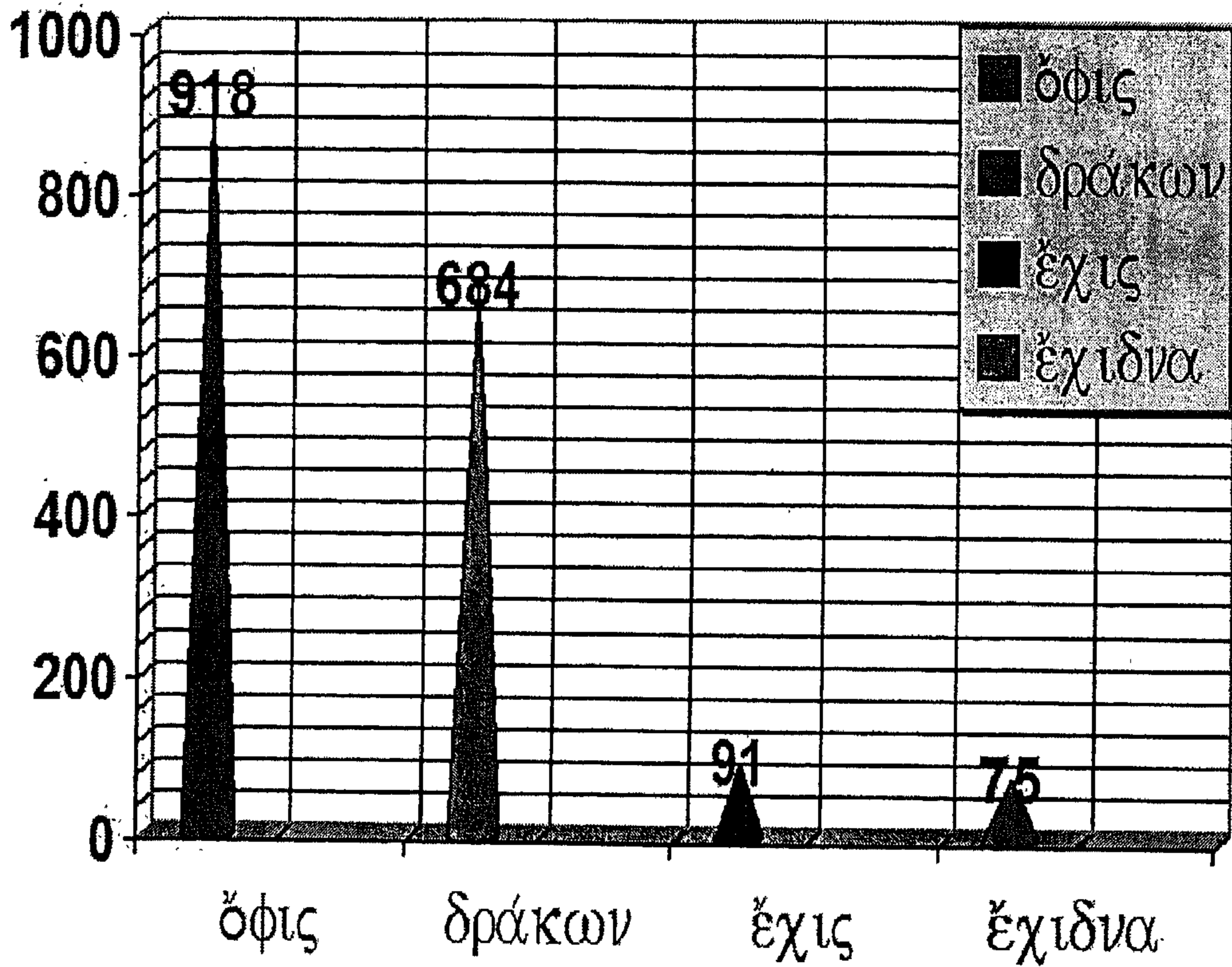


مِلَّةٌ قَاطِنَةٌ

ملحق (١)

إحصائية توضح عدد الإشارات التي ورد فيها كل مرادف من المرادفات التي تشير إلى الثعبان في حالة الفاعل المفرد.

الكلمة	ὄφις	δράκων	ἔχις	ἔχιδνα
عدد الإشارات	٩١٨	٦٨٤	٩١	٧٥



رسم بياني يوضح الفروق الإحصائية من مرادف لآخر

ملحق (٢)

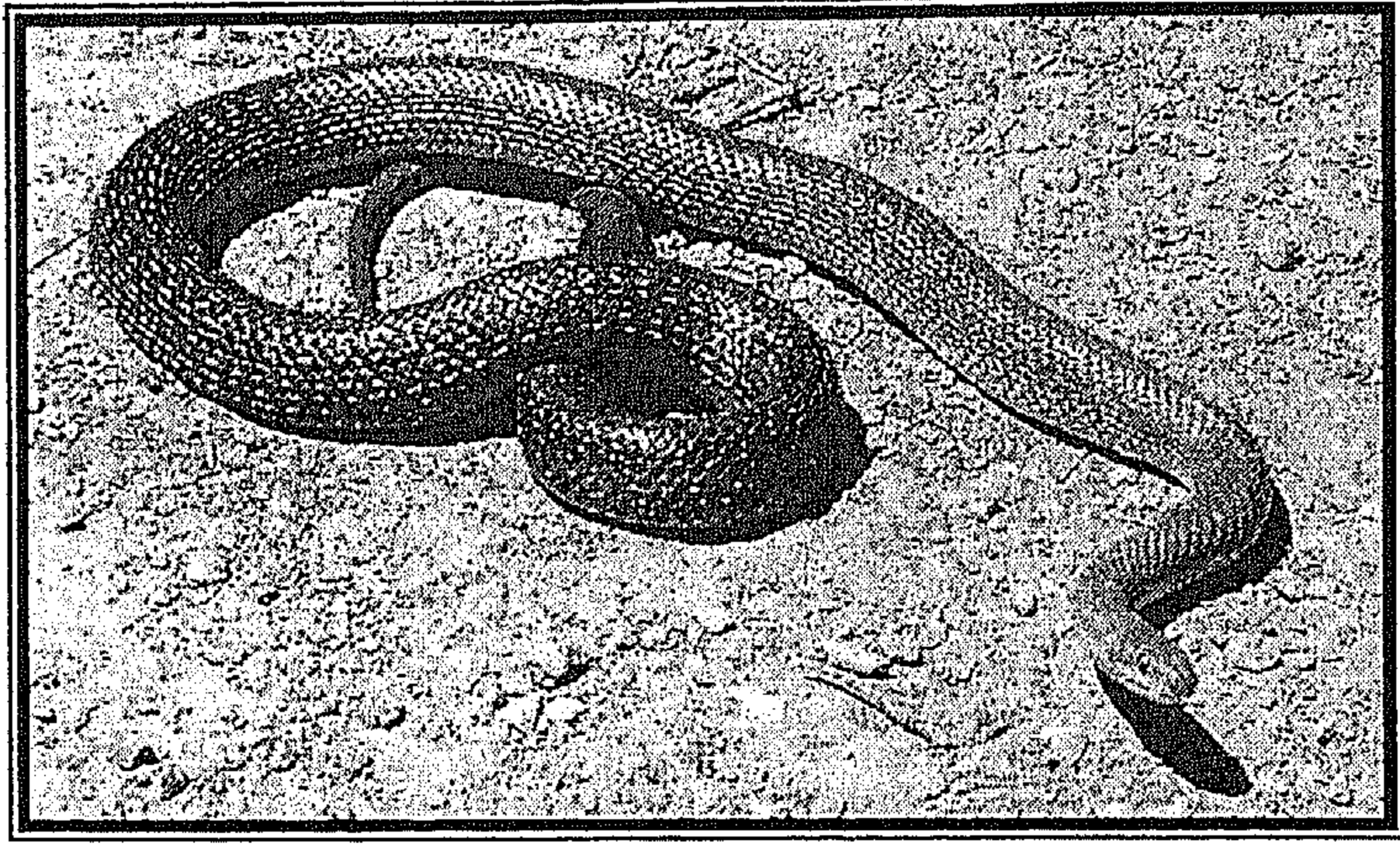
قائمة بالتواريخ الاحتمالية* والثابتة لثورات بركان ايتنا

١٥٠٠-، ٩٧٣٥-، ٦٩٥-، ٥٦٥-، ٤٧٩- إلى ٤٧٦-، ٤٢٥- إلى ٤٢٤-، ٣٩٦-، ٣٥٠-، ١٤١-، ١٣٥-، ١٢٦-، ١٢٢-، ٦١-، ٥٦-، ٤٩-، ٤٤-، ٣٦-، ٣٢-، ١٠-، ١٠، ٣٩، ٩٨٠، ٩٢٥٢، ٩٤١٧، ٩٦٤٤، ٩٨١٢، ٩٨١٤، ٩٨٥٩، ٩٩١١، ٩٩١٠، ٩٩٠٤، ٩٩٠٤، ١٠٦٣، ١١٥٧، ١١٦٠، ١١٦٤، ١١٦٩، ١١٩٤، ١٢٢٢، ١٢٥٠، ١٢٤٨ إلى ١٢٨٥، ١٣٢٩، ١٣٣٣، ١٣٥٠، ١٣٨١، ١٤٠٨، ١٤٤٤، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٩٤، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٥٤، ١٥٦٦، ١٥٧٩ إلى ١٥٨٠، ١٥٩٥، ١٦٠٣، إلى ١٦١٠، ١٦١٤ إلى ١٦٢٤، ١٦٣٣، ١٦٣٤ إلى ١٦٣٨، ١٦٤٣، ١٦٤٦ إلى ١٦٤٧، ١٦٥١ إلى ١٦٥٤، ١٥٥٣-١٦٥٦، ١٦٦٩، ١٦٨٢، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٣، ١٦٩٣ إلى ١٦٩٣، ١٦٩٤، ١٧٠٢، ١٧٢٣ إلى ١٧٢٤، ١٧٣٢ إلى ١٧٣٣، ١٧٣٥ إلى ١٧٣٦، ١٧٤٤ إلى ١٧٤٥، ١٧٤٧ إلى ١٧٤٩، ١٧٥٢ إلى ١٧٥٨، ١٧٥٥، ١٧٥٨ إلى ١٧٥٩، ١٧٦٣، ١٧٦٤ إلى ١٧٦٥، ١٧٩٢ إلى ١٧٩٣، ١٧٩٧ إلى ١٨٠١، ١٨٠٢، ١٨٠٣ إلى ١٨٠٩، ١٨١٠، ١٨١١ إلى ١٨١٢، ١٨١٦، ١٨١٩، ١٨٢٢، ١٨٢٧، ١٨٢٨ إلى ١٨٣٢، ١٨٦٥، ١٨٦٨، ١٨٦٩، ١٨٧٤، ١٨٧٨ إلى ١٨٨٣، ١٨٨٤ إلى ١٨٨٥، ١٨٨٦، ١٨٩١، ١٨٩٢، ١٨٩٣ إلى ١٨٩٨، ١٨٩٩، ١٨٩٩ إلى ١٩٠٧، ١٩٠٨، ١٩٠٩، ١٩١٠، ١٩١٠ إلى ١٩١١، ١٩١٢، ١٩١٣ إلى ١٩١٧، ١٩١٨، ١٩١٩ إلى ١٩٢٣، ١٩٢٣، ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٨، ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١ إلى ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥ إلى ١٩٣٩، ١٩٤٠ إلى ١٩٤٢، ١٩٤٢ إلى ١٩٤٤، ١٩٤٥، ١٩٤٦، ١٩٤٧، ١٩٤٩ إلى ١٩٥٠، ١٩٥٠ إلى ١٩٥١، ١٩٥١، ١٩٥٢، ١٩٥٣، ١٩٥٥ إلى ١٩٥٦، ١٩٥٧ إلى ١٩٥٨، ١٩٥٩، ١٩٥٩ إلى ١٩٦٤، ١٩٦٦ إلى ١٩٧١، ١٩٧١ إلى ١٩٧٩، ١٩٧٩ إلى ١٩٩٢، ١٩٩٣، ١٩٩٤ إلى ٢٠٠١، ٢٠٠٢ إلى ٢٠٠٣، ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٥، ٢٠٠٦ إلى ٢٠٠٨*.

* تشير علامة الإستفهام (?) إلى أن التاريخ محتمل. و تشير علامة (-) قبل السنة إلى حقبة ما قبل الميلاد.

* اعتمد الباحث في إعداد هذه القائمة على <http://www.volcanolive.com/etna.html>

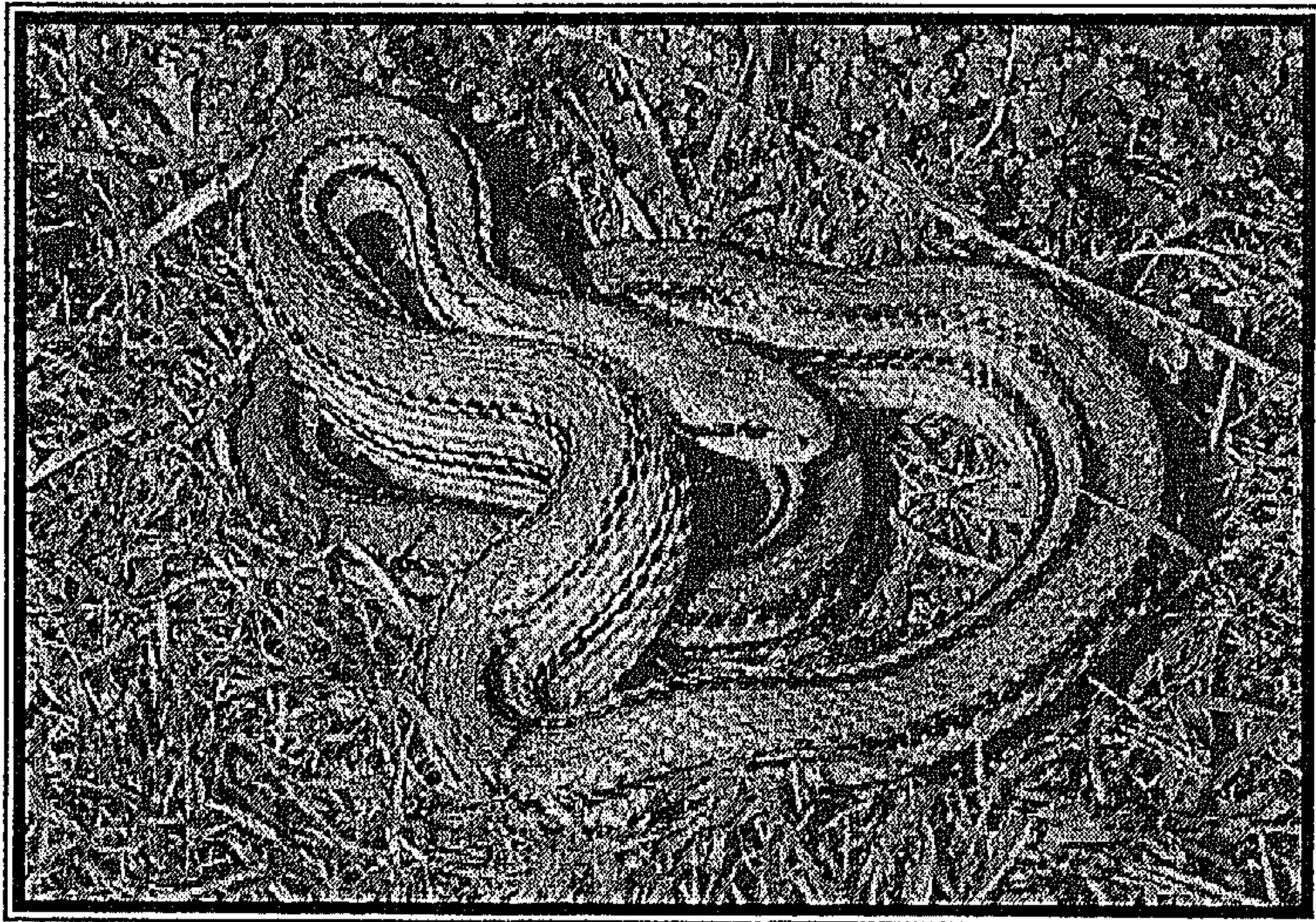
كتالوج الصور والأشغال



(شكل ١)

الثعبان الأسكليبي

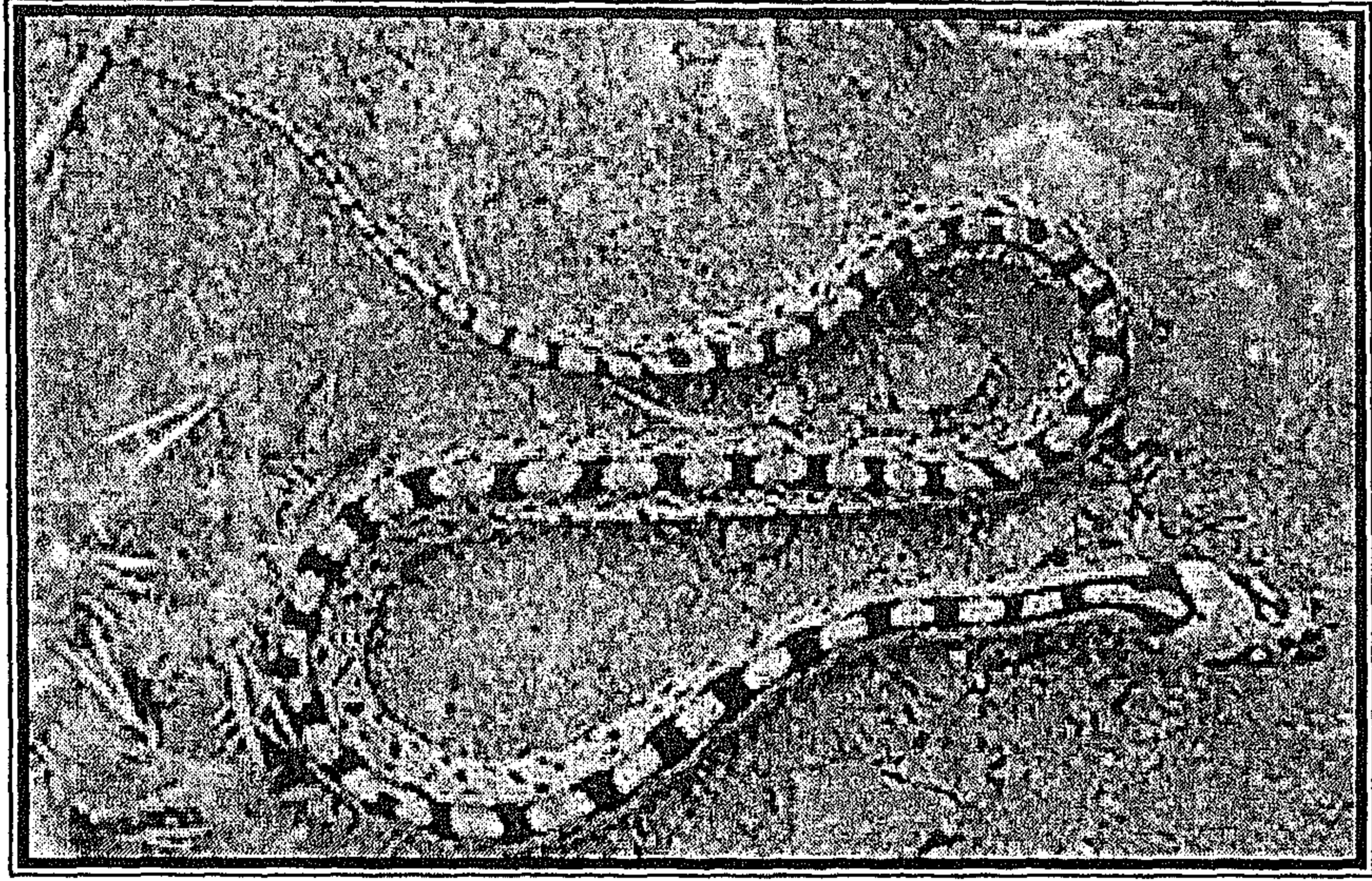
http://www.aly-abbara.com/histoire/Mythologie/Grece/images/serpent_Asklepios_05.html



(شكل ٢)

الثعبان ذو الخطوط الأربعة

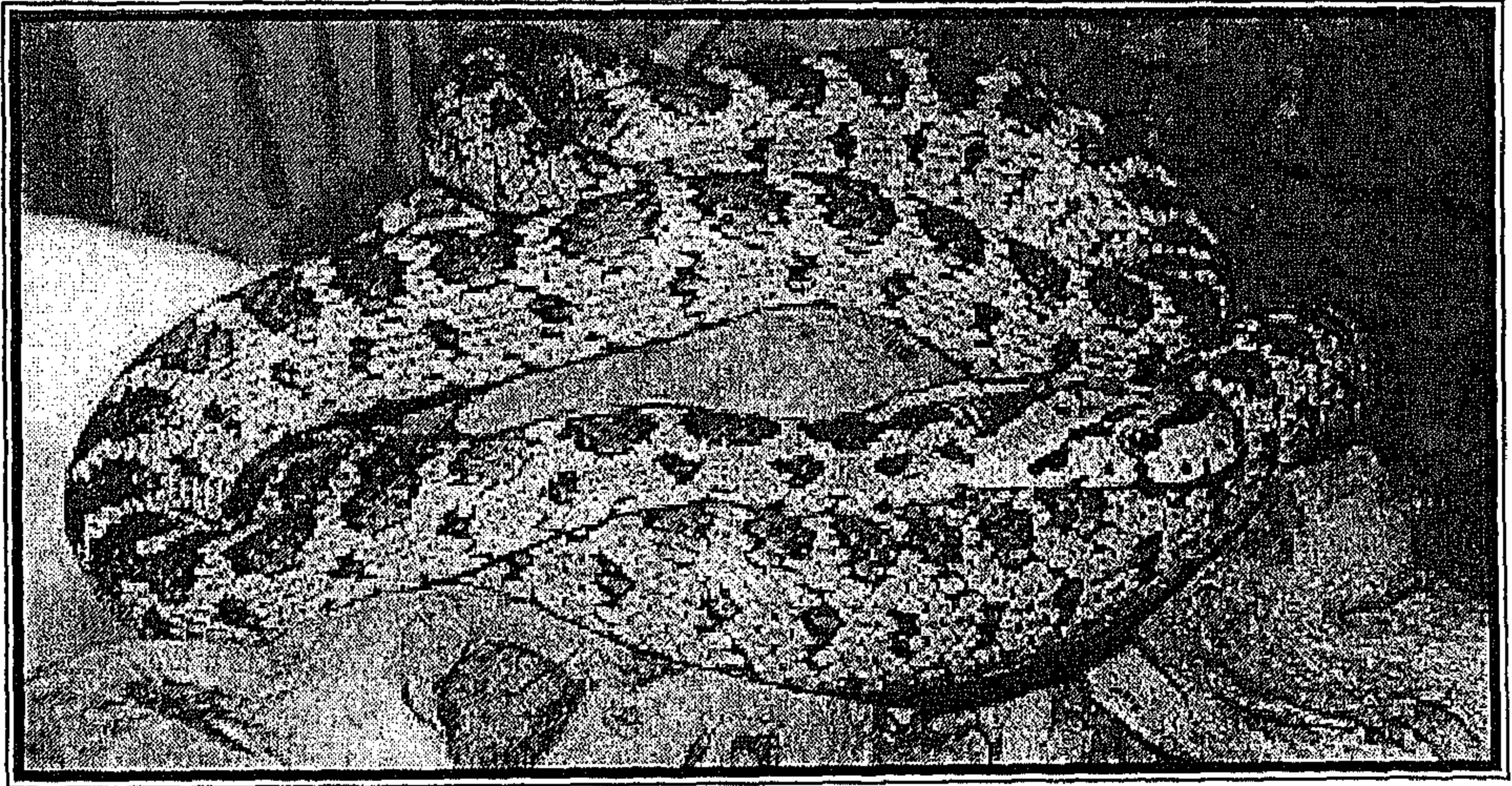
<http://www.herp.it/SpeciesPages/ElaphQuatu.htm>



(شكل ٣)

الثعبان السلم

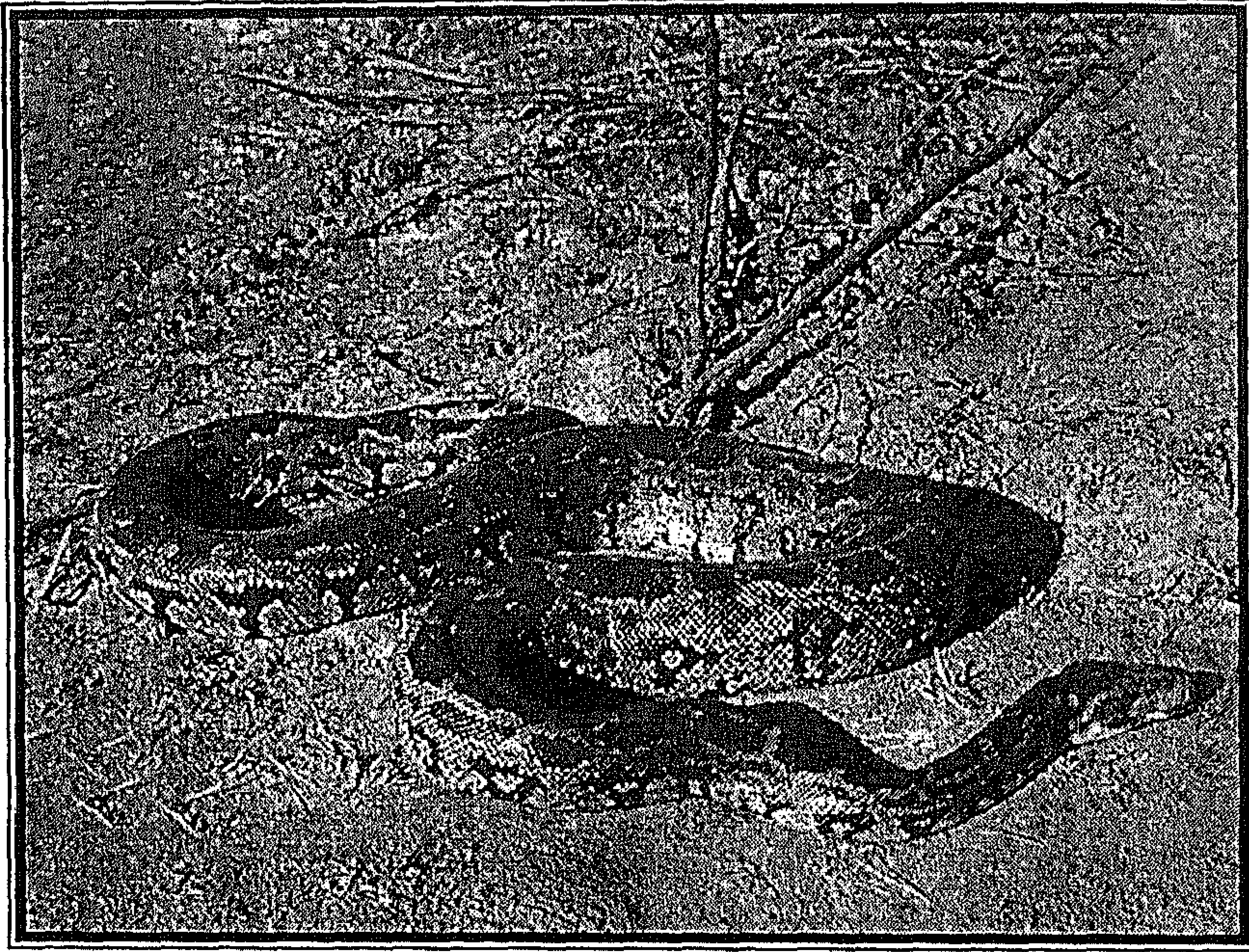
http://www.planetepassion.com/SPECIES%20FACT%20SHEET/S/SNAKES/Couleuvre_%C3%A0_%C3%A9chalons-Elaphe_sclaris.htm



(شكل ٤)

الثعبان النمر

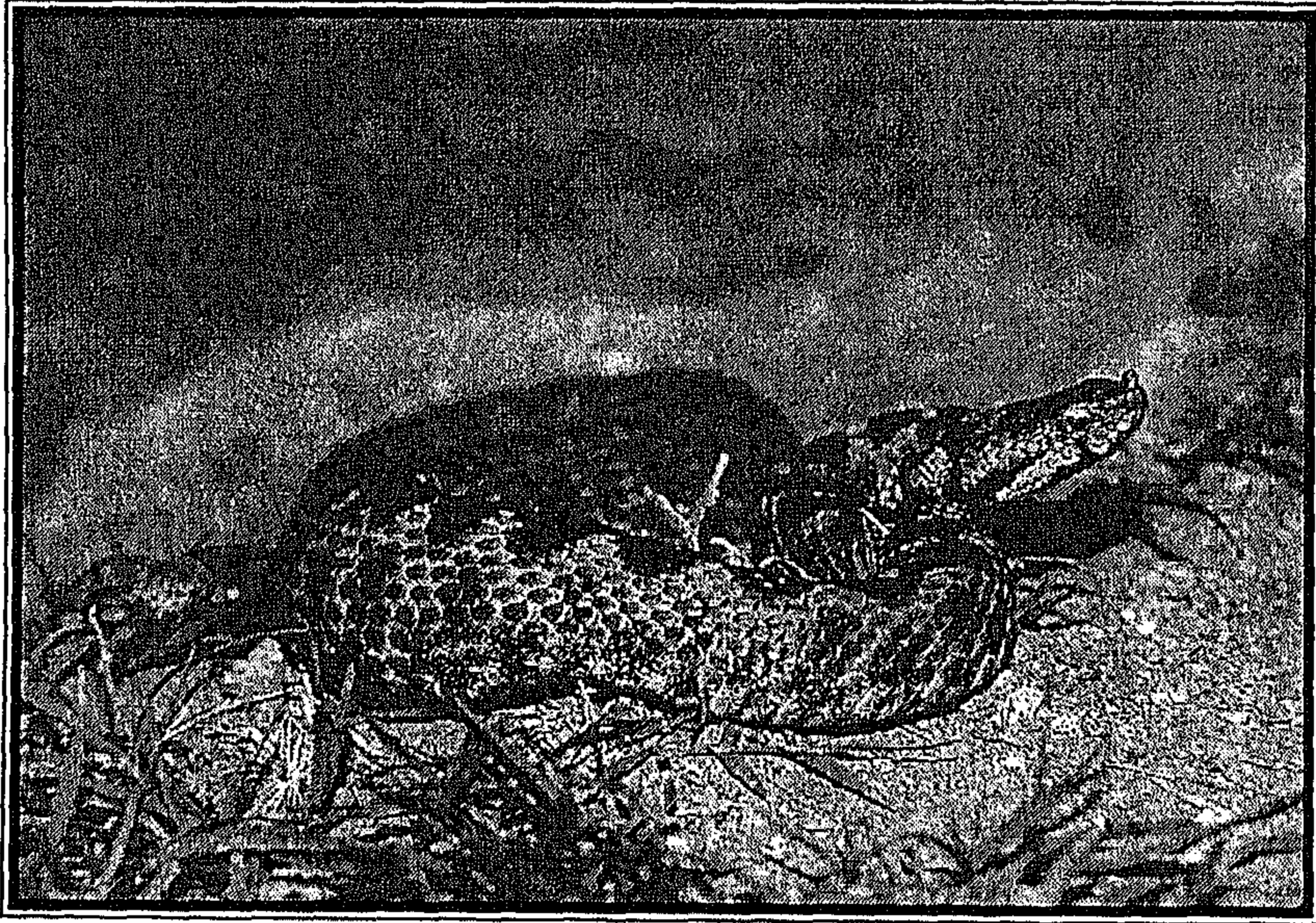
<http://www.ratsnakes.com/Esitula.html>



(شكل ٥)

الأصلة

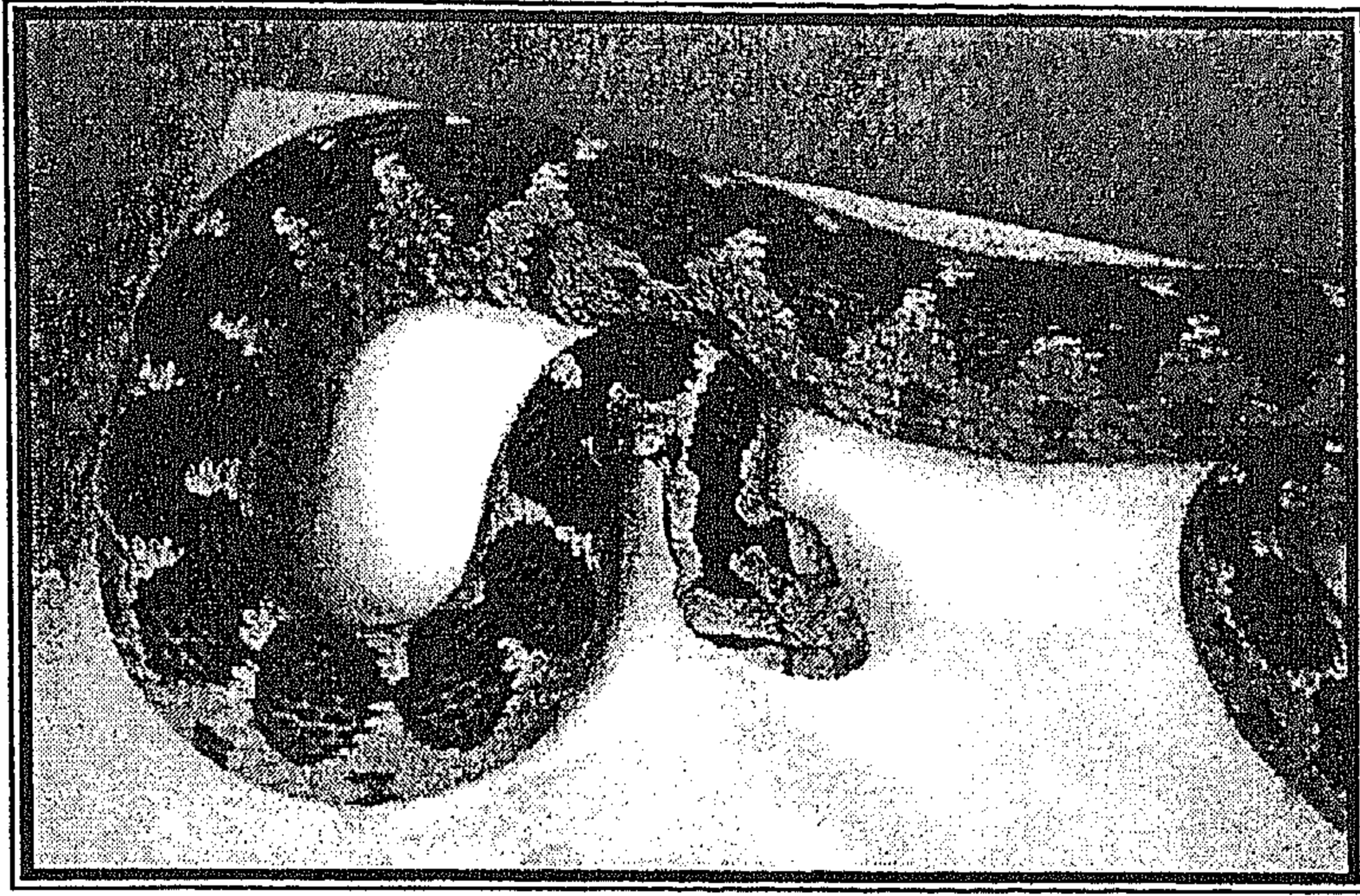
<http://www.dinosoria.com/python.htm>



(شكل ٦)

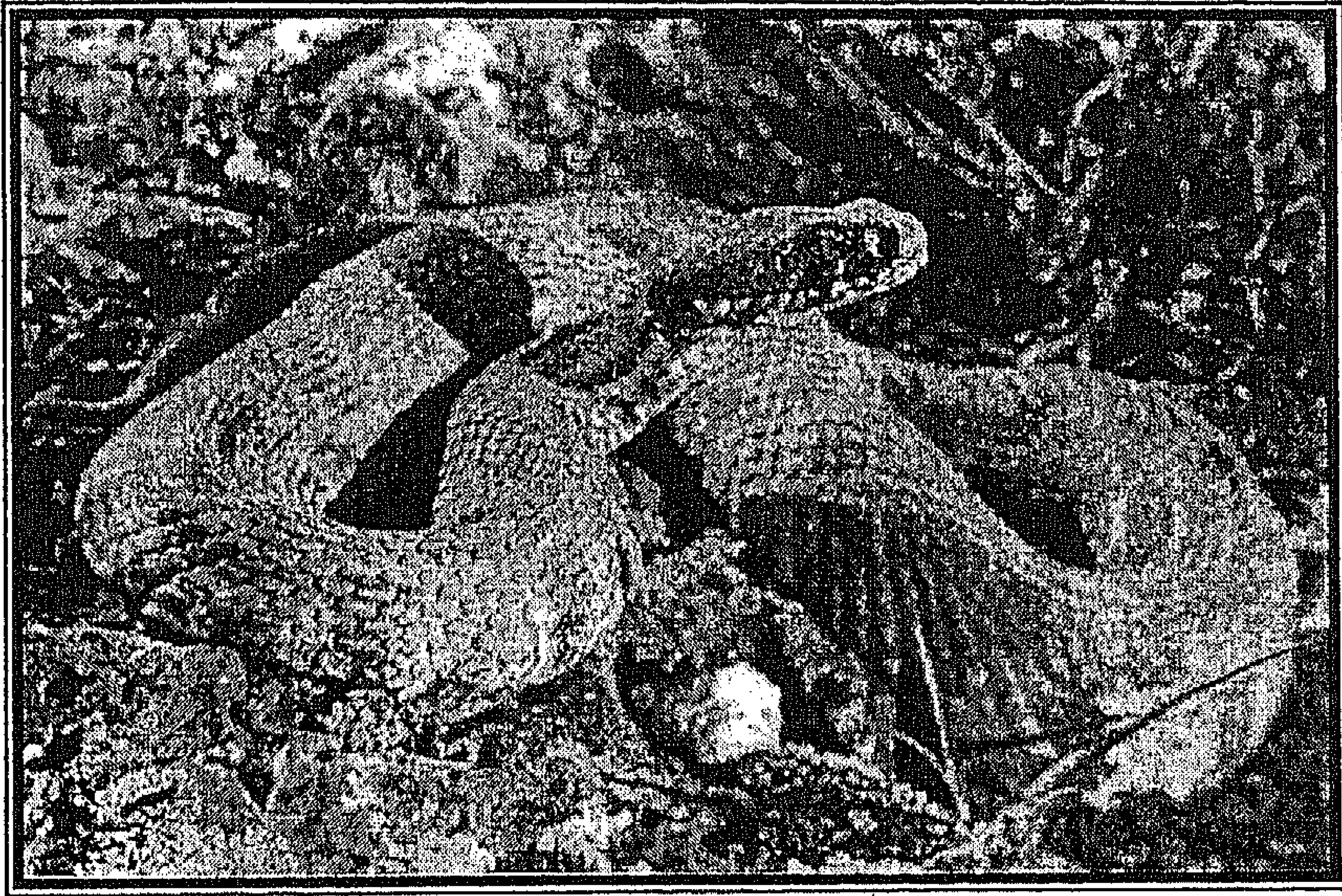
الأفعى قرنية الأنف

http://www.club100.net/species/V_ammodytes/V_ammodytes.html



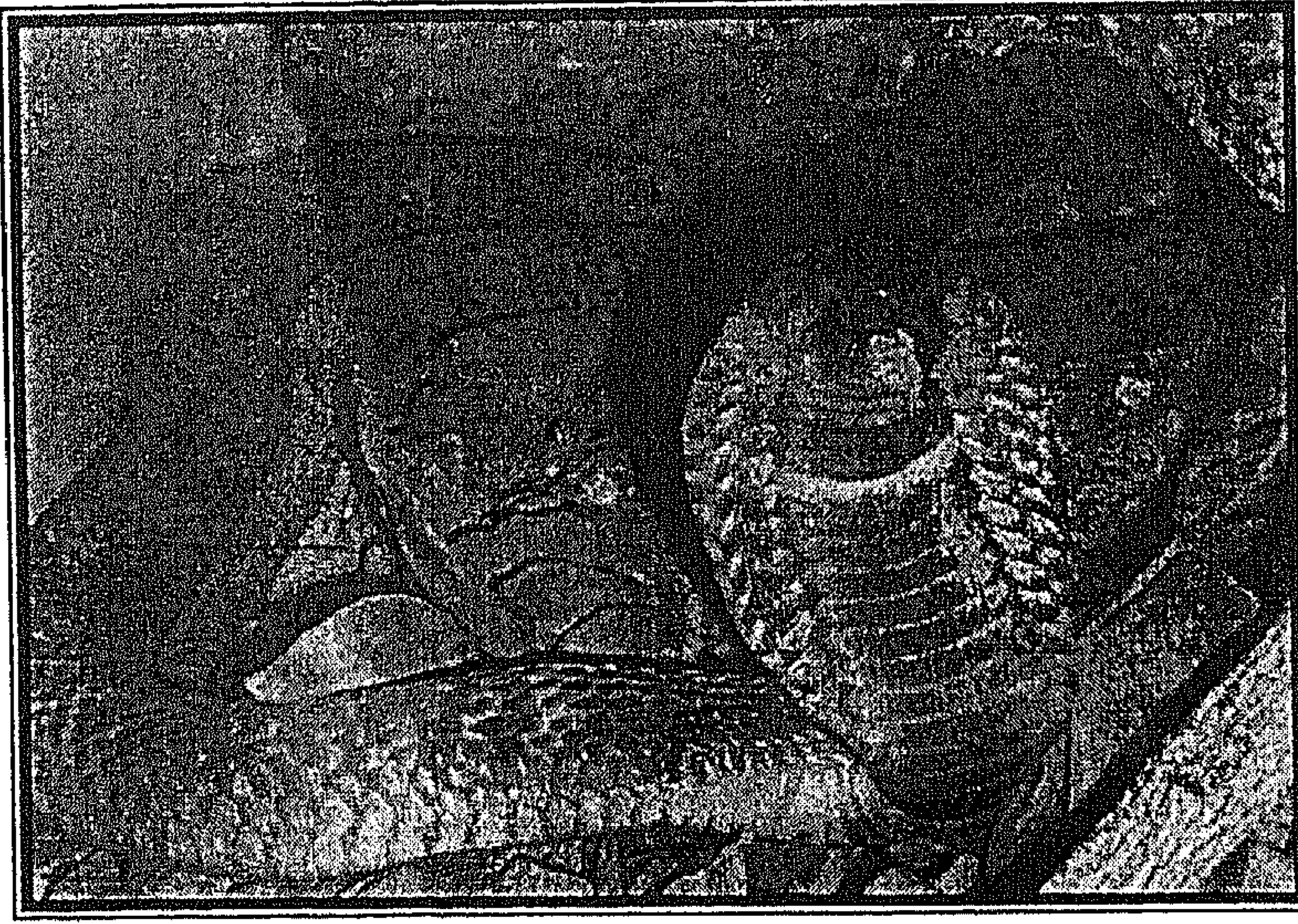
(شكل ٧)
أفعى الصخر

<http://en.wikipedia.org/wiki/Image:Vipera-xanthina-1a.jpg>



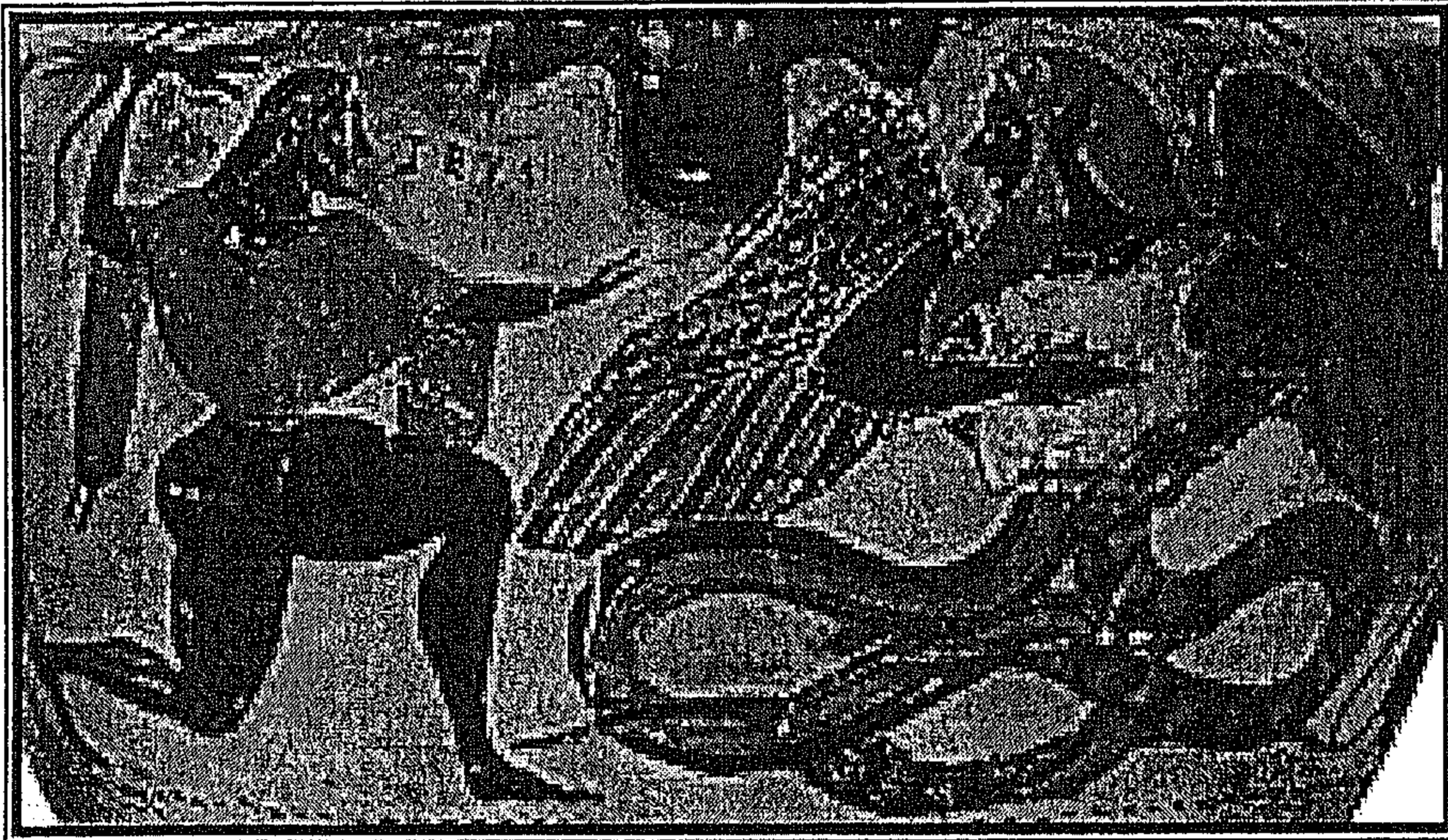
(شكل ٨)
الأفعى الكوفية

http://www.ruedigerpreiss.com/blunt_nosed_viper.html



(شكل ٩)
الكوبر المصرية

<http://en.wikipedia.org/wiki/Image:L14cobra.jpg>



(شكل ١٠)

تيفون تتدلى منه الثعابين يقف إلى اليمين في مواجهة زيوس على
إناء ماء يرجع إلى حوالي ٥٤٠ ق.م. محفوظ في
Antikensammlungen, Munich برقم 596 .

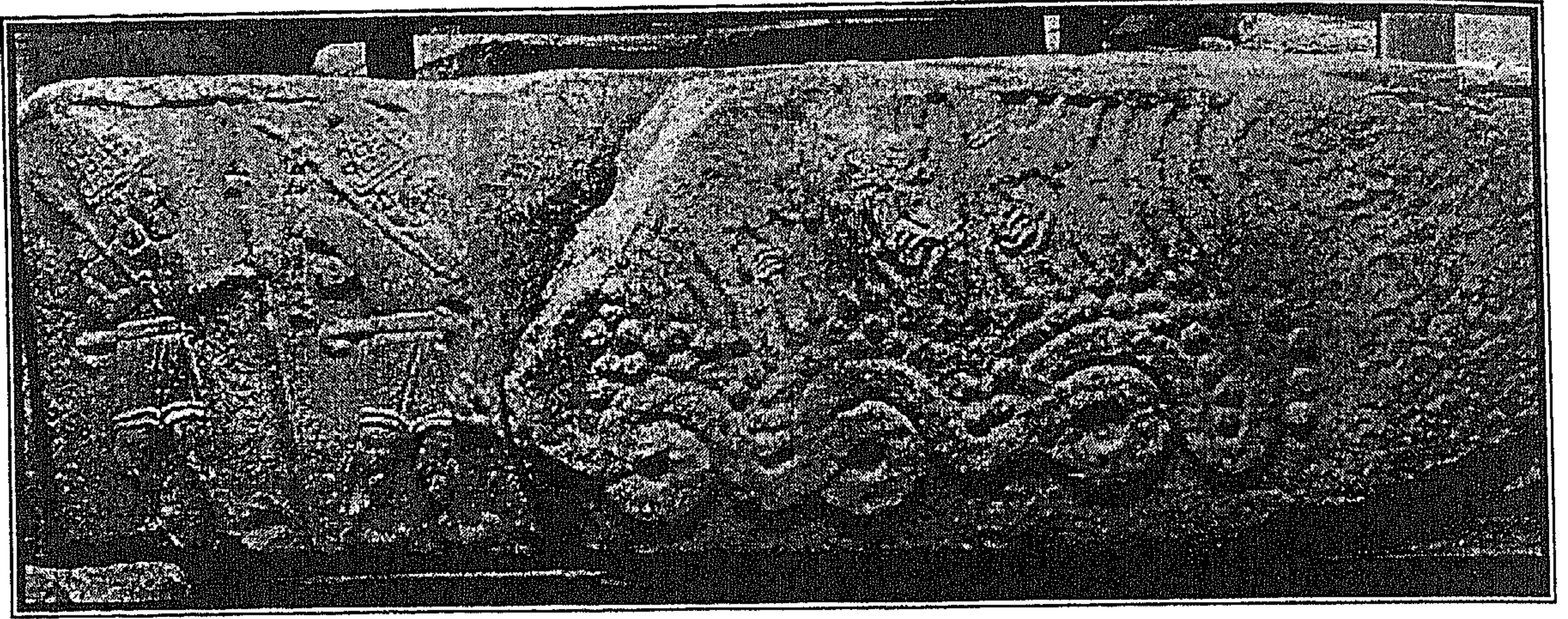
<http://www.theoi.com/Gigante/Typhoeus.html>



(شکل ۱۱)

کرشنا یقزی علی کالیا

<http://www.krsna.de/Bildergalerie/8hin.html>

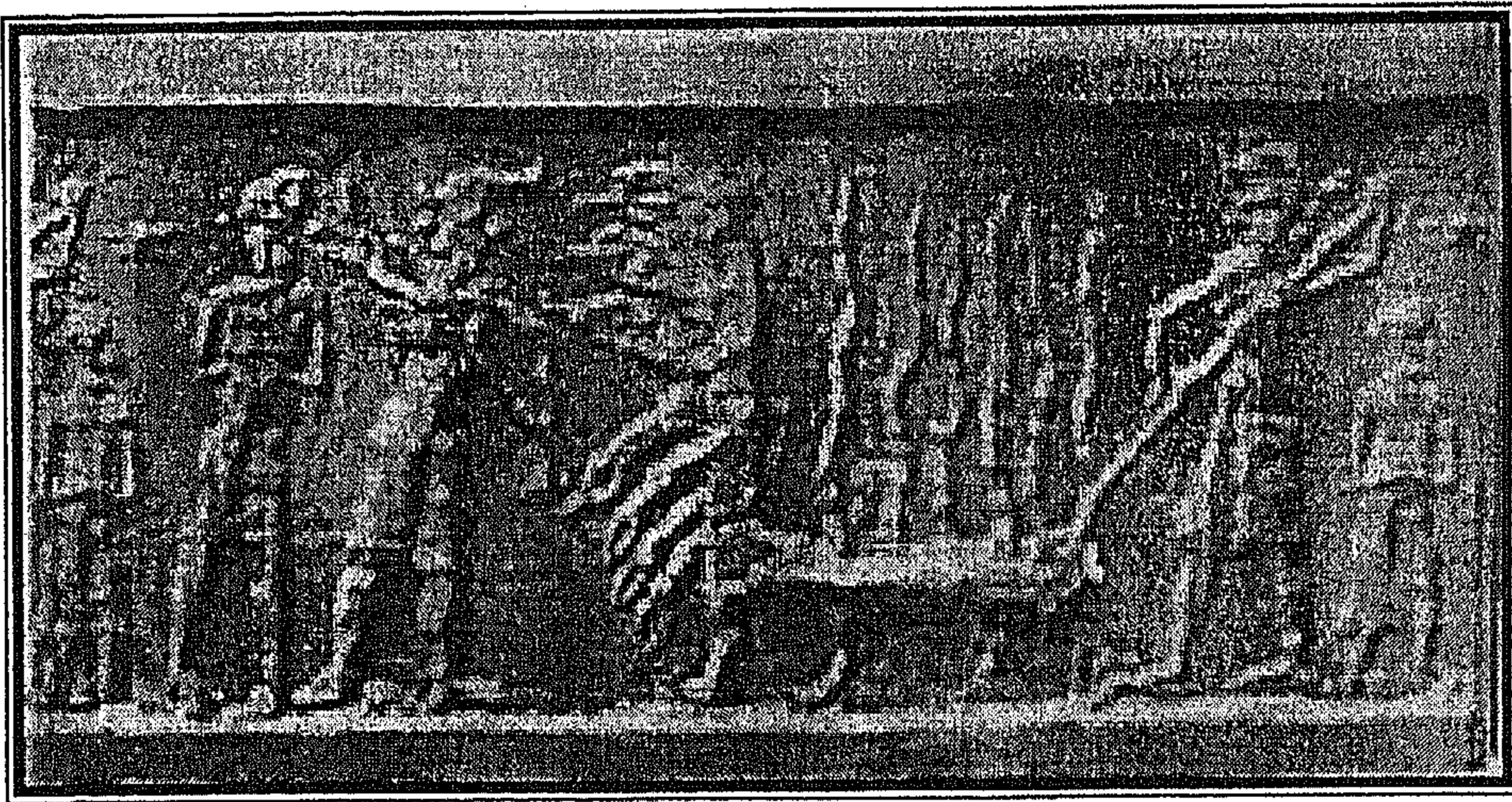


(شكل ١٢)

إله الطقس يرفع حربته في طريقه للقضاء على التتين إلهويناكاس، محفوظ في

Museum of Anatolian Civilizations, Ankara, Turkey apud

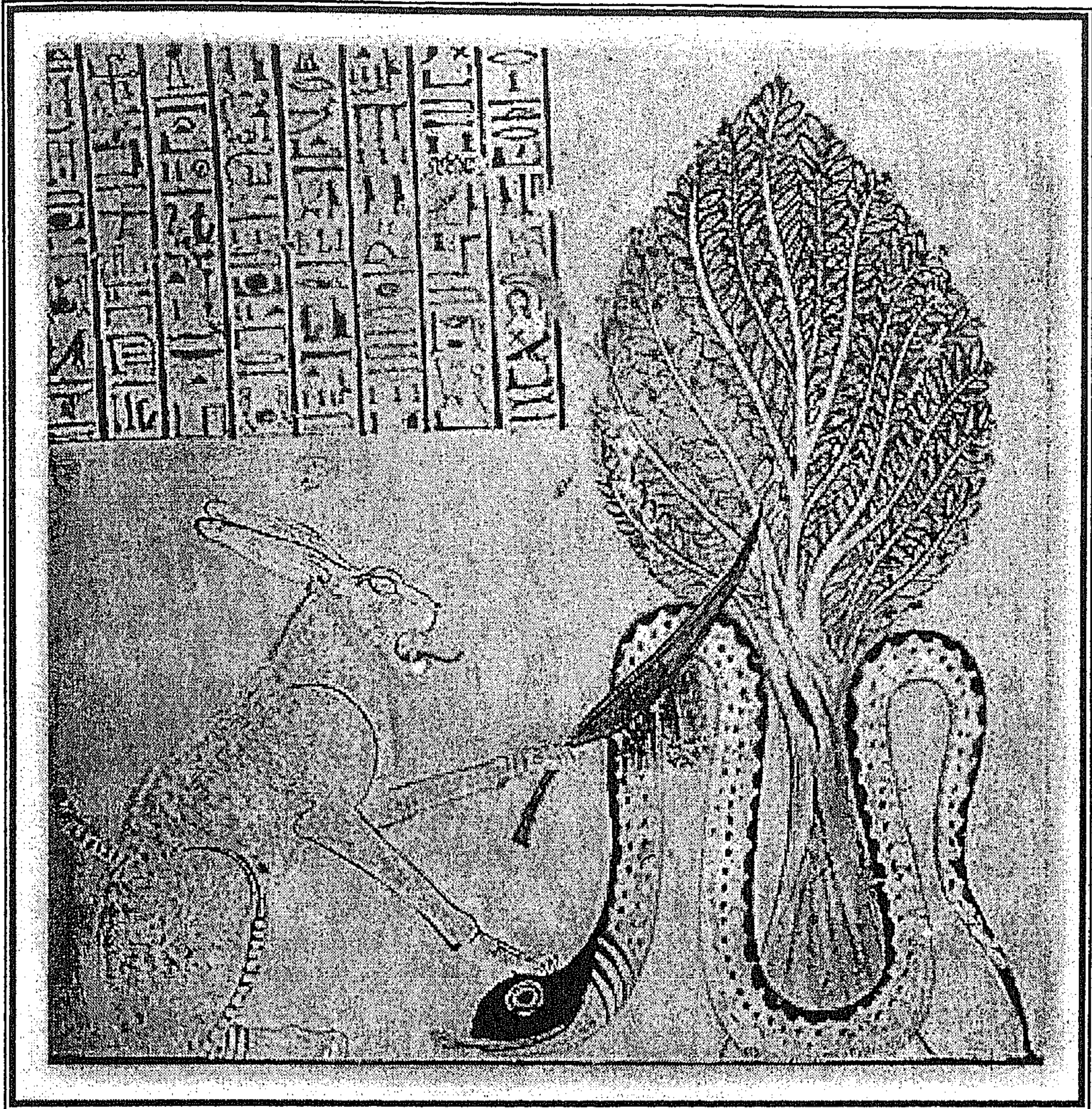
<http://en.wikipedia.org/wiki/Iluyanka>



(شكل ١٣)

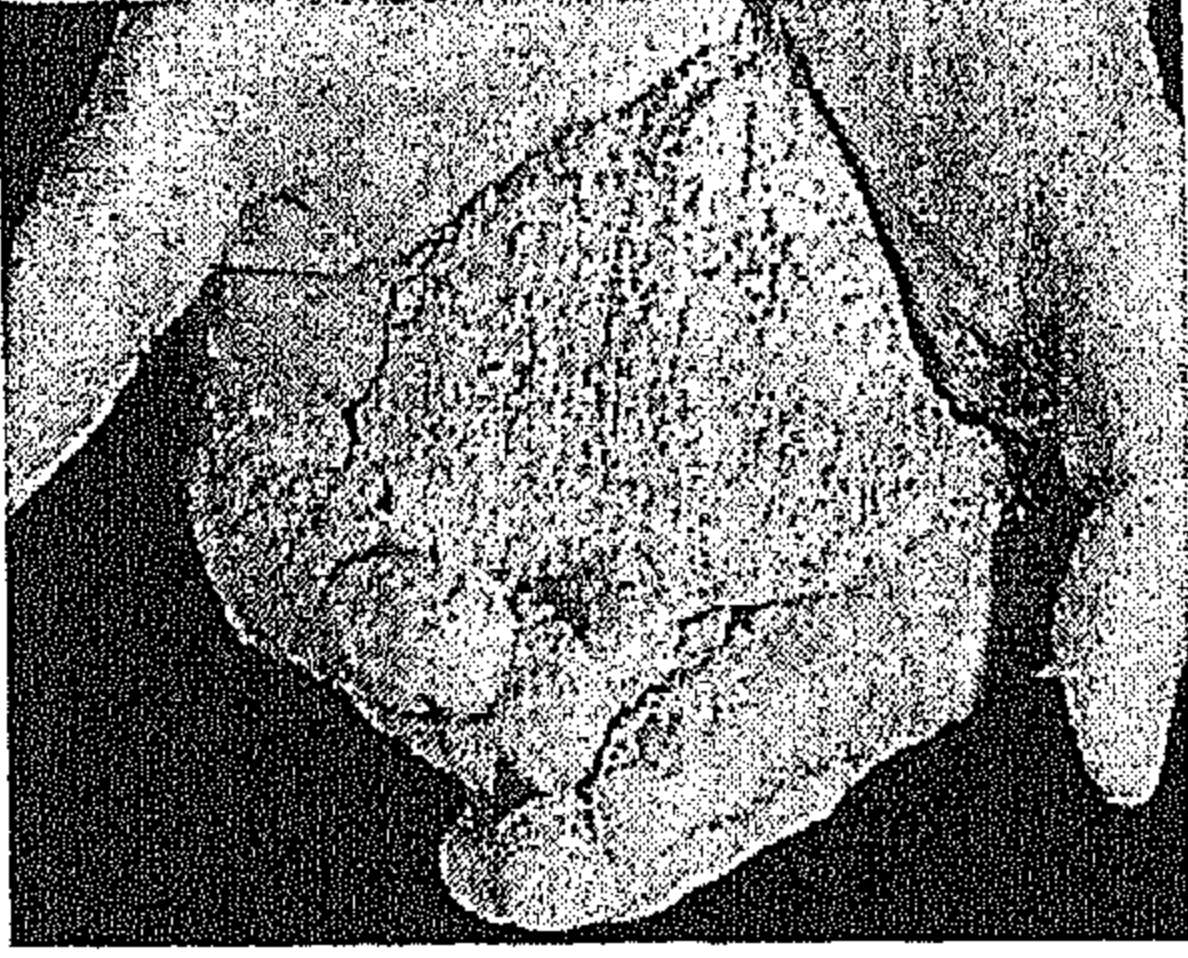
بعل يقضى على لوتان بمعاونة عناة

apud <http://www.ifar.org/cuniefomfig5.jpg>



(شكل ١٤)

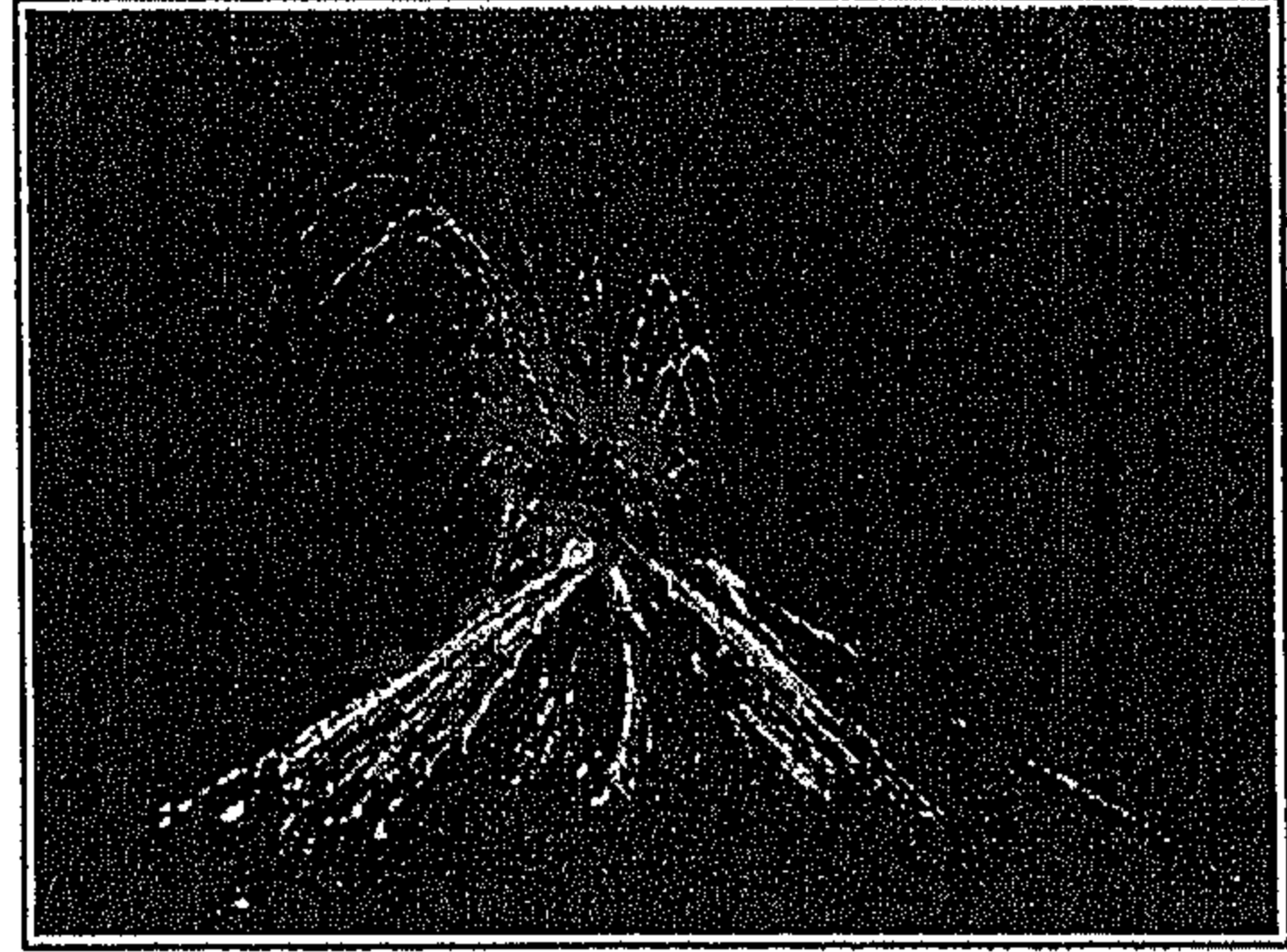
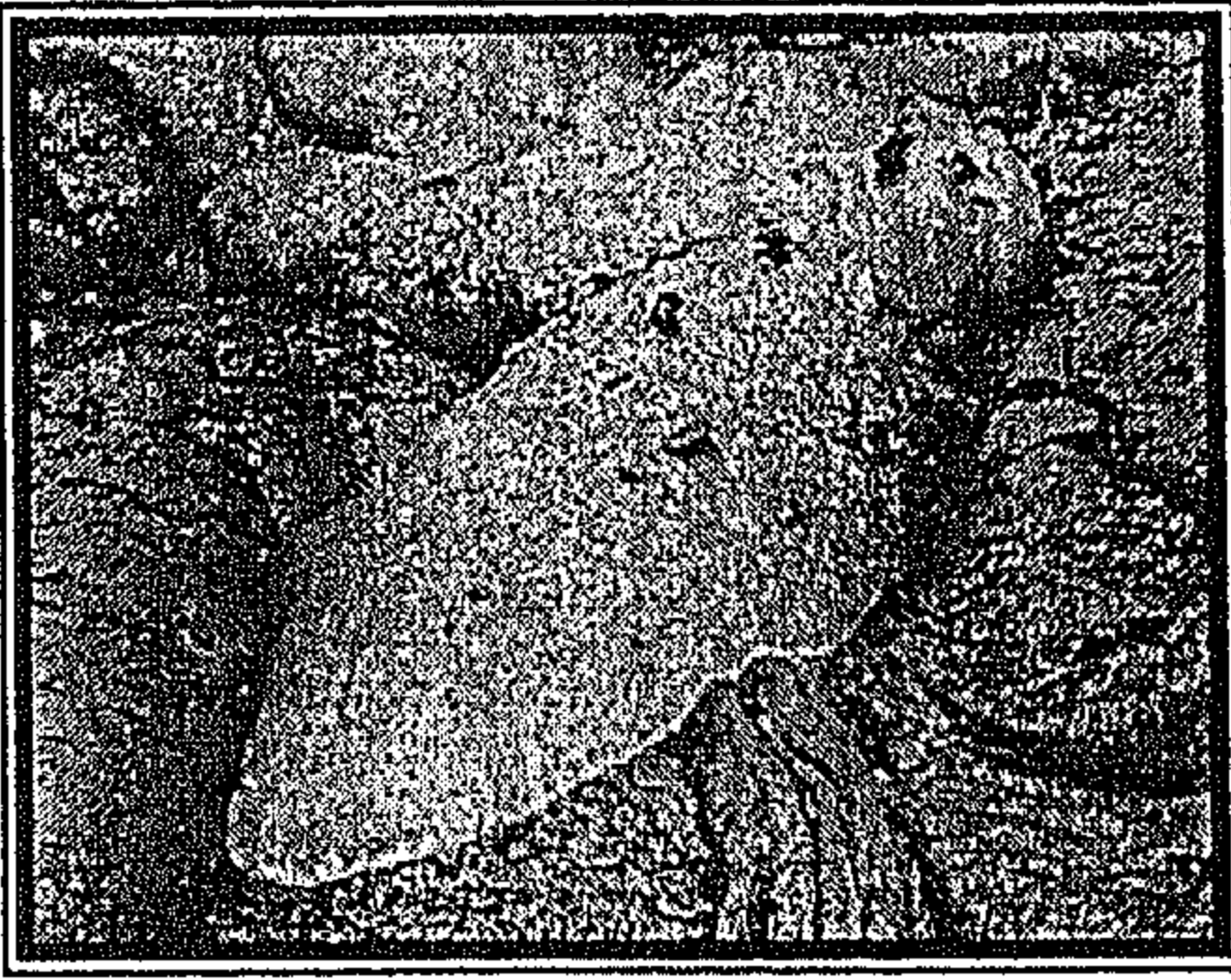
رع فى صورة هر هليوبوليس يقضى على الثعبان أبيب
<http://www.touregypt.net/featurestories/a pep.htm>



رماد من مخلفات البركان



صخور بركانية سوداء

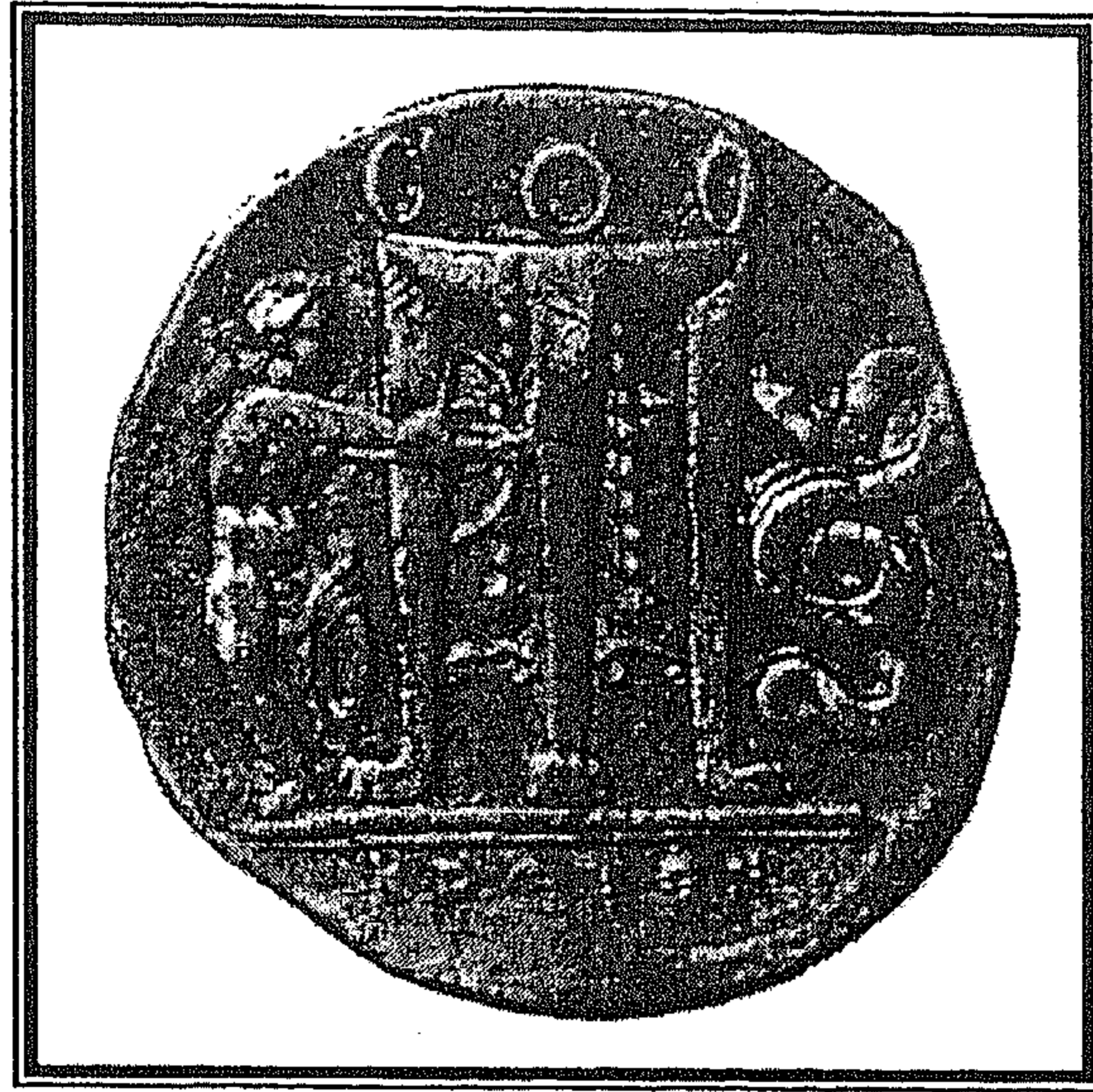


تخرج الحمم وتسيل في أشكال شعبانية

(شكل ١٥)

بعض مظاهر البراكين

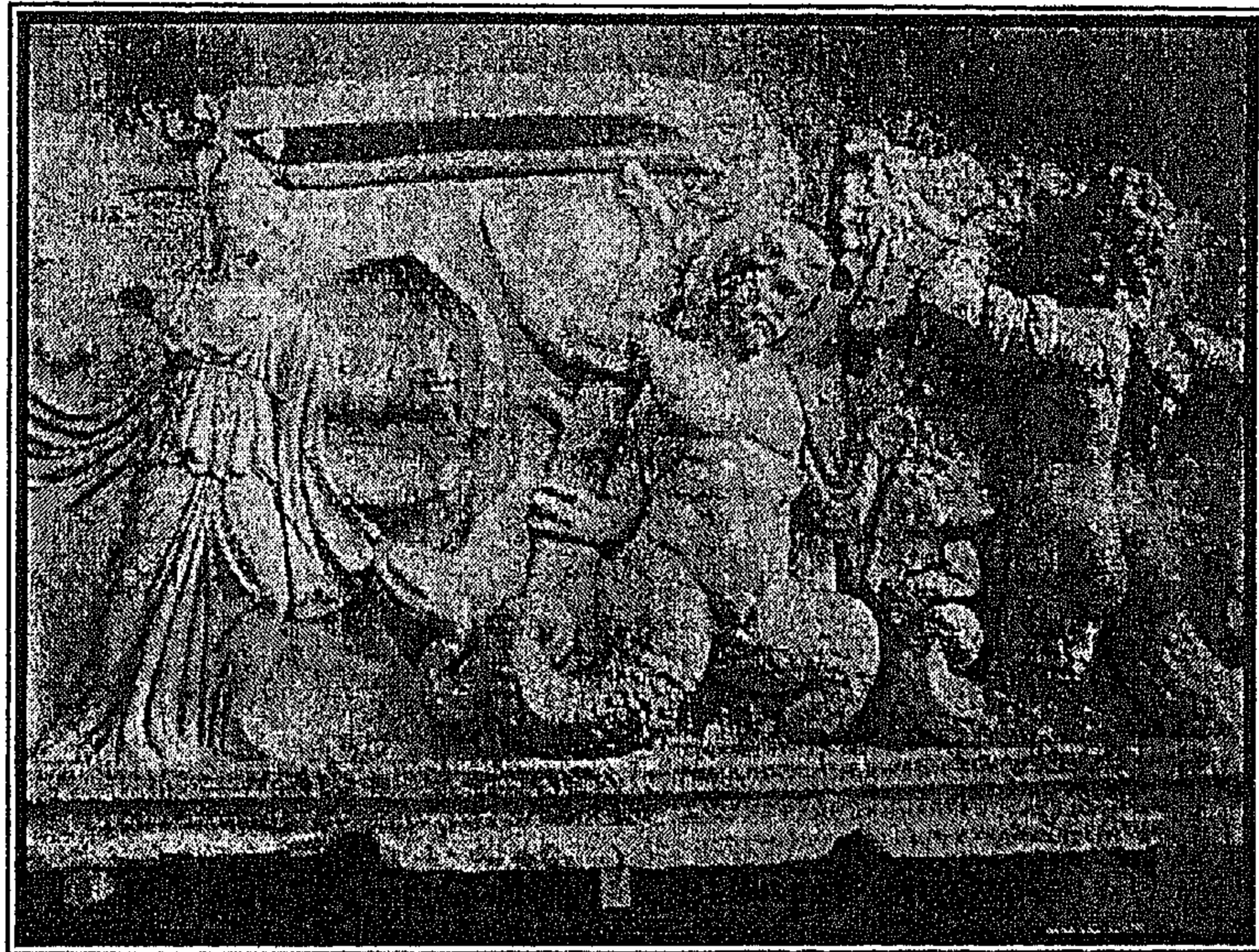
<http://volcanoes.usgs.gov/Products/Pglossary/pglossary.html>



(شكل ١٦)

أبوللون يطلق سهمه نحو التين بيثون صورة على عملة

http://www.kzu.ch/fach/as/galerie/myth/goetter/apart/03_delphi/03.htm



(شكل ١٧)

العمالقة في مواجهة أثينا وقد استبدلت أقدامهم بالشعابين

نحت بارز من أجورا أفروديسياس يرجع لحوالي القرن الاول الميلادي.

<http://en.wikipedia.org/wiki/Gigantes>



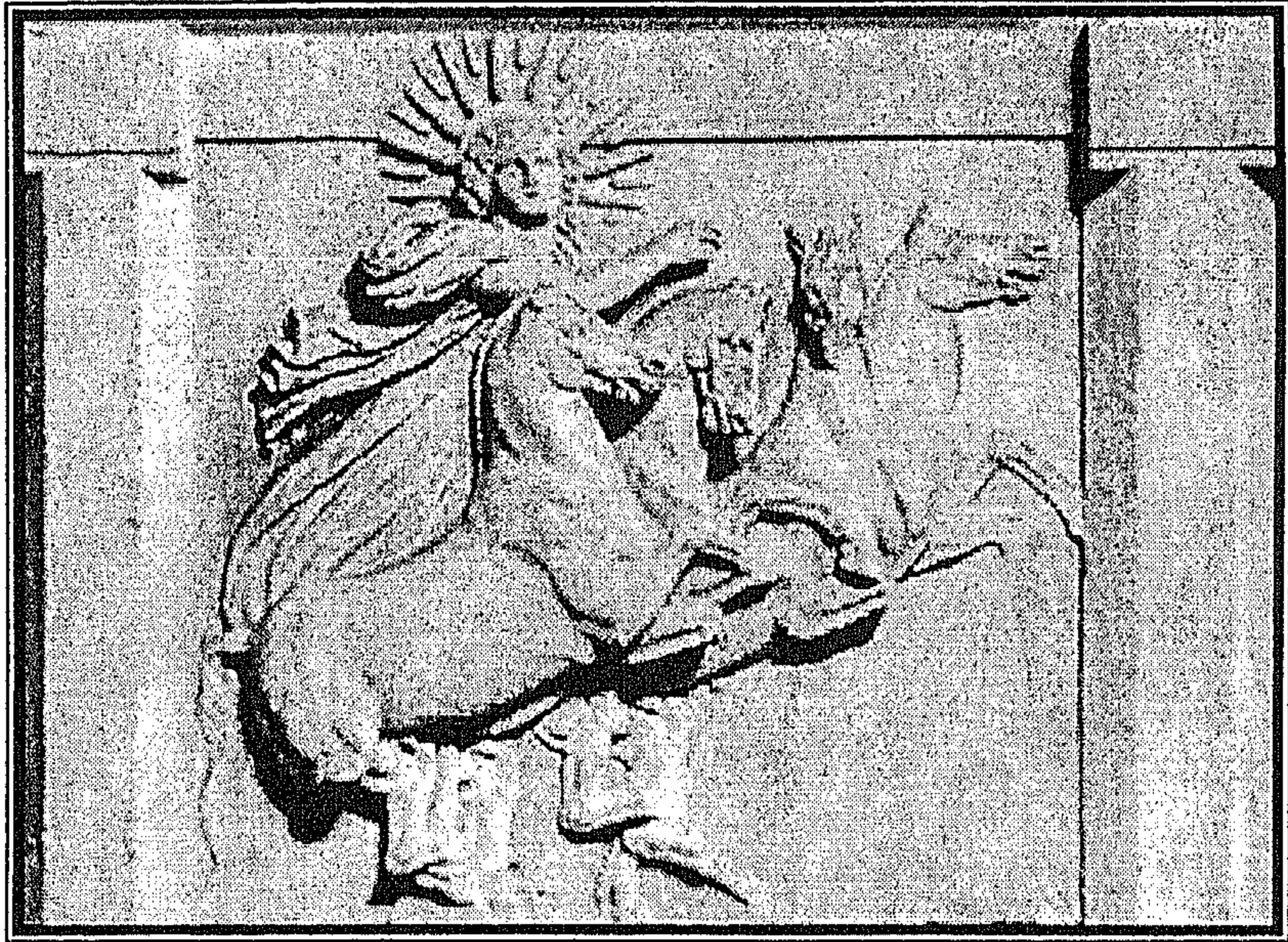
(شكل ١٨)

جرة ماء ترجع إلى ما بين ٤٥٠-٥٠٠ ق.م.

قطع برسيوس مدعوما من قبل أثينا رأس ميدوسا

British Museum, London, United Kingdom apud

<http://www.theoi.com/Gallery/P23.7.html>

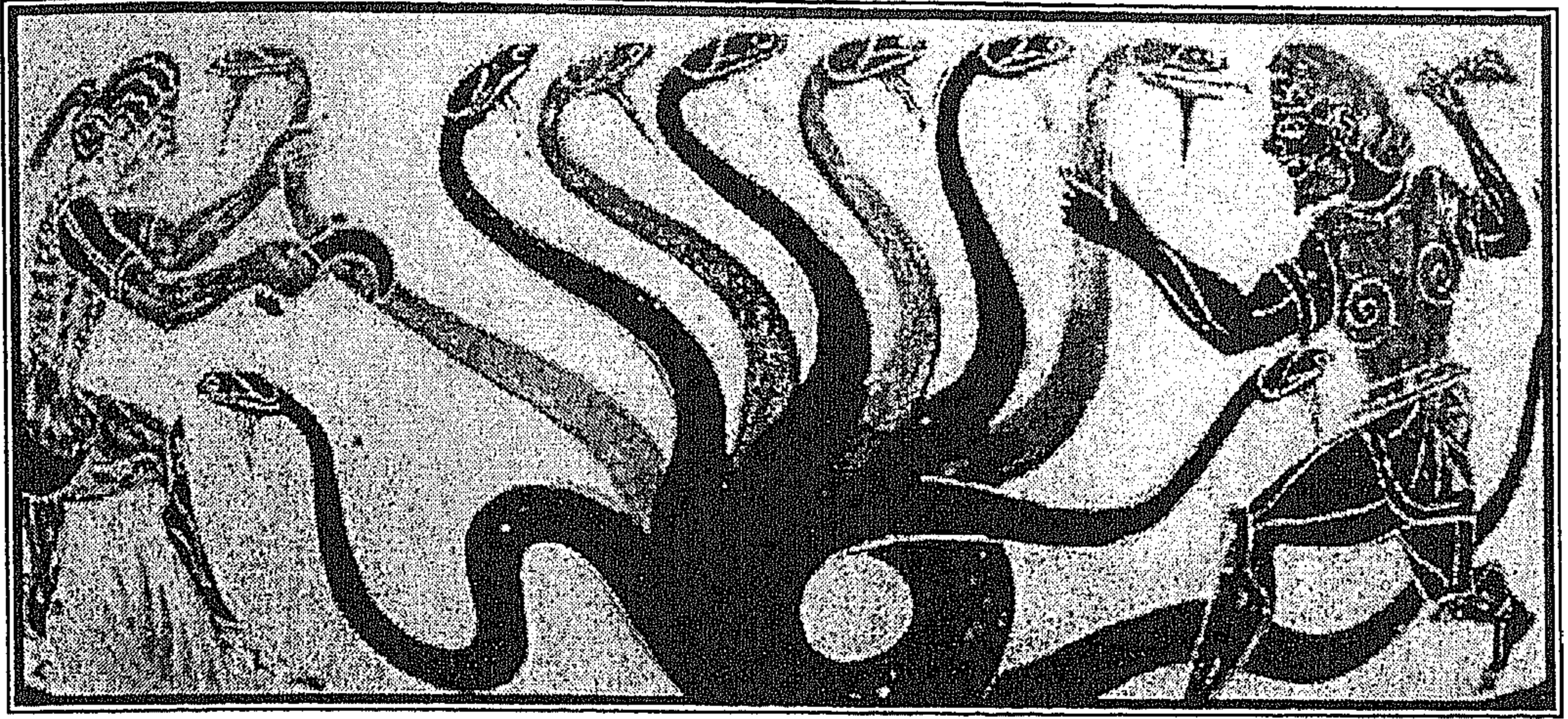


(شكل ١٩)

رأس هيليوس المشع المشابه لرأس ميدوسا

The State Museums of Berlin

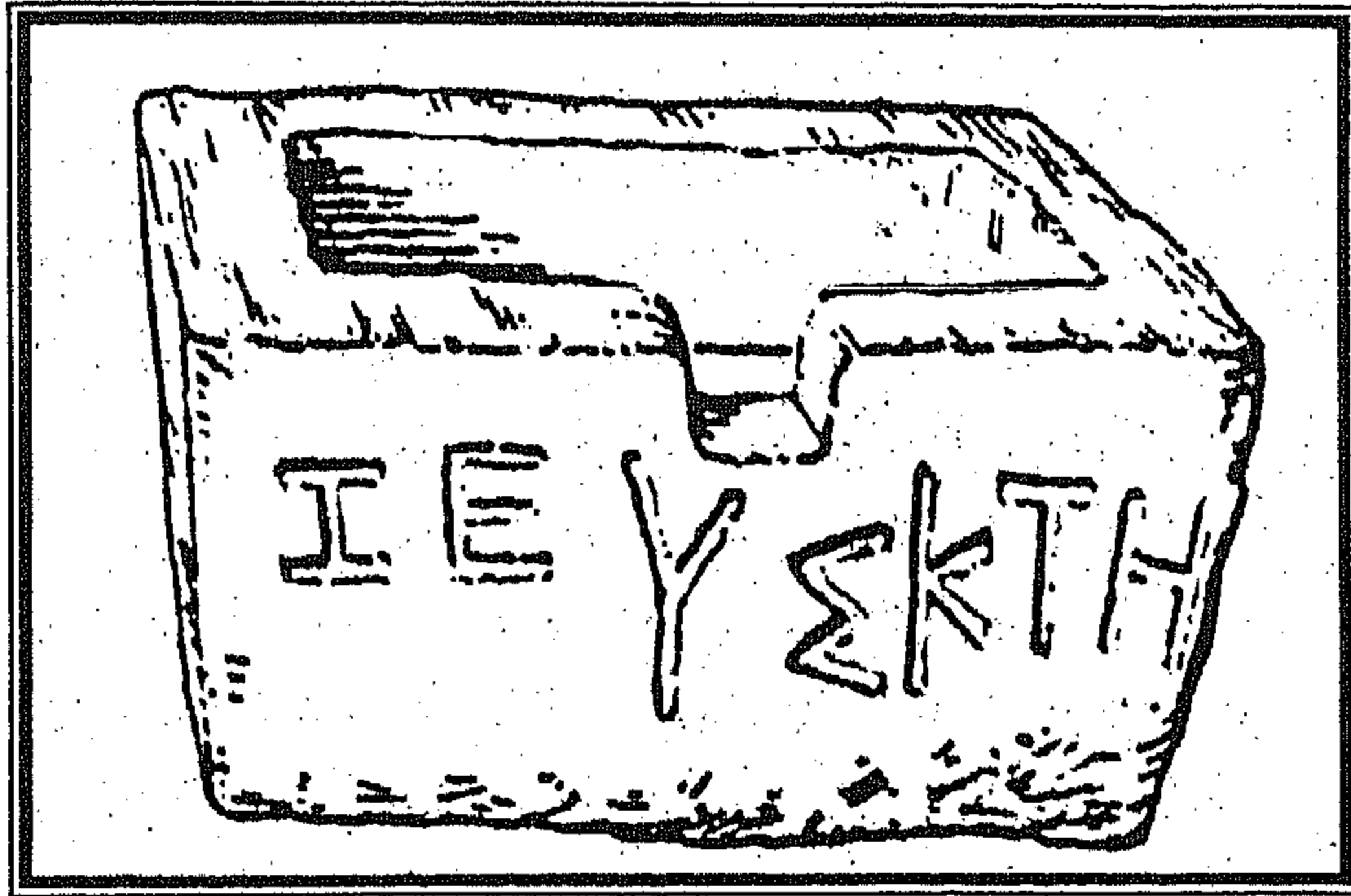
<http://www.britannica.com/eb/art-5876/Helios-in-his-chariot-relief-sculpture-excavated-at-Troy-1872>



(شكل ٢٠)

يظهر هيراكليس إلى جهة اليسار وهو يقطع رؤوس هيدرا بينما يقوم إيولاوس بالكي.
جرة ماء ترجع إلى حوالى عام ٥٢٥ ق.م.

The J Paul Getty Museum, Malibu, California apud
<http://www.theoi.com/Gallery/M13.1.html>



(شكل ٢١)

رسم تصويرى لمذبح زيوس حامى الممتلكات.

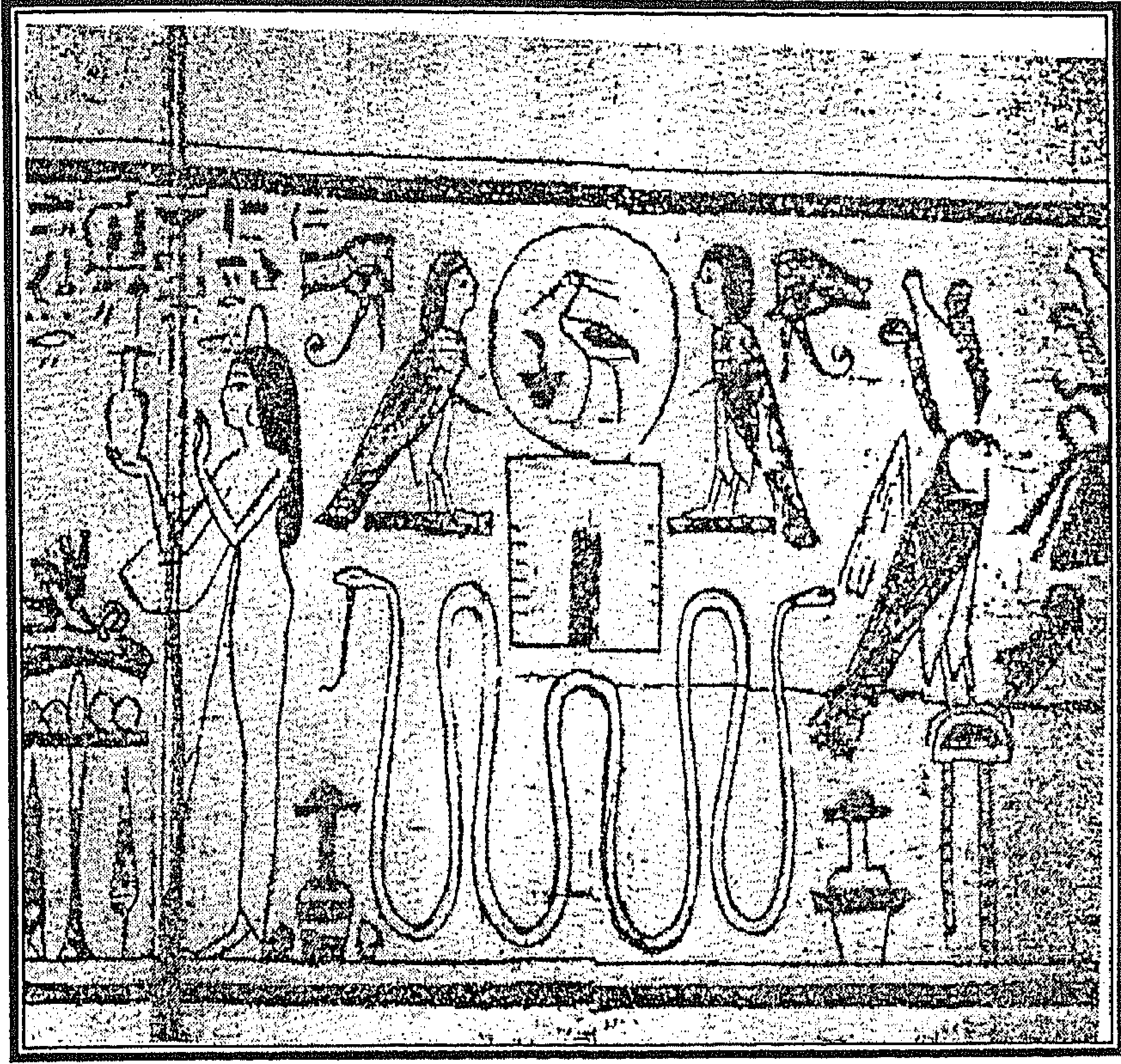
Cook, op.cit., vol.III., p.1066



(شكل ٢٢)

رسم تصويرى لنموذج زيوس حامى الممتلكات الموجود فى مخزن الغلال.

Cook, op.cit., vol.III.,p.1061

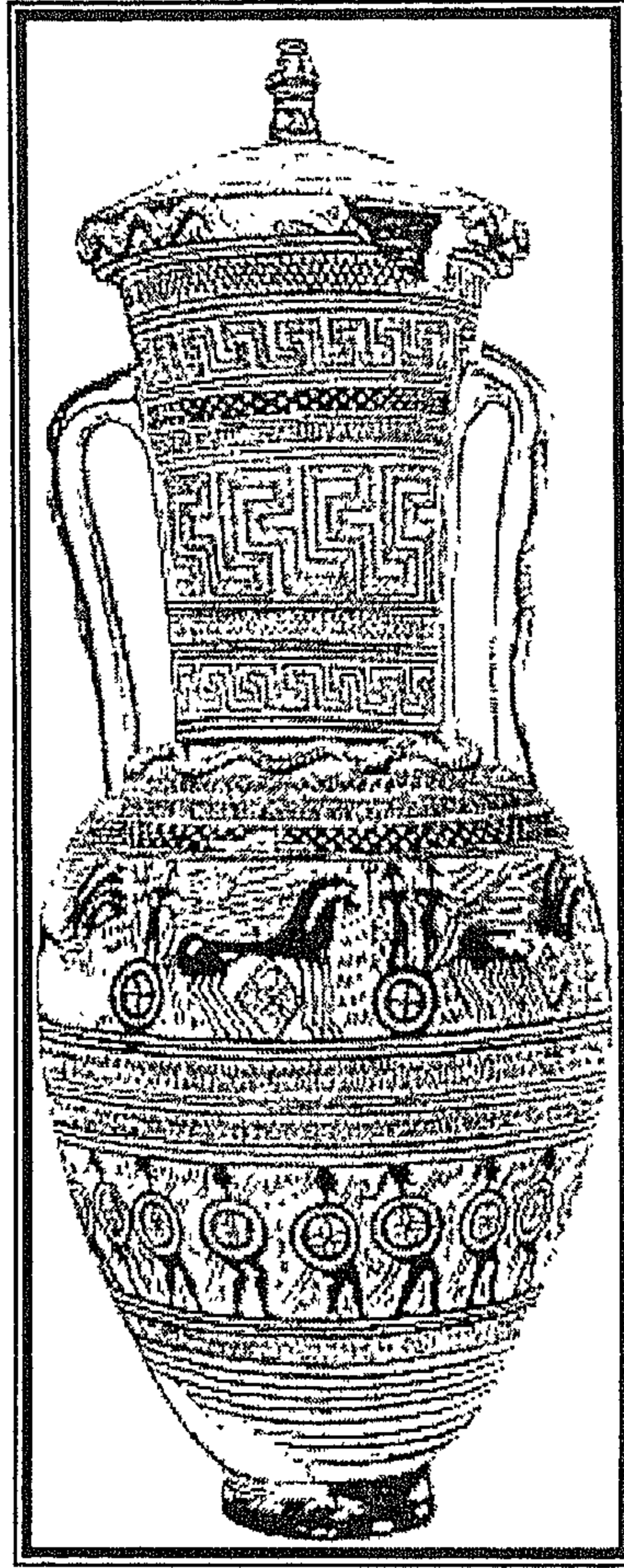


(شكل ٢٣)

عمل فنى مرسوم على ورق البردى محفوظة فى المتحف المصرى بالقاهرة.

يظهر فى هذه الصورة الثعبان المصرى ملتجيا .

Mitropoulou, op.cit.,p.90



(شكل ٢٤)

جرة زيوس حامى الممتلكات

Cook.op.cit.,vol.3,p.1055



(شكل ٢٥)

نحت بارز يصور زيوس الرؤوف وتم نقش اسمه أعلى النحت

Cook, op.cit., vol.III., p.1108



(شكل ٢٦)

نحت بارز زيوس الرؤوف في هيئته الثعبانية وأمامه امرأة ورجلين يؤدون
الطقوس.

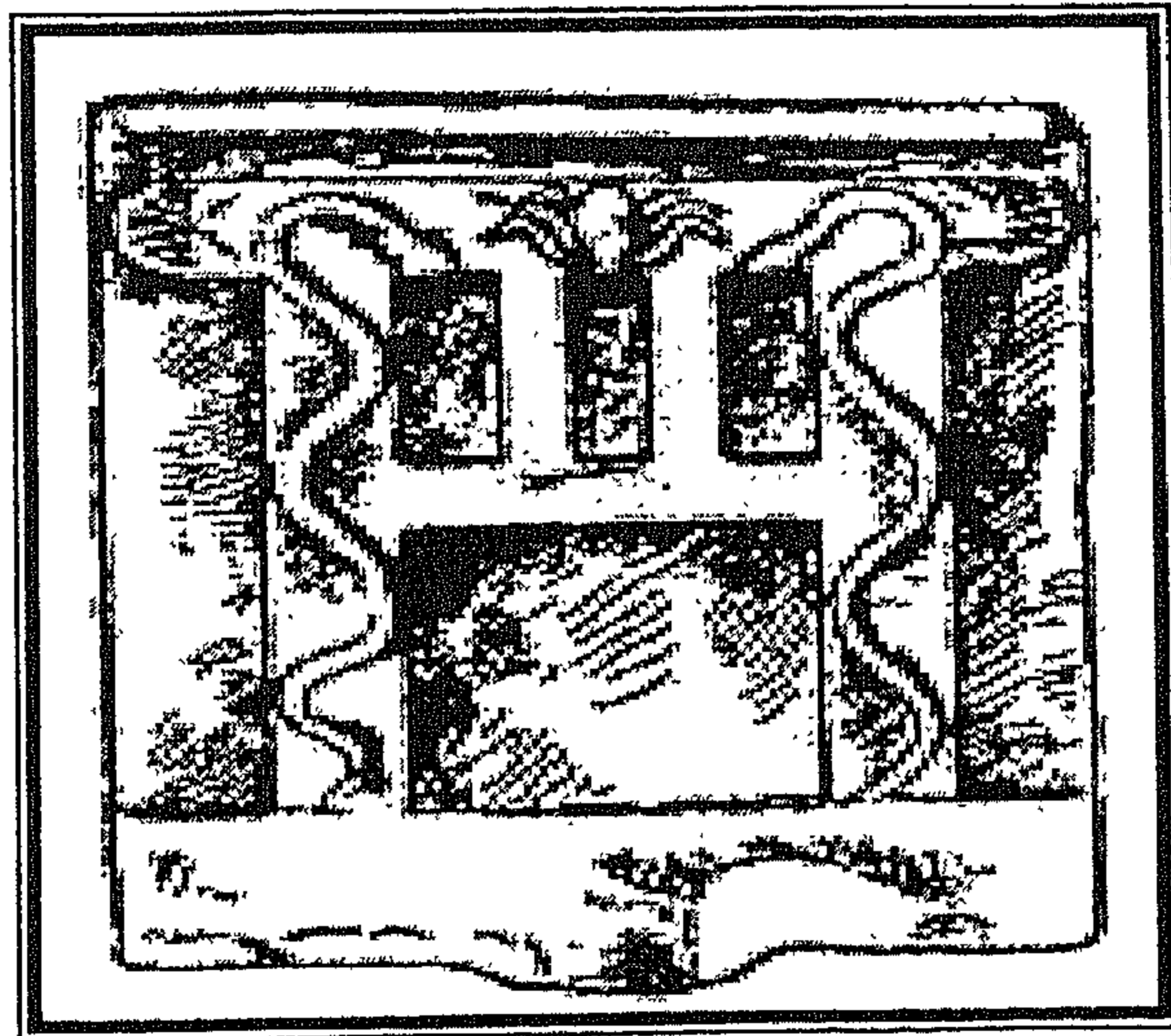
Cook, op.cit., vol.III., p.1110



(شكل ٢٧)

نحت بارز يصور زيوس الرؤوف في هيئة آدمية وأمامه زوج زوجته وطفلهما

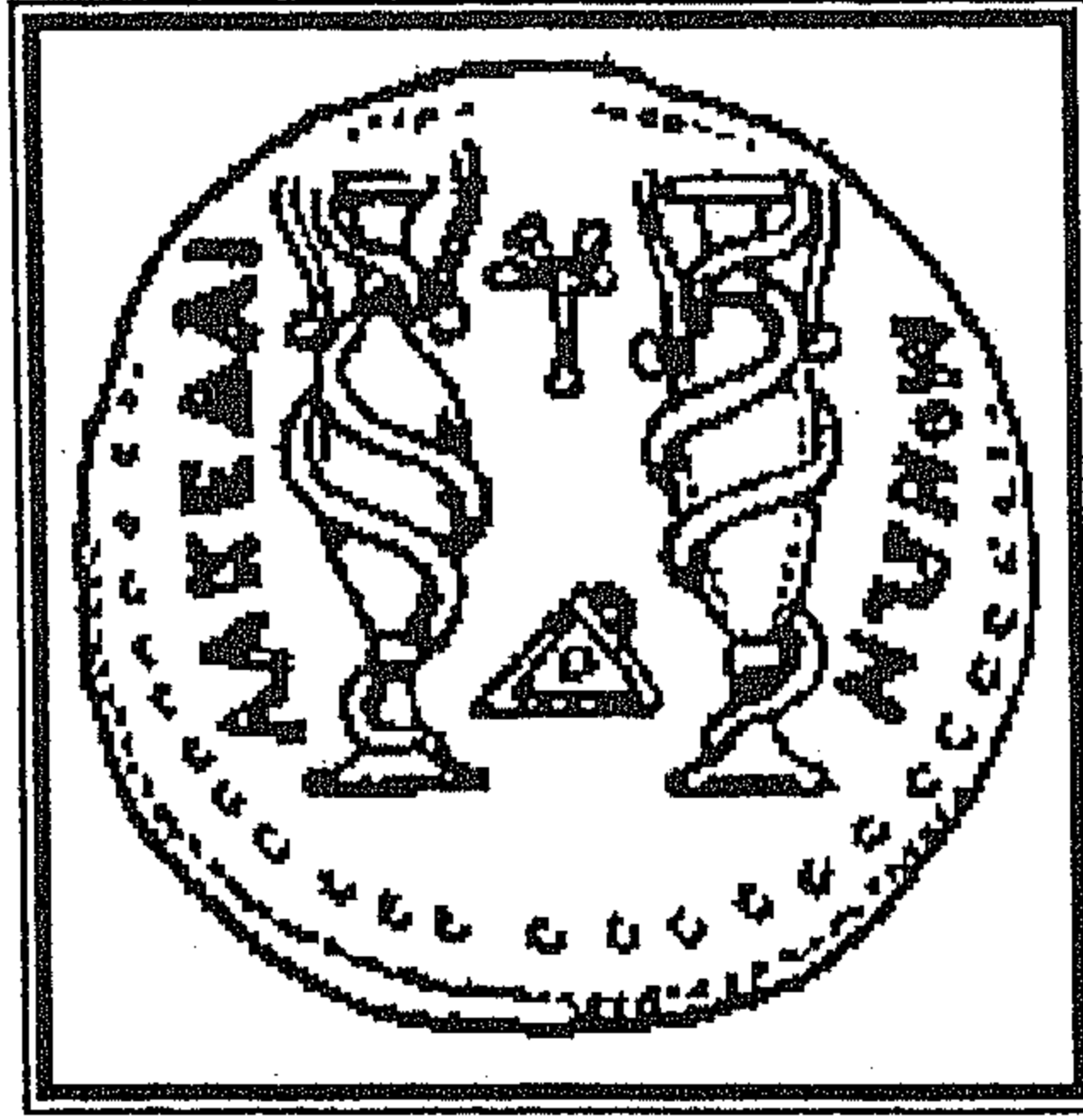
Cook, op.cit., vol.III,p.1106



(شكل ٢٨)

الديسكوروى في هيئة ثعبانين يرتقيان الدوكانا

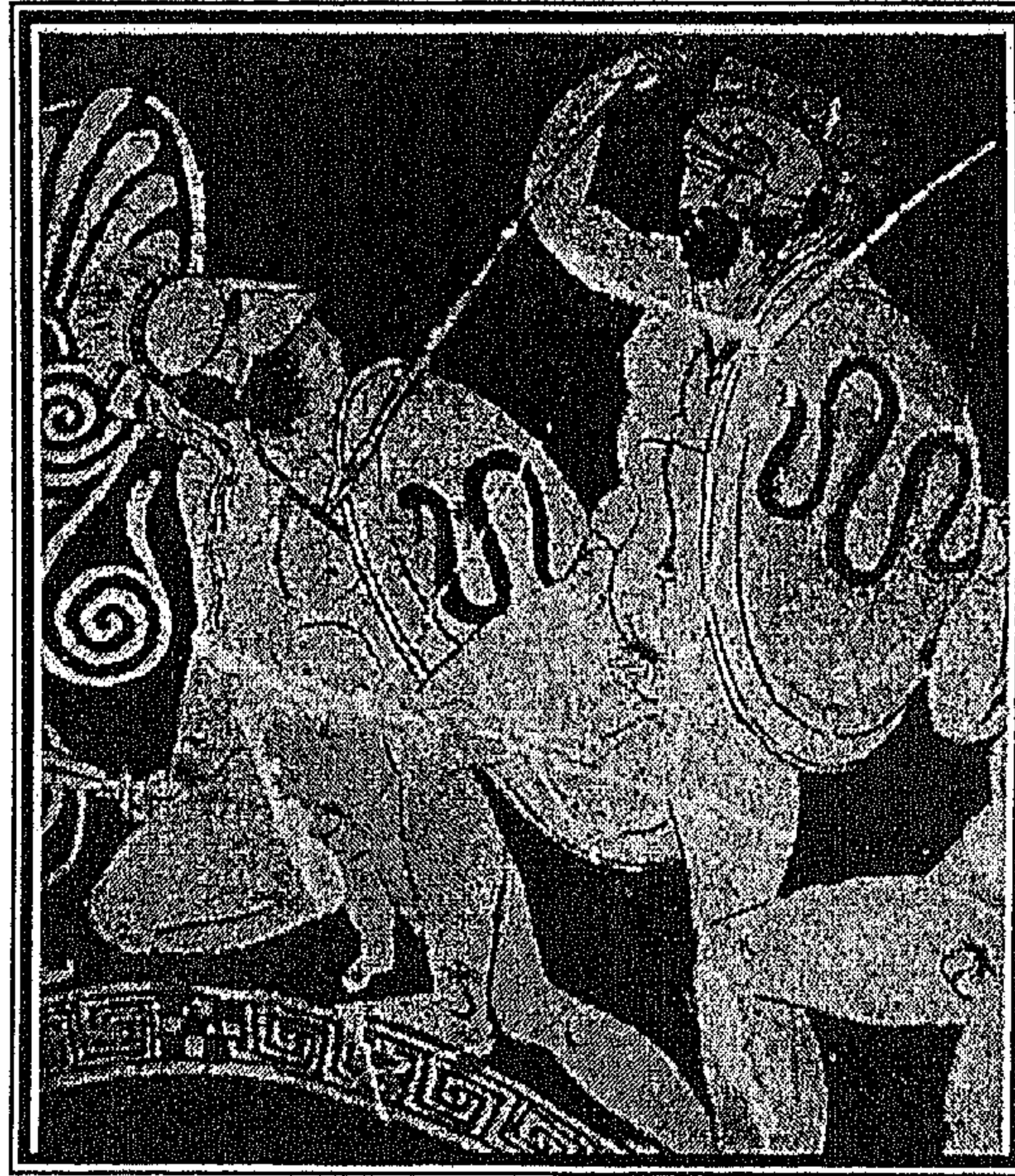
Waite, op.cit., p.2



(شكل ٢٩)

يظهر الديسكوروى فى هيئة ثعبانين يلتفان حول جرتيهما
على عملة اسبرطية

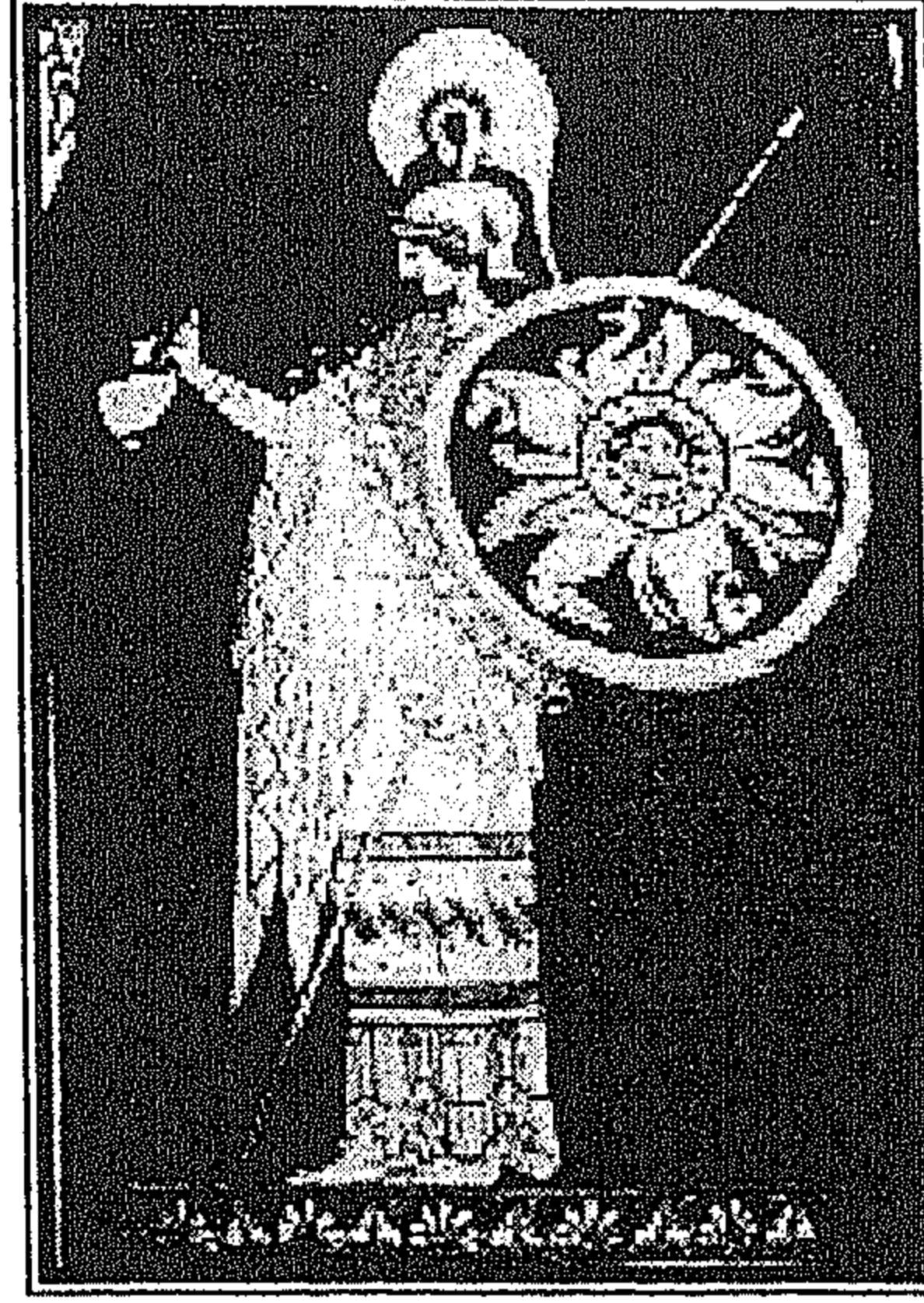
Nilsson, G.P.R., p.154, fig.29



(شكل ٣٠)

صورة على مزهرية محفوظة فى متحف Antiken-museen فى برلين برقم
F2531 يظهر فيها آريس إله الحرب وهو يقاتل ممون وقد أمسك كل منهما بدرع
مزين بثعبان.

<http://www.theoi.com/Gallery/K9.5.html>

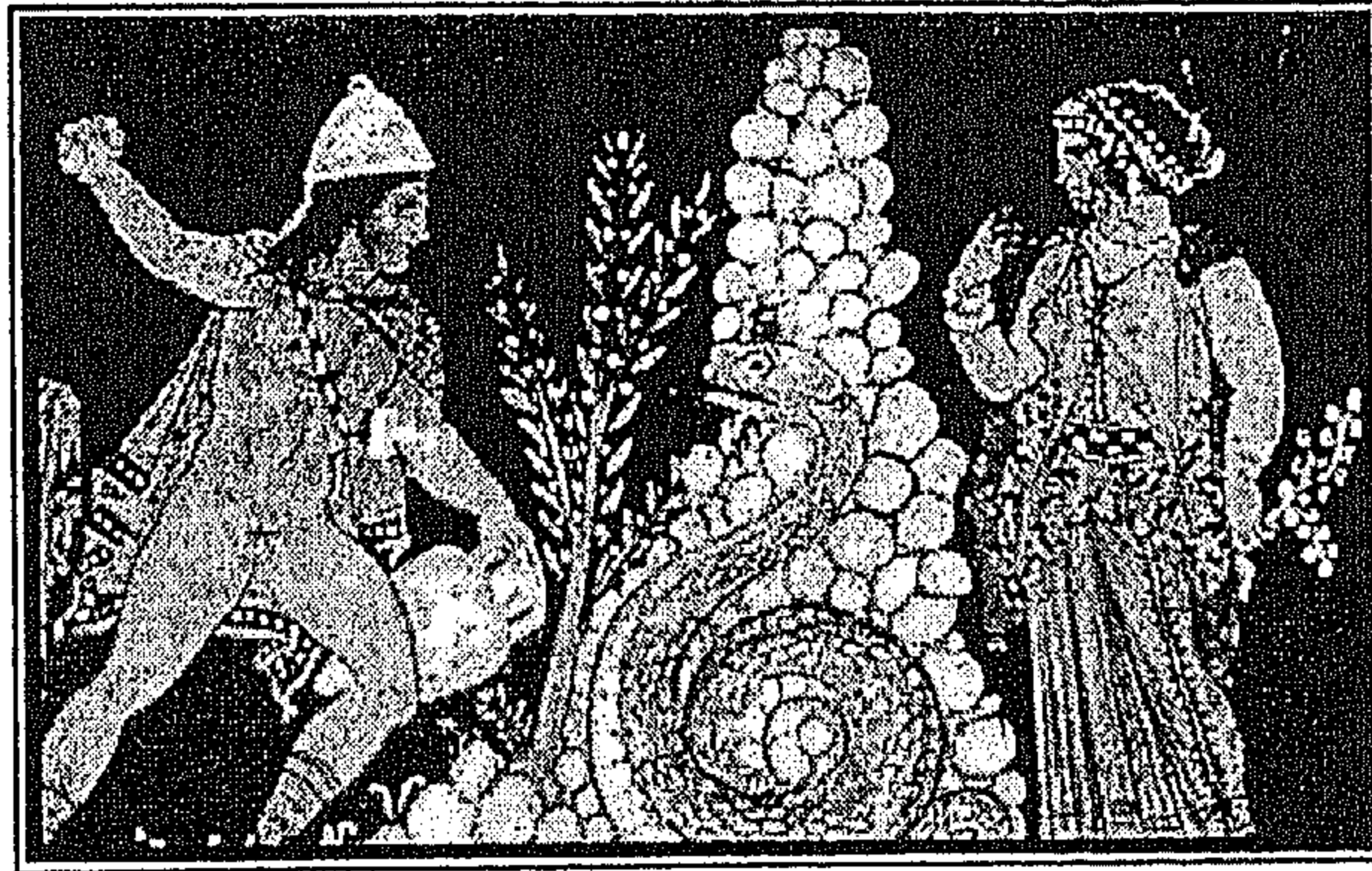


(شكل ٣١)

ميدوسا على درع أثينا

مزهريّة ترجع إلى ما بين ٤٩٠-٤٨٠ ق.م.

<http://www.arthistory.sbc.edu/imageswomen/papers/stebbinsathena/athena2.html>



(شكل ٣٢)

يظهر كادموس ممسكا بجرة ماء في يده اليسرى وحجر في يده اليمنى وهو في سبيله
لقذف ثعبان أريس الحامى للنبع، بينما تظهر أثينا في يمين المشهد معضدة لكادموس.

أنية محفوظة في متحف اللوفر تحت رقم (K33) N3157

<http://www.theoi.com/Ther/DrakonIsmenios.html>



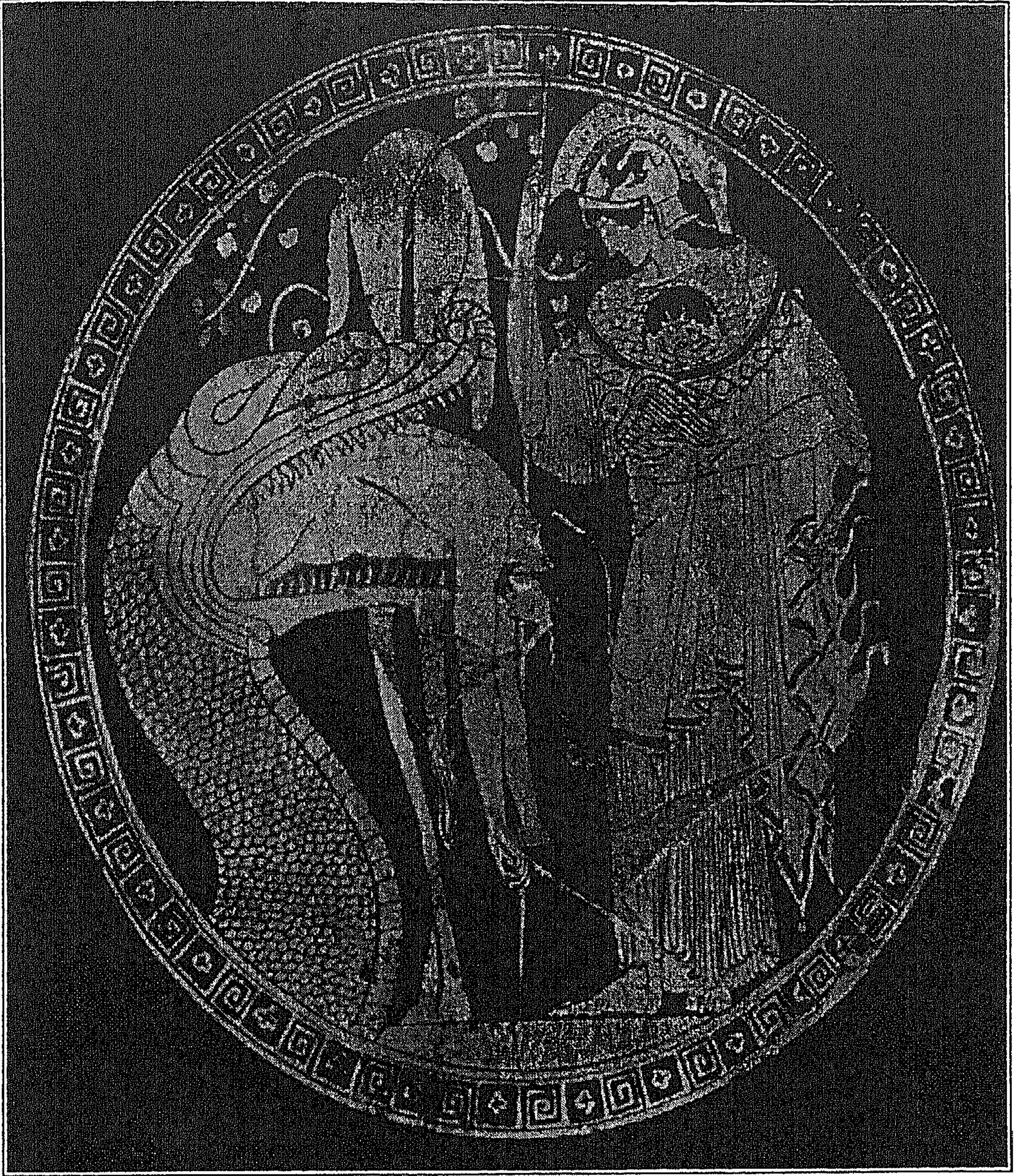
(شكل ٣٣)

هيراكليس يقضى على لادون

نحت بارز على طبق يرجع إلى العصر الروماني المتأخر محفوظ في

Staatliche Antikensammlungen ,SL89

<http://www.mlahanas.de/Greeks/Mythology/HeraklesLadonSASL89.html>



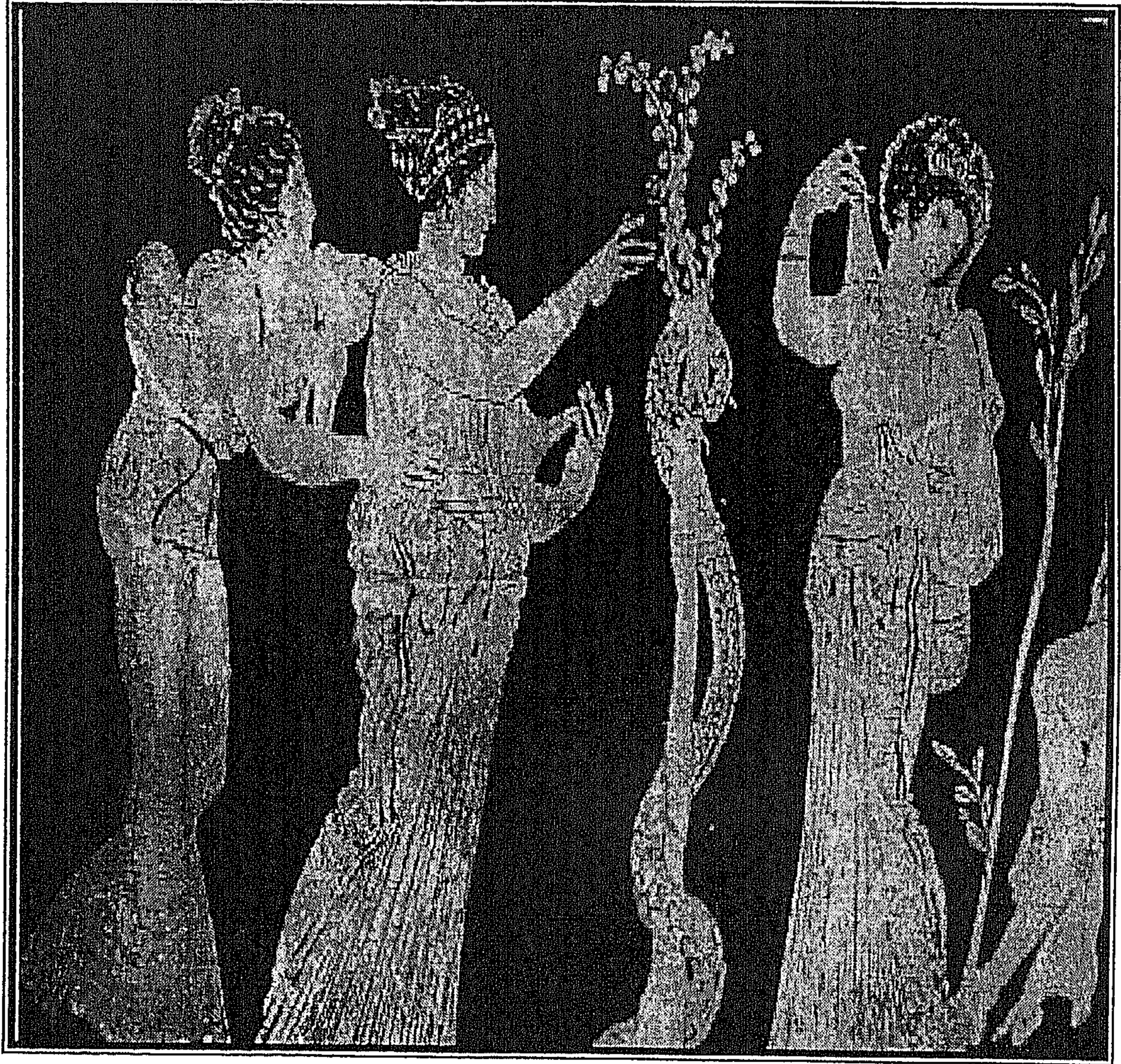
(شكل ٣٤)

مشهد من صراع ياسون مع التنين حامى الجزة الذهبية، حيث يظهر التنين وهو يلفظ ياسون، بينما تقف أثينا إلى جهة اليمين فى كامل حلتها وأعلى المشهد تتدلى الجزة.

إناء لصب النبيذ Kúλiς يرجع إلى ما بين ٥٠٠-٤٥٠ ق.م. محفوظ فى

Museo Gregoriano Etrusco Vaticano برقم 16545.

<http://www.theoi.com/Gallery/M20.1.html>

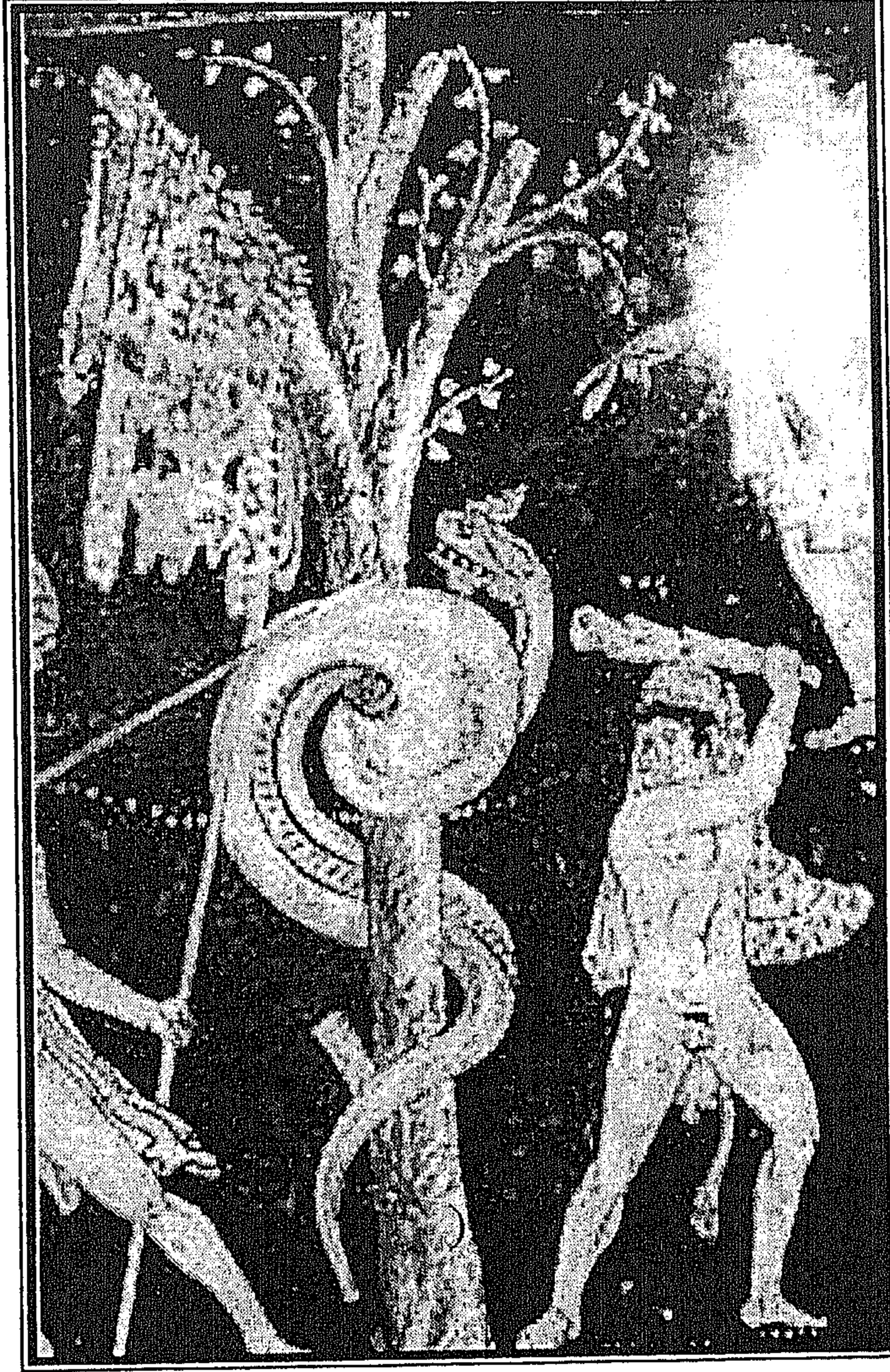


(شكل ٣٥)

الهسبيريديات وقد بدت عليهن السعادة فيما يشبه حوريات الجنة

جرة ماء محفوظة في British Museum تحت رقم E224

<http://www.theoi.com/Gallery/N14.1.html>



شكل ٣٦

ياسون مصور وهو يقضى على التنين، وكما يبدو مرتدياً جلد الأسد ويمسك هراوة
هيراكليس بينما تعلى الجزة الذهبية قمة الشجرة.
جرة ذات أشكال حمراء من العصر الكلاسيكي المتأخر.

Apud <http://www.theoi.com/Gallery/M20.4.html>



(شكل ٣٧)

هيجيا تقوم بسقاية وإطعام الشعبان

نسخ رومانية عن أصول إغريقية

<http://www.theoi.com/Gallery/S24.2.html>

<http://www.hygeiacounseling.com/css/hygeia.html>



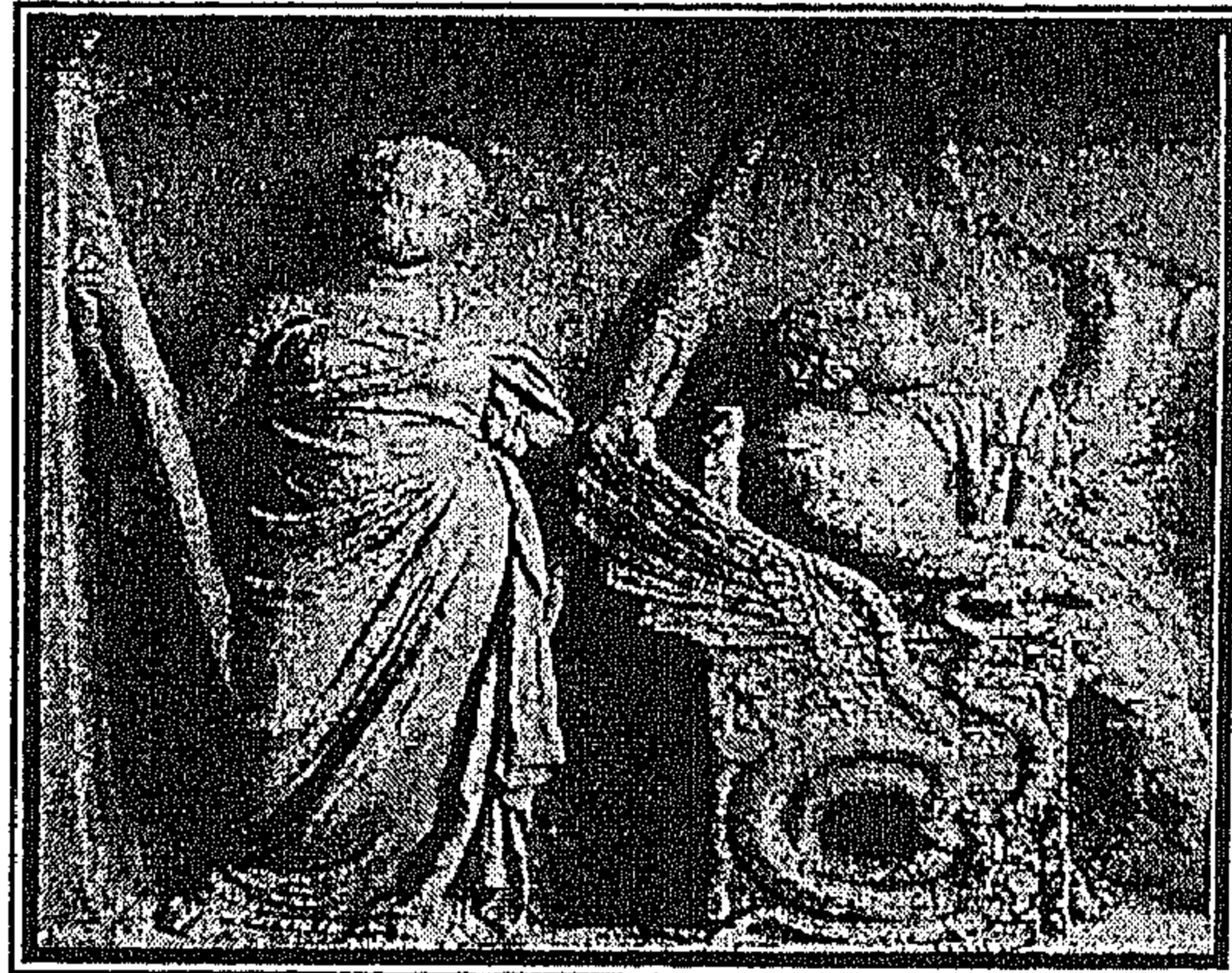
(شكل ٣٨)

نحت بارز يصور ديميتير وهي ممسكة بالحنطة ونبات الخشخاش، ويطوق معصمها
ثعبانان.

Mitropoulou, op.cit.,p.38



ديميتر تتركب عربتها المجنحة تجرها الثعابين
 مصورة على إناء لصب النبيذ بعروتين σκύφος
 محفوظ في British Museum برقم E140
<http://www.theoi.com/Gallery/O28.1.html>



تريبتيليموس يركب عربة ديميتر المجنحة التي تجرها الثعابين
 في طريقه لنشر تعاليم الزراعة
 نحت بارز يعود لحوالي القرن الرابع ق.م.
<http://www.crystalinks.com/eleusinian.html>



إحدى النساء المخبولات تابعات ديونيسوس وهي تمسك بالشعابين



وأخرى تلف الشعبان حول رأسها

(شكل ٤٠)

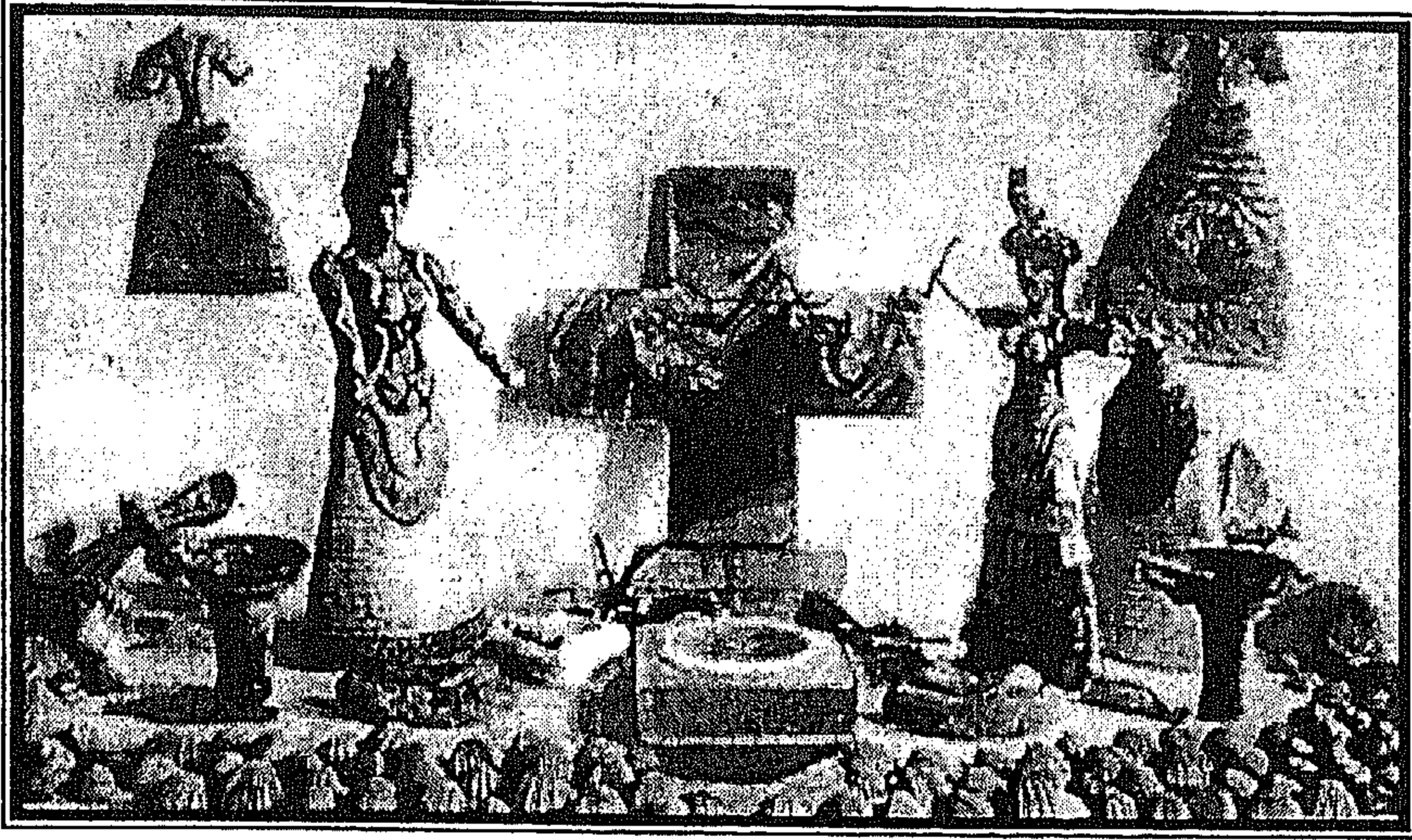
Harrison, Proleg., p.398-9



(شكل ٤١)

صورة الأجاثوس دايمون نقش حولها عبارة الروح الطيبة الجديدة في إشارة لنبيرون
عملة (بيللون) من عهد نبيرون ترجع إلى حوالي عام ٥٩ م

Harrison, *Themis*, p.277



(الشكل ٤٢)

ترتيب شكل المحراب كما تخيله ايفانز

<http://witcombe.sbc.edu/snakegoddess/repositories.html>



(شكل ٤٣)

الإلهة المينوية ملتفة بالشعابين

<http://witcombe.sbc.edu/snakegoddess/evansgoddess.html>



(شكل ٤٤)

كاهنة الإلهة المينوية ممسكة بثعبانين

<http://witcombe.sbc.edu/snakegoddess/votary.html>



(شكل ٤٥)

تمثال أثينا العذراء لفدياس ويظهر الثعبان خلف الدرع

يرجع إلى حوالي عام ٤٨٨ ق.م.

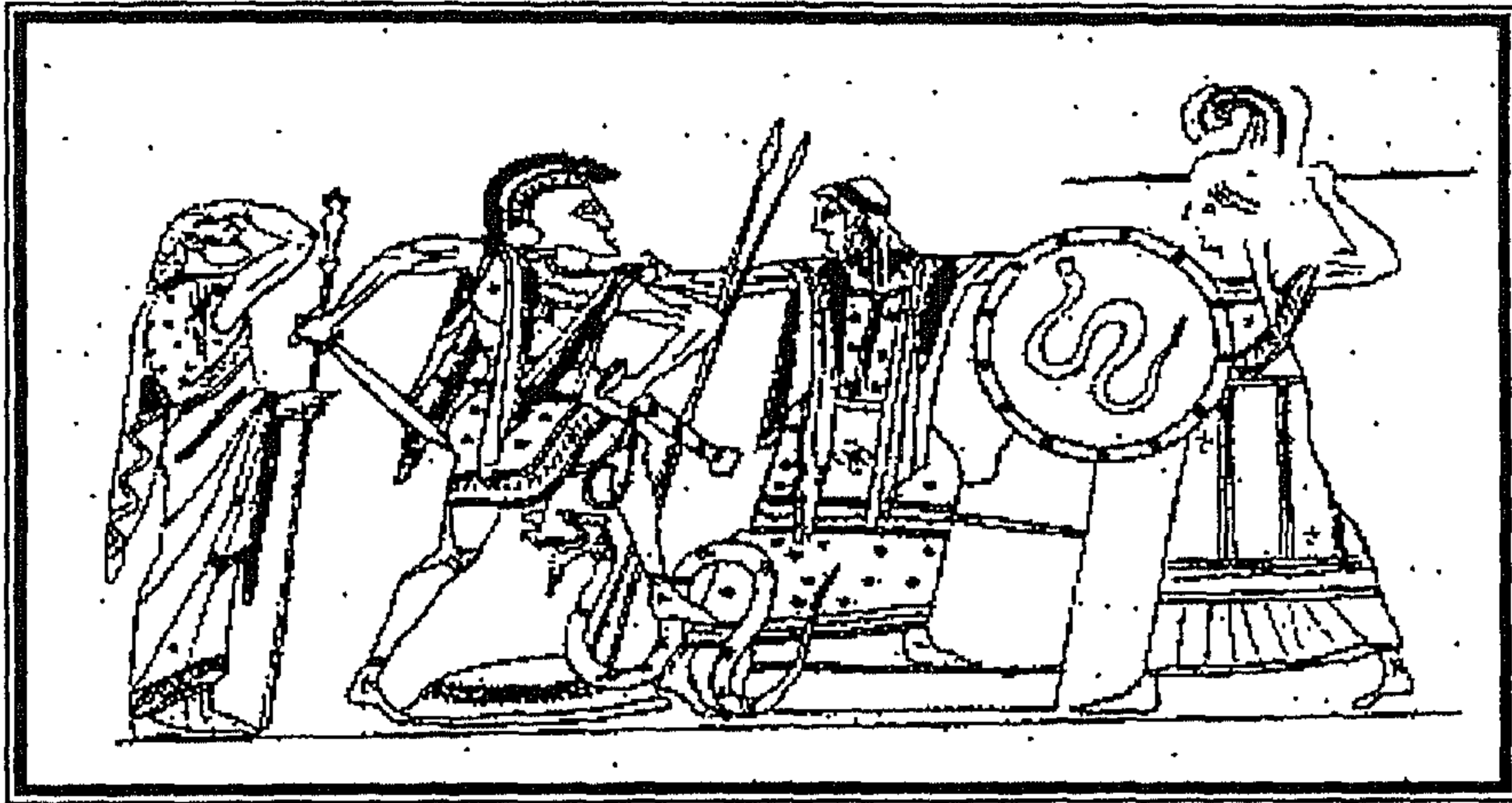
<http://www.arthistory.sbc.edu/imageswomen/papers/stebbinsathena/athena2.html>



(شكل ٤٦)

مشهد يجمع بين أثينا إلى جهة اليمين وبجوارها الثعبان الذى يظهر فى نفس حجم الإلهة مما يدل على أنه مساو لها، بينما يجلس باريس و يقف بجواره إيروس وتقف هيلين إلى اليسار

Harrison, Prolegomena., p.306



(شكل ٤٧)

كساندرا فى الوسط تفر من أياكس ملتجئة إلى أثينا التى تقف يمين المشهد، ويظهر على درعها ثعبان، بينما أرسلت ثعبانا تجاه أياكس، فى حين يقف الملك برياموس إلى اليسار .

Harrison, Prolegomena., p.305



(شكل ٤٨)

بنات كيكروبس يفرون من الشعبان الذي انطلق من صندوق أثينا

Harrison, *Themis*, P.265

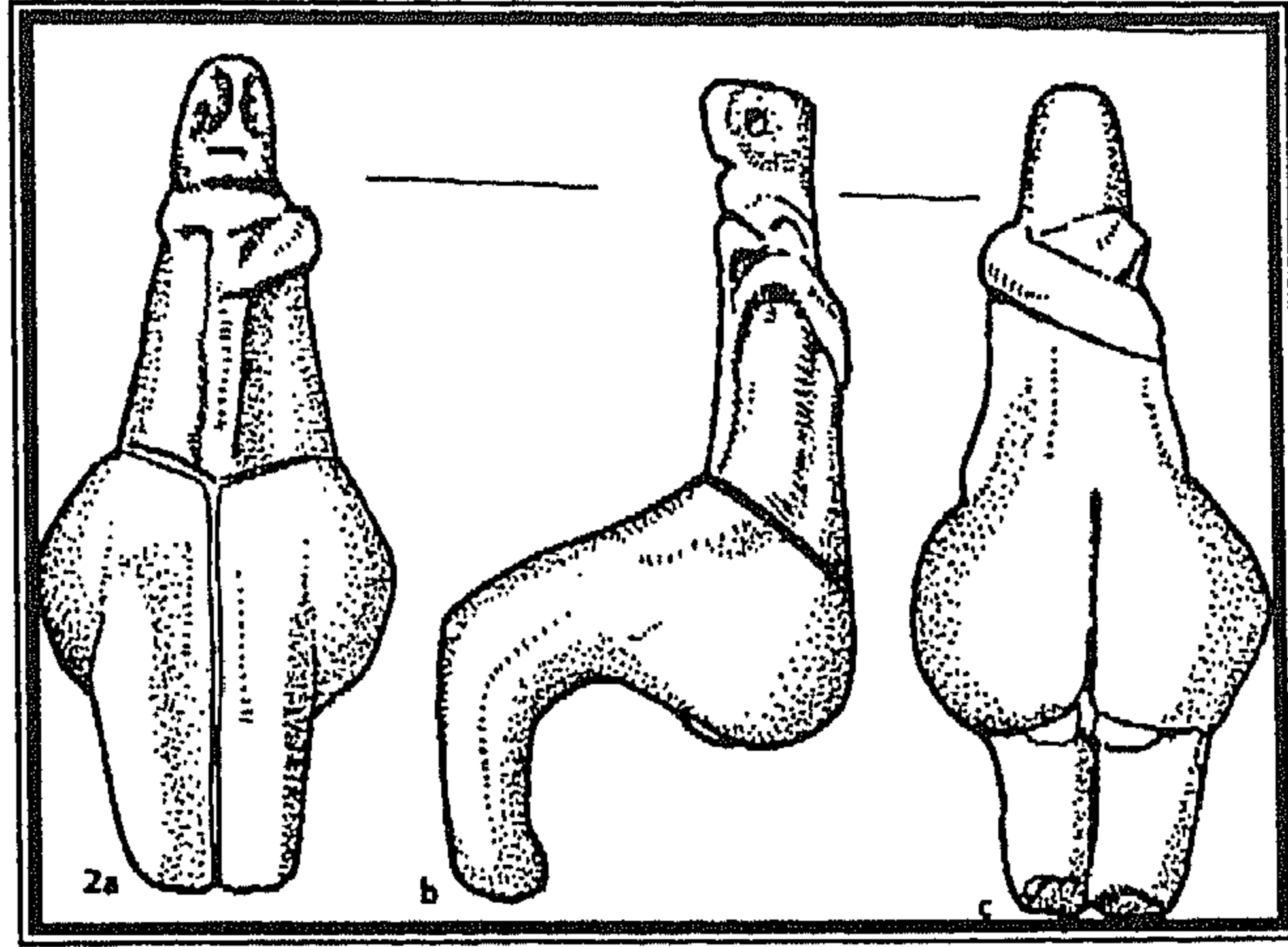


(شكل ٤٩)

نماذج لتصوير الشعبين على الأواني الفخارية

Gimbutas, *L.G.*, p.125

<http://www.mlahanas.de/Greeks/LX/MinoanPottery.jpg>



(شكل ٥٠)

نموذج للأشكال الطوطمية حيث تظهر الإلهة القديمة في صورة ثعبان

Gimbutas, L. G., p. 126



(شكل ٥١)

نموذج للأشكال المسخية الهجينة حيث تظهر الإلهة القديمة بأذرع ثعبانية

Gimbutas, L. G., p. 129



(شكل ٥٢)

الإلهة المينوية في الصورة الناسوتية ممسكة بالشعابين

http://altreligion.about.com/library/graphics/bl_serpentwomen.ht

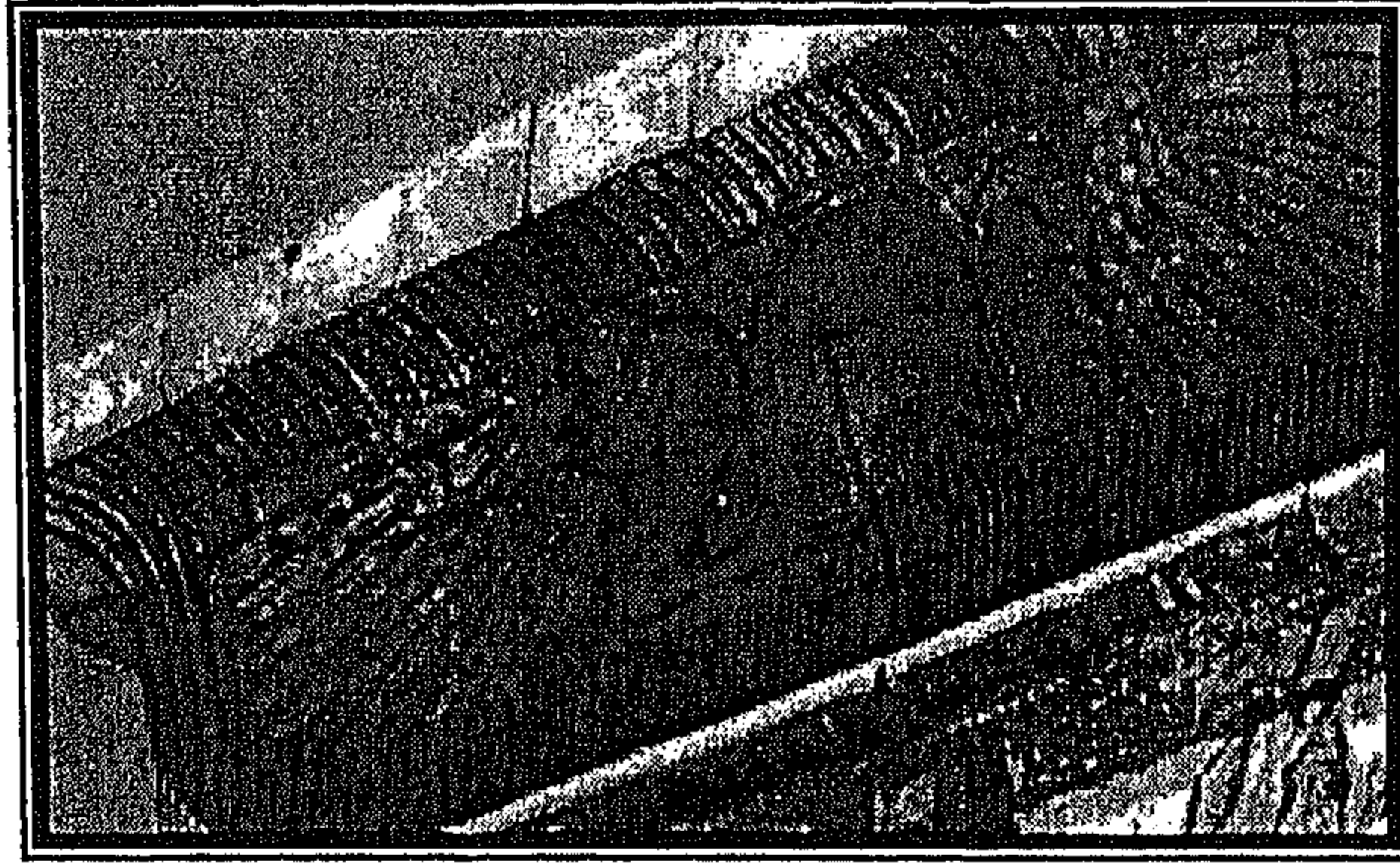


(شكل ٥٣)

قناع الجرجونة عبارة عن وجه جميل مجنح يتدلى منه شعبانان معقودان
فيما يعبر عن امتداد للإلهتين المينويتين

محفوظة في متحف Römisch-Germanischer Museum, Köln

<http://www.maicar.com/GML/000Free/000Medusa/source/3.html>



(شكل ٥٤)

قرص الشمس المجنح تتدلى منه الشعاب

من معبد مونتو بالكرنك

<http://www.marysia.com/pagan/horus.html>



(شكل ٥٥)

هيرميس مرسل الأرواح إلى العالم الآخر، وقد ظهرت الأرواح في هيئة طيور

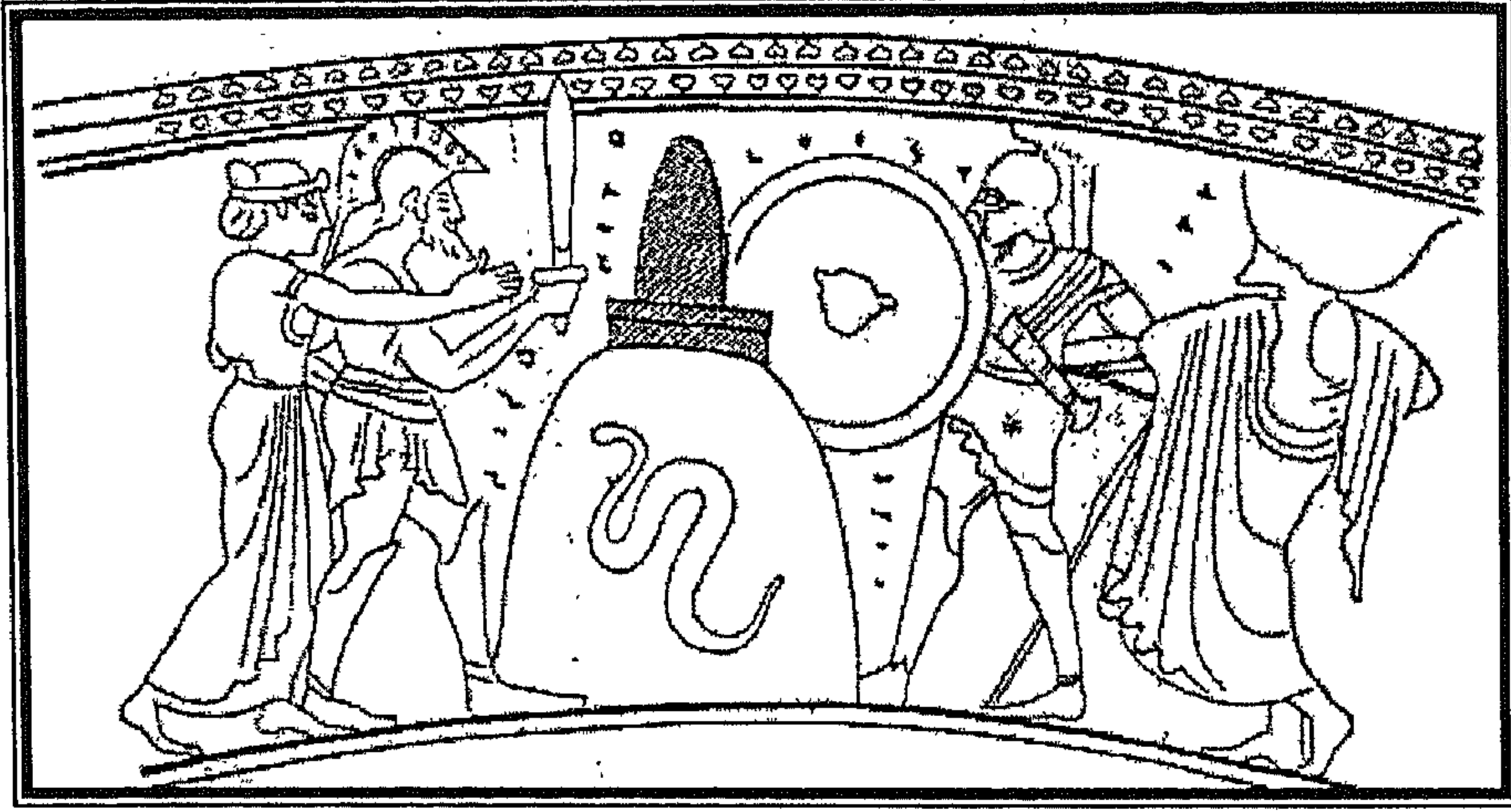
Harrison, Prolegomena.,p.43



(شكل ٥٦)

عباد يقدمون القرابين لأحد الموتى، ويبدو الثعبان، الذي يظهر خلف مقعد الميت في نفس حجمه.

Harrison, Prolegomena.,p.326



(شكل ٥٧)

البطل الميت داخل قبره في صورة ثعبان

Harrison, Prolegomena, p.328



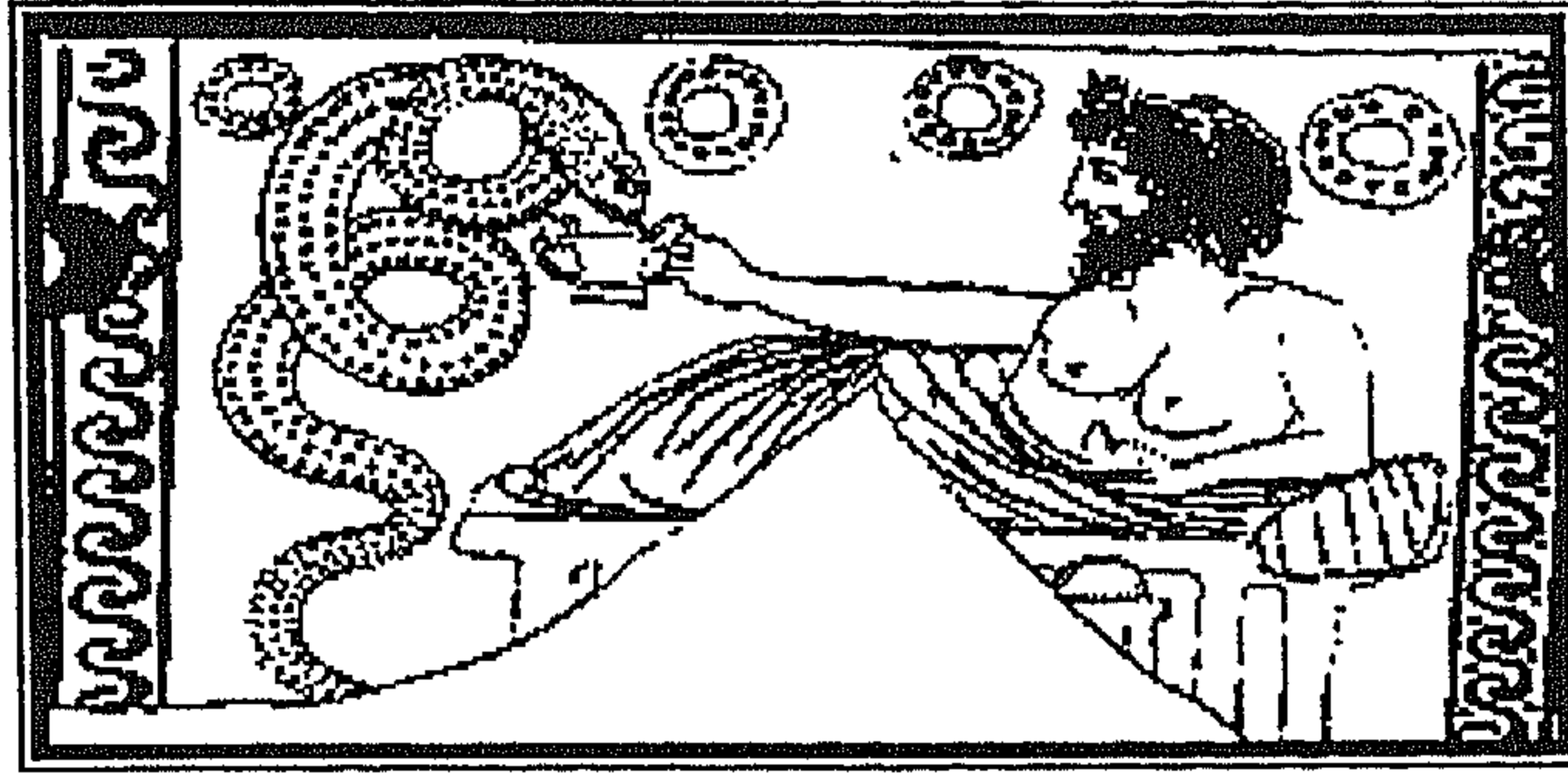
(شكل ٥٨)

مشهد يضم اثنتين من الإيرينيات والثعابين تتدلى من رؤوسهن وأيديهن وتنشر إحداهما جناحيها . المشهد مصور على إناء لخلط النبيذ بالماء يرجع إلى حوالي عام ٣٤٠ ق.م.

محفوظ في Badishes Landesmuseum, Karlsruhe, Germany

بتسلسل TBA

<http://www.theoi.com/Gallery/T40.1.html>



(شكل ٥٩)

البطل الميت يقوم بسقاية الثعبان

Harrison, Prolegomena.,p.347



(شكل ٦٠)

أهل الميت يندبون عند قبره، وقد ظهر الثعبان داخل القبر وحوله أرواح طائفة

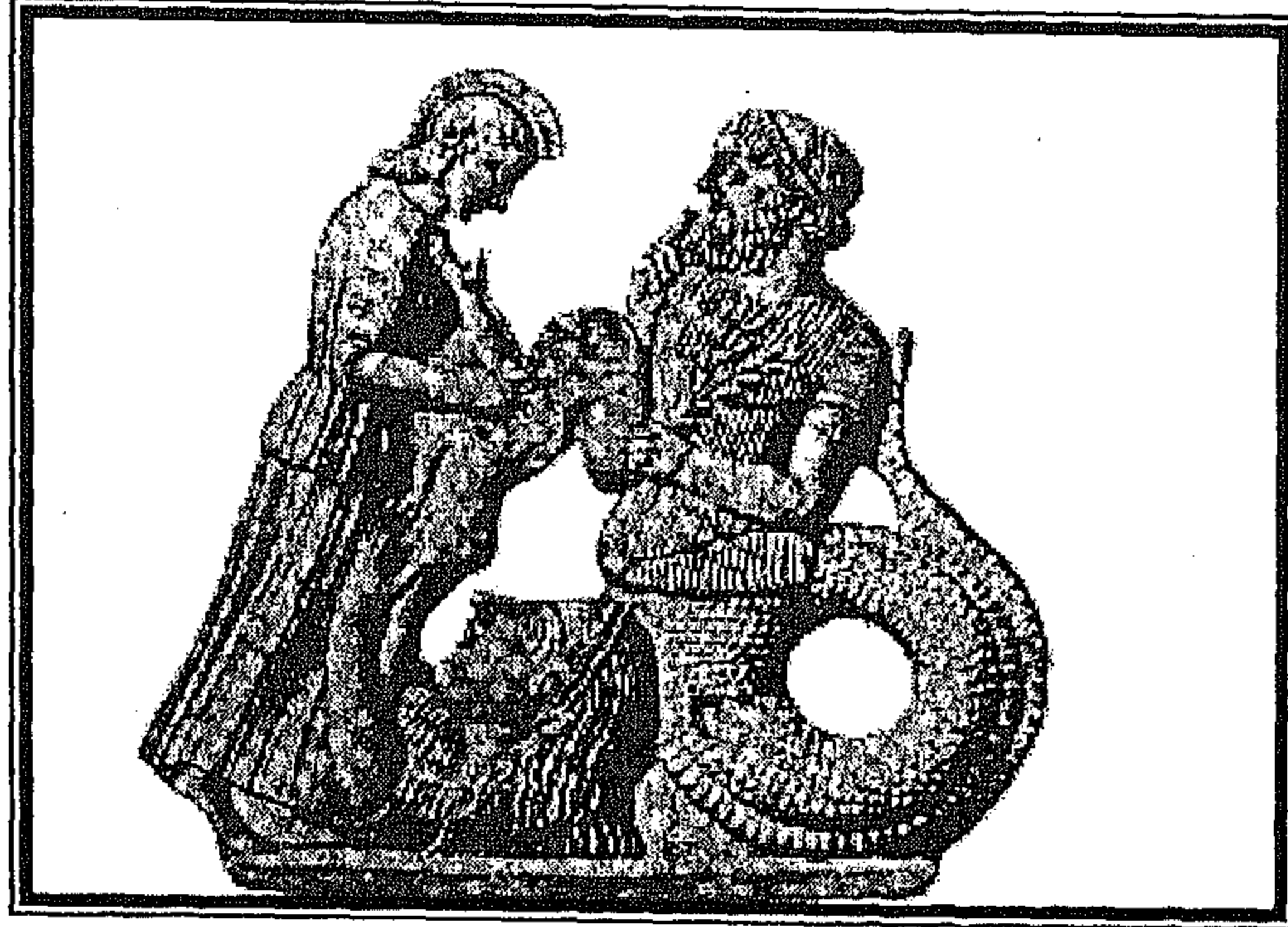
وأعلى القبر جرة السكب

Harrison, Prolegomena, p.235



(شكل ٦١)

كيكروبس يظهر في صورة نصف آدمي ونصف ثعباني
 مصور على إناء لصب النبيذ يرجع إلى حوالي ٤٤٠ ق.م.
 محفوظ في متحف Antikensammlung, Berlin برقم F2537
<http://www.theoi.com/Gallery/T42.1.html>



أثينا تستقبل إريخثونيوس من الأرض وأمامها كيكروبس نصف آدمي ونصف ثعباني

Harrison, Themis, p.263



أثينا التي تتبع من رداها الشعبين تستقبل إريخثونيوس من الإلهة الأرض في

حضرة هيفايستوس وكيكروبس نصف الثعبان

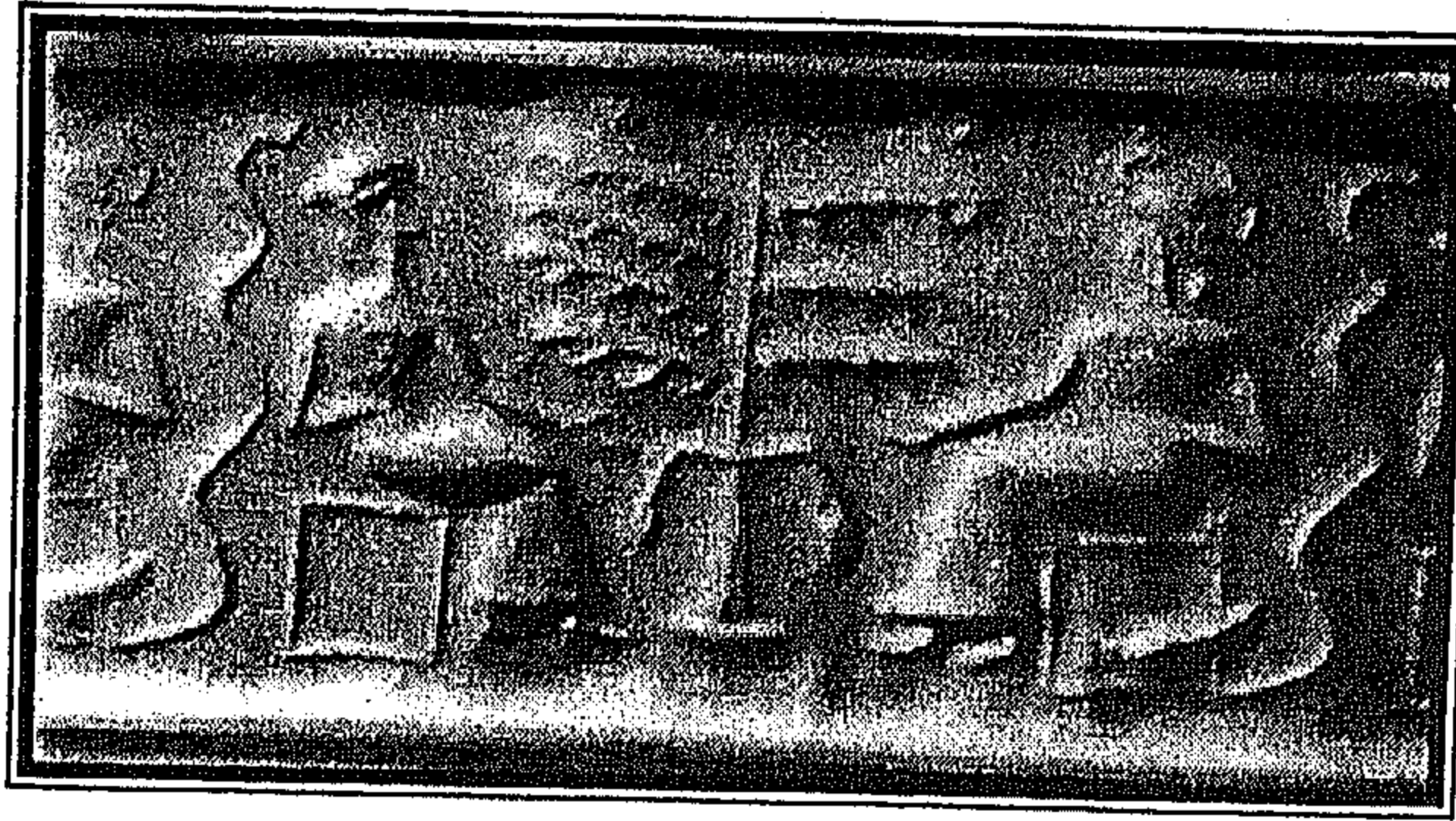
http://www.goddessathena.org/Museum/Paintings/Erichthonius/Birth_Erichthonius_CodrusPainter.htm



(شكل ٦٣)

الثعبان يلتف حول أوفليتييس في طريقه للقضاء عليه
هذا العمل من كورنثة يرجع إلى حوالي عام ١٧٠ ق.م.

<http://socrates.berkeley.edu/~clscs275/nemeamyth2myth.htm>



(شكل ٦٤)

شكل سومري يمثل رجل وامرأة بينهما نخلة والرجل يهيم بقطف ثمرتها وخلف كل
منهما ثعبان، فيما يحمل ذكرى لقصة سقوط الإنسان.

<http://www.greatcommission.com/london/2003017.jpg>

المصادر والمراجع

أولاً: المعاجم والقواميس ودوائر المعارف والموسوعات

- أبو الريحان محمد
بن أحمد (البيروني)،
أبى عبد الرحمن الخليل
بن أحمد (الفراهيدى)،
إمام عبد الفتاح،
تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل
أو مردولة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣
كتاب العين، تحقيق مهدى المخزومى وإبراهيم
السامرائى، دار الهلال، بيروت، بدون تاريخ
معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولى،
القاهرة، ١٩٩٦.
- جورج بوزنر وآخرون،
معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين
سلامة، مراجعة: سيد توفيق، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
- صلاح قنصوة
وآخرون،
قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، مكتبة دار
الكلمة، القاهرة، ٢٠٠٤.
- عماد الدين أبو الفداء
إسماعيل (ابن كثير)،
كامل محمد زينى
بدوى،
البداية والنهاية، المجلد الأول، ص ٧٤، دار الفكر
العربى، القاهرة، ١٩٨٦
موسوعة عالم الثعابين.
http://www.kbsnakes.com/main_files/defense.htm
- كمال الدين (الدميرى)،
حياة الحيوان الكبرى، مؤسسة الأعلمى، بيروت،
٢٠٠٣
- محمد بن أبى بكر بن
عبد القادر (الرازى)،
محمد بن عبد الكريم
(الشهرستانى)،
محمد بن منظور،
مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، لبنان
ناشرون، بيروت، ١٩٩٥
الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلانى، البابى
الحلبى، القاهرة، ١٩٦١.
- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١
القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث

(الفيروز آبادي)، في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم
العرقسوسي، بيروت، ١٩٩٨

- Encyclopædia Britannica Standard
-Encyclopædia Britannica Editon CD-Rom, 2006
- Liddell(H.G.), Scott(R.) and Jones(H. S.),
-Liddell-Scott-Jones, Greek-English
Lexicon, Clarendon press, Oxford, 1996.
- O.C.D.,
-The Oxford Classical Dictionary, Edited
by Simon Hornblower and Antony
Spawforth, Univ. Press, 2000.
- Lewis (C.) & Short (C.),
-A Latin Dictionary. Founded on
Andrews' edition of Freund's Latin
dictionary. revised, enlarged, and in great
part rewritten by. Charlton T. Lewis,
Ph.D. and. Charles Short, LL.D. Oxford.
Clarendon Press. 1979.
- Hastings (J.),
-Encyclopaedia of religion and ethics,
New York, 1921
- Roscher
(W.H.),
-Ausührliches Lexikon der Griechischen
und Römischen Mythologie, Leipzig,
1884-1937
- Grimal (P.),
-The Dictionary of Classical Mythology,
Blackwell Publising, Oxford, 1986
- Room (A.),
-Room's Classical Dictionary, The Origins
of the Names of Characters in Classical
Mythology, Routledge & Kegan Paul,
London, 1983
- Smith (W.),
-A Dictionary of Greek and Roman
Antiquities, John Murray, London, 1875
- Walker (B.),
-The Woman's Encyclopedia of Myths
and Secrets, San Francisco: Harper &
Row, 1983

ثانياً: المصادر

- الكتاب المقدس، ترجمة سميث وفانديك وبستاني، ١٨٦٥
- ملحمة جلجامش، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، مراجعة: عوني عبد الرؤوف، آفاق عالمية، العدد ٢٣، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤
- ملحمة جلجامش، اللوح الحادي عشر، ترجمة وتعليق: سامي سعيد الأحمد، دار التربية، بغداد، ١٩٨٤

-The Bundahishn "Creation", or Knowledge from the Zand, Translated by: E. W. West, from Sacred Books of the East, Oxford University Press, 1897.

اسم العمل	اختصار اسم العمل	اسم الكاتب	اختصار اسم الكاتب
Argonautica	--	Apollonius Rhodius	A.R.
=de Cultu Deorum	-Cu.D.	Aelianus	Ael.
=de Natura Animalium	-N.A.		
= Septem contra Thebas	-Th.	Aeschylus	Aesch.
= Prometheus Vincit	-Pr.		
= Agamemnon	-Ag.		
= Supplices	-Supp.		
= Persae	-Pers.		
= Metamorphoses ♦	--	Antoninus Liberalis	Ant.Lib.
Bibliotheca	--	Apollodorus-pseudo	Apd
= Epitoma	-Ep.		
= Nubes	-Nub.	Aristophanes	Ar.
= Equites	-Eq.		
= Lysistrata	-Lys.		
= Plutus	-Pl.		
= Tegenista. Fragmenta	-Tag. Fr.		
= Vespae	-V.		
= Historia Animalium	-H.A.	Aristoteles	Arist.
= Deipnosophistae	-Deip.	Athenaeus	Athen.
= Hymni	-Hym.	Callimachus	Call.
= Fragmenta	-Fr.	Charaxus	Charax

*Antoninus Liberalis: Les Métamorphoses (Paris, Budé, 1968)

Clem.Al.	Clemens	-Protr.	= Protrepticus
D.	Alexandrinus		
Diod.Sic.	Demosthenes	-In Midiam	in Midiam
E.	Diodorus Siculus	--	Bibliotheca historica
	Euripides	-Ion	=Ion
		-Ba.	= Bacchae
		-Supp.	= Supplices
		-Ba.	= Bacchae
		-Med.	=Medea
Et.Mag	Etymologum	--	Etymologum Magnum
	Magnum		
Eust.,	Eustatheus	-Hom.	=Commentarii ad Homeri Iliadem et Odysseam
Germ.	Germanicus	-Ar.Ph.	=in Aratum Phaenomena
	Caesar		
Hdt.	Herodotus	--	Historiae
Hes.	Hesiodus	-Op.	=Opera et Dies
		-Th.	= Theogonia
		-Fr.	=Fragmenta
Hom	Homerus	-H.Ap.	= hymnus ad Apollinem
		-H.Cer.	= hymnus ad Cererem
		-Il.	= Ilias
		-Od.	= Odyssea
Hsch.	Hesychius	--	Lexicon
Hyg.	Hyginus	-Fab.	=Fables
		-Astr.	=Astronomica
I.V.	Iulius Valerius,	--	Res gestae Alexandri Macedonis
Liv.	Livius	--	ab Urbe Condita
Luc.	Lucianus	-Tim.	=Timon
Luc.	Lucianus	-D.Mort.	= Dialogi Mortuorum
Men.	Menandrus	-Fr.	Fragmenta
Nonn.	Nonnus		Dionysiaca
Ov.	Ovidius	-Met.	=Metamorphoses
		-Fast.	=fasti
P.Call	Pseudo-	--	Alexander
	Callisthenes		
Palaeph.	Palaephatus	--	de incredible
Paus	Pausanias	--	Graeciae descriptio
Philostr.	Philostratus	-V.A.	= Vita Apollonii
Phot	Photius	--	Lexicon
Pi.	Pindarus	-P.	=Pythia
		-O.	=Olympia
Pl.	Plato	-Smp.	= Symposium
Plin.	Plinius	-H.N.	= Historia Naturalis
Plut.	Plutarchus	-de defect. Orac.	=de Defectu oraculorum
		-Quaest.Graec.	= Quaestiones Graecae
		-Fr.Am.	=de Fraternali Amore
		-Cleom.	=Cleomenes

Porph.	Porphyrius	-Abst.	= de Abstinencia
S.	Tyrius		
	Sophocles	-Tr.	=Trachiniae
		-O.T.	=Oedipus Tyrannus
		-Ph.	= Philoctetes
		-Aj.	=Ajax
Sch. Luc.	Scholia in	--	
	Lucianum		
Sch.A.R.	Scholia in	--	Argonautica
	Apollonium		
	Rhodium		
Sch.Ar.	Scholia in	-Nub.	=Nubes
	Aristophanem	-Pl.	=Plutus
Sch.E.	Scholia in	-Ion	=Ion
	Euripidem		
Sch.Hom.	Scholia in	-Il.	=Ilias
	Homerum		
Sch.Hom.	Scholia in	-Il.	=Ilias
	Homerum		
Sch.Th.	Scholia in	--	=Historiae
	Thucydidem		
Serv.	Servius	-Verg.A.	= in Vergilii carmina commentarii
St.	Statius	-Th.	=Thibaid
Strab.	Strabo	--	=Geographica
Suid.	Suidas	--	=Lexicon
Th.	Thucydides	--	=Historiae
Tz.	Tzetzes	Ad Lyc.	=ad Lycophronem
Verg.	Vergilius	Aen.	=Aeneida
Xen.	Xenophon	An.	=Anabasis

قائمة الاختصارات

<i>Ant. Cl</i>	L'Antiquité classique.
<i>A.G.R</i>	Ancient Greek Religion.
<i>A.J.Th</i>	The American Journal of Theology.
<i>A.Z.P.A</i>	Acta zoological et Pathological Antverpiensia.
<i>AJA</i>	American journal of Archaeology.
<i>BASOR</i>	Bulletin of the American schools of oriental research in Jerusalem and Baghdad.
<i>C.G.S.</i>	Cults of Greek States.
<i>CPh</i>	Classical philology.
<i>G.G.</i>	The Gods of The Greeks.
<i>G.G.O.E.</i>	The Goddesses and Gods of Old Europe.
<i>G.H.C.</i>	Greek Hero-Cults and Ideas of Immortality.
<i>G.H.G.</i>	Gods and Heroes of the Greeks :An Introduction to Greek Mychology.
<i>G.M.</i>	The Greek Myths.
<i>G.P.R.</i>	Greek Popular Religion.
<i>G.R.</i>	Greek Religion.
<i>H.G.</i>	The Heroes of The Greeks .
<i>H.G.M</i>	A Handbook of Greek Mythology.
<i>H.G.R</i>	History of Greek Religion.
<i>JFA</i>	Journal of Field Archaeology.
<i>JHS</i>	The Journal of Hellenic Studies.
<i>L.G.</i>	The Language of the Goddess.
<i>M.M.R.</i>	Minoan-Mycenaeen religion and its survival in Greek religion.
<i>M.O.G.M.</i>	The Mycaenean Origin of Greek Mythology.
<i>O.G.M.</i>	Oriental and Greek Mythology.
<i>Prolegomena</i>	Prolegomena to the study of Greek religion.
<i>S.H.G.M.R</i>	Structure and History in Greek Mythology and Ritual.
<i>Themis</i>	Themis: Study of the Social Origins of Greek Religion.
<i>W.G.</i>	The White Goddess; a Historical Grammar of Poetic Myth.

ثالثاً: المراجع

- أ.د. جرنى،
الحيثيون، ترجمة: محمد عبد القادر محمد، مراجعة: فيصل
الوائلى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
- أحمد ديب شعبو،
فى نقد الفكر الأسطورى والرمزى: أساطير ورموز
وفولكلور فى الفكر الإنسانى، المؤسسة الحديثة للكتاب،
طرابلس، لبنان، ٢٠٠٦.
- أدموند فولر،
موسوعة الأساطير، الميثولوجيا اليونانية- الرومانية-
الاسكندنافية، ترجمة: حنا عبود، الأهالى، دمشق، ١٩٩٧.
- أنيس فريحة،
ملاحم وأساطير من الأدب السامى، دار النهار، بيروت،
١٩٧٩.
- باسيليا شالينك،
الملائكة والشياطين - العالم غير المنظور، ترجمة: عزت
زكى، دار مشتات، ابيرشتات، المانيا الغربية، ١٩٨٦.
- تشارلز روبنسن،
أثينا فى عهد بركليس، ترجمة: أنيس فريحة، مكتبة لبنان،
١٩٦٦.
- ثناء أنس الوجود،
رمز الأفعى فى التراث العربى، القاهرة ، ١٩٨٤
- ثناء جمعة الرشيدى،
الثعبان ومغزاه عند المصرى القديم: من البدايات الأولى
وحتى نهاية الدولة الحديثة، إشراف: جاب الله على جاب
الله، علا العجيزى، رسالة دكتوراة، غير منشورة، كلية
الآداب بقنا، ١٩٩٨.
- ج. كوننتو،
الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادى شعيرة،
مراجعة: طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
القاهرة، ١٩٩٧.

- جفرى بارندر،
المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح
إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوى، سلسلة عالم المعرفة،
الكويت، عدد ١٧٣، ١٩٩٣.
- جيمس فريزر،
الفولكلور فى العهد القديم (التوراة)، ترجمة: د.نبيلة ابراهيم،
دار المعارف القاهرة، ١٩٨٢.
- حسن صادق،
الجيولوجيا، مكتبة النصر، القاهرة، ١٩٢٩.
- روبرتسن سميث،
محاضرات فى ديانة الساميين، ترجمة : د.عبد الوهاب
علوب مراجعة وتقديم : د. محمد خليفة حسن، المشروع
القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،
١٩٩٧.
- سبتيانو موسكاتى،
الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار
الرقى، بيروت، ١٩٨٦.
- سيد أحمد على
-الإغريق، تاريخهم وحضارتهم، دار النهضة العربية،
القاهرة، ١٩٨١.
- الناصرى،
-أضواء على الحضارة الموكينية، مستخرج من حوليات
كلية الآداب، جامعة القاهرة، م ٢٩، ١٩٦٦.
- صمويل نوح،
أساطير العالم القديم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.
- عبد المعطى
-يوريبديدس: عابدات باخوس - إيون - هيپولوتوس، عين
للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧.
- شعراوى،
-أساطير إغريقية، ج ١-٣، الأنجلو المصرية،
القاهرة، ١٩٩٢-٢٠٠٥.
- على سامى النشار،
نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، دار المعارف، القاهرة،
١٩٧٧.
- فايز يوسف،
" حضانة المعبد فى معابد بلاد الإغريق ومصر"، مجلة

- الدراسات البردية، المجلد التاسع، ١٩٩٣، ١٢٧-١٤٠.
- فراس السواح،
مغامرة العقل الأول، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦.
- كارل غوستاف يونغ،
جدلية الأنا واللاوعي، ترجمة: نبيل محسن، دار الحوار
للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٧.
- كافين رايلي،
الغرب والعالم تاريخ الحضارة من خلال موضوعات،
ترجمة: د. عبد الوهاب محمد المسيري، د. هدى عبد
السميع حجازي، مراجعة: د. فؤاد زكريا، عالم المعرفة،
المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، عدد ٩٠.
- لويس ممفورد،
المدينة على مر العصور، ترجمة إبراهيم نصحي، الأنجلو
المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.
- م. هخت،
الثعابين، ترجمة عبد الحليم كامل، مراجعة محمد صابر
سليم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢.
- مارتن برنال،
أثينة السوداء الجذور الافرواسيوية للحضارة الكلاسيكية،
ترجمة: أحمد عتمان وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة،
المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ج١، ١٩٩٧.
- محمد الجوهري،
علم الفولكلور، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.
- محمد خليفة حسين،
الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم، دراسة في
ملحمة جلجامش، عين للدراسات والبحوث الإنسانية
والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧.
- محمد سامي عسل،
الجغرافيا الطبيعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،
١٩٨٤.
- محي الدين مطاوع،
الطقوس الجنائزية بين التقاليد والقانون في مدينة أثينا خلال
القرن الخامس ق.م.، أوراق كلاسيكية، العدد الخامس، كلية
الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٢٦ وما بعدها.

- منيرة كروان،
العالم الآخر فى المسرح الإغريقى، دار المعارف، القاهرة،
١٩٩٣.
- ويل ديورانت،
قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١.

- Alesha (M.), The First Book of The Black Goddess: a Study and Reflection on The First Cause of The Black Maternal, Matam Press , Tucson Arizona , 2004
- Astour (M.), Hellenosemitica, Leiden, 1967
- Barnett (R.D.), " The Epic of Kumarbi and the Theogony of Hesiod", JHS, 1945, LXV, p.100-101
- Bauchot (R.), Snakes: A Natural History, Sterling Publishing Co. Inc., New York, 1997.
- Bodson (L.), -" Les Grecs et leurs serpents. Premiers resultants de l'étude taxonomique des sources anciennes "Ant. Cl, 50, 1981, p. 57-78
 -"Living Reptiles in Captivity:A Historical Survey From the Origins to the End of the XVIIIth Century", A.Z.P.A.,78,1984, p.15-30
 -" Observations sur le vocabulaire de la zoologie antique : les noms de serpents en grec et en latin", GRECO-C.N.R.S., 8, 1986, p.. 65-119
 - Nature et Fonctions des Serpents d'Athéna ,MACTOUX Marie-Madeleine et Geny Evelyne, éd./ed., Mélanges Pierre Lévêque, IV, Besançon, Presses Universitaires de Besançon, 1990, pp. 45-62.
- Bremmer(J.), Interpretations of Greek Mythology, Routledge, London,1990
- Burkert(W.), -Structure and History in Greek Mythology and Ritual,Univ.of California Press, Berkeley,1979
 -Greek religion, translated by John Raffan, Basil Blackwell, Oxford, 1985
 - Savage Energies: Lesson Lessons of Myth and Ritual in Ancient Greece, Translated by

- Peter Bing, Univ. of Chicago Press, 2001
- Clark (R.J.), "The Manner of His Revelation", Transactions and Proceedings of the American Philological Association, 99, 1968, p. 63-75
- Clark (R.T.), Myth and Symbol in Ancient Egypt, Thames and Hundson, London, 1978
- Colbert (E.H.), The Age of Reptiles, Dover Publications Inc., New York, 1997
- Coldstream (J.), "Hero-Cults in the age of Homer", JHS 96, 1976, p. 8-17
- Cook (A.B.), Zeus: A Study in Ancient Religion, Cambridge, Univ. Press, vol: I, 1940
- Cooper, (W. R.) The Serpent Myths of Ancient Egypt Being a Comparative History of These Myths, Robert Hardwicke, London, 1873
- Cosmopoulos(M), Greek Mysteries: The Archaeology and Ritual of Ancient Greek Secret Cults, Routledge, New York, 2003
- Cozad (L.), Sacred Snakes: Orthodox Images of Indian Snake Worship, The Davies Group Publishers, Colorado, 2004 .
- Dawden (K.), The Uses of Greek Mythology, Routledge, London & New York, 1992
- Deane (J.B.), The Worship of the Serpent Throughout the World: Attesting The Temptation and Fall of Man by The Instrumentality of A serpent Tempter, J. G. & F. Rivington, London, 1830
- Dexter (M.), Whence the Goddesses, Teachers College Press, New York, 1990
- Dietrich (B.C.), The Origins of Greek Religion, Walter de Gruyter & Co., Berlin, 1973

- Diner (H.), Mothers and Amazons ; the first feminine history of culture, Julian Press, New York, 1965.
- Eiddon (I.) and Cambridge Ancient History, Cambridge Univ. Press, vol.II,part 2,1973
- Edwards (S.), -"The Palace of Knossos", Annual of the British School in Athens, 9, 1902-03, 1-153
- Evans (A.), -The Palace of Minos, Macmillan, London, vol. I , 1921 .
- Farnell (L.R.), -Cults of Greek States, Aegaeon Press, Chicago,vol.IV 1971
- Greek Hero-Cults and Ideas of Immortality, Oxford, 1920
- Fontenrose (J.), -Python : A Study of Delphic Myth and Its Origins, Biblo Tannen New York 1974
- Review of: Baladji Mundkur, The Cult of the Serpent, Cumulative Listing of Essays & Book Reviews From Asian Folklore Studies,vol.42.2, 1983, p.292-4
- Forsyth (N.), The Old Enemy: Satan and the Combat Myth, PrincetonUniv. Press, New Jersey, 1987
- Foster (K.P.), Aegean Faience of the Bornze Age,Yale University Press 1979
- Fowler (M.), " The Myth of Erichthonius", CPh., 28, 1943,p 28-32
- Frankfort (H.), Ancient Egyptian Religion, Columbia Univ. Press, New York,1977
- Frazer (J.), Apollodorus, The Library, Loeb Classical Library, Harvard Univ.Press, vol.2, 1960
- Frothingham (A.), Medusa II. The Vegetation Gorgonein, A.J.A., vol:19, No.1, Jan-Mar., 1915, p.13-23.
- Garber (M.) and The Medusa Reader, Routledge, New York, 2003.
- Vickers (N.J.),
- Gaskey (L.D.), A Chryselephantine Statutee of the Minoan

- Snake Goddeess, Museum of Fine Arts
Bullentin (Boston) , 12, 1914,51-55
- George (D.),
Mystereis of The Dark Moon: The Healing
Powr of The Dark Goddess, Harper San
Francisco, San Francisco, 1992
- Gesell (G.),
Town, palace, and House cult in Miroan
Cnete, paul Astroms Forlage, Goteborg ,
1985
- Gilmore (G.W.),
Animism or, Thought Currents of Primitive
Peoples,Boston Marshall Jones Company,
Boston, 1919.
- Gimbutas (M.),
-The Goddesses and Gods of Old Europe ,
6500-3500BC Myth and Cult Images,
Thames and Hudson,London,1982
- The Language of the Goddess, Thames &
Hudson, London,1989
- Ginsberg (H.L.),
" Did Anath fight the dragon?",BASOR,
1941, 84,12-14
- Clarke (H.),
Wake (C.S.),
Wilder (A.),
Serpent and Siva worship and mythology, in
Central America, Africa, and Asia. And The
Origin of Serpent worship. Two treatises,
J.W. Bouton, New York,1877
- Fergusson (J.),
Tree and Serpent Worship: Or Illustrations
of Mythology and Art in India in the First
and Fourth Centuries after Christ. From the
Sculptures of the Buddhist Topes at Sanchi
and Amravati, India Museum, London,1868
- Goetze (C.H.),
in Ancient Near Eastern Texts, edited by
J.B. Pritchard, Princeton, 1955
- Grabow,(E.),
Schlangenbilder in der Griechischen
Schwarzfigurigen VasenKunst, Scriptorium,
Munster, 1998.
- Graves (R.),
-The Greek Myths, Pinguin Books, New
York, 2vols,1984
-The White Goddess; a Historical Grammar
of Poetic Myth, Octagon Books, New York,

1972 p.243-246

- Greene (H.W.), Snakes, The evolution of Mystery in Nature, University of California Press, 1997.
- Güterbock (H.G.), "The Hittite Version of the Hurrian Kumarbi Myth : Oriental Forerunners of Hesiod" AJA,1948,52, 123-134
- Guthrie (W.K.C.), The Greeks and Their Gods, Methuen and Co. LTD, London, 1962
- Halliday (W.R.), -The Cambridge ancient history, Cambridge, vol: I 1924
- Greek Divination, A Study of Its Methods and Principles, Macmillan and Co., Limited, London, 1913
- Hard (R.), The Routledge Handbook of Greek Mythology, Based on H.J. Rose's Handbook of Greek Mythology, Routledge, New York,2003
- Harrison (J.), -"Delphika: (A) The Erinyes. (B) The Omphalos", Journal of Hellenic Studies 19 (1899), 205-251
- Themis: Study of the Social Origins of Greek Religion, Cambridge Univ. Press, 1912
-Prolegomena to the study of Greek religion, Meridian Books, Cambridge, 1921
- Henderson (J.) and Oakes (M.), The Wisdom of The Serpent : The Myths of Death, Rebirth, and Resurrection, George Braziller, New York, 1963.
- Hogan (J.C.), A Commentary on The Complete Greek Tragedies: Aeschylus,Univ.of Chicago Press, Chicago and London, 1993
- Horwitz (S.), The Find of a Lifetime: Sir Arthur Evans and the Discovery of Knossos,Viking Press, New York 1981.

- Howe (Th.Ph.), Zeus Herkeios: Thematic Unity in the Hekatompedon Sculptures, *AJA.*, 59, No. 4 (Oct., 1955), pp. 287-301
- Howey (M.O), The Encircled Serpent a Study of Serpent Symbolism in All Countries And Ages, Arthur Richmond, London, 1955
- Ingersoll (E.), Dragons and Dragon Lore, Payson & Clarke Ltd., New York, 1928.
- James (E.O.), Myth and Ritual in the Ancient Near East; an archeological and Documentary Study, Praeger, New York, 1958
- James(E.O.), The worship of the sky-god a comparative study in Semitic and Indo-European religion, University of London, 1963
- Jenngis (H.), Ophiolatrea: An Account of The Rites and Mysteries Connected with The Origin, Rise, and Development of Serpent Worship in Various Parts of The World, Enriched with Interesting Traditions, and A Full Description of The Celebrated Serpent Mounds & Temples, The Whole Forming An Exposition of One of The Phases of Phallic, or Sex Worship, London, 1889.
- Johnson (R.B.), Athena and Eden The Hidden Meaning of the Parthenon's East Façade, Solving Light Books, New York, 2002
- Jones (B.), -The Minoan" Snake Goddess" new interpretations of her Constume and indentity, *Aegaeum*, 22, 2001, 259-264
- Revealing Minoan Fashions, *Archaeology*, 53.3, 2000, P.36-41
- Καρέτσου(A.), Κρήτη-Αίγυπτος Πολιτισμικοί δεσμοί τριών χιλιετιών, Herakleion, 2000
- Keimer (L.), Histoire des Serpents dans l'Egypte

- Ancienne et moderne., Le Caire : Imprimerie de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, 1947
- Kerényi (C.) ,
 -The Heroes of The Greeks , trans: H.J. Rose , Thames &Hudson, London, 1997
 -The Gods of The Greeks, Thames and Hudson,London, 1982
- Kitto (H.D.F.),
 The Greeks, Penguin books, Melbourne, London , Baltimore, 1952
- Koch (M.Ioh),
 De Cultu Serpentum apud Antiquos, Lipsia, MDCCXVII
- Kramer (S.N.),
 Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944
- Krappe (A.H.),
 "Treisias and the Snakes", A.J.Ph., 49.3,1928,p 267-275
- Küster (E.),
 - Die Schlange in der griechischen Kunst,Naumberg. Lippert. 1913.
 - "Die Schlange in der griechischen Kunst und Religion", Religionsgeschichtliche Versuche und Vorarbeiten, Giessen,13,2.1913
- Lalonde (G.),
 Horos dios; an Athenian shrine and cult of Zeus, Brill Academic Publishers, 2006
- Leisegang (H.),
 -"Das Mysterium der Schlange. Ein Beitrag zur Erforschung des griechischen Mysterienkultes und seines Fortlebens in der Christlichen Welt", Eranos-Jahrbuch 7, 1940, p. 151-250.
 -"The Mystery of the Serpent", in The Mysteries. Papers from the Eranos Yearbooks ed.: J.Campbell, Bollingen Series XXX/2, Princeton 1978, 194-260.
- Mähly (J.),
 Die Schlange im Mythos und Cultus der Classischen Völker, Basel, Schultze,1867
- Malory (T.),
 The Birth Life and Acts of King Arthur. Illustrations by Aubrey Beardsley , London: J.M. Dent, 1893-1894

- Margaret (C.W.), The Meaning of the "Dokana", AJA, 23.1, 1919, p.1-18
- Mitropoulou (E.), Deities and Heroes in the Form of Snakes, Pyli Editions, Athens, 1977
- Monaghan (P.), The Book of Goddesses and Heroines, Dutton, New York, 1981
- Morford (M.) and Lenardon (R.), Classical Mythology, Longman, London, 1985
- Mundkur (B.), -The Cult of the Serpent, An Interdisciplinary Survey of Its Manifestations and Origins, Albany: State University of New York Press, 1983.
 - Correspondence: Again On Fontenrose's Review of The Cult of the Serpent, Cumulative Listing of Essays & Book Reviews From Asian Folklore Studies, vol.44.1, 1985, p.153-4
 - Correspondence: On Fontenrose's Review of The Cult of the Serpent, Cumulative Listing of Essays & Book Reviews From Asian Folklore Studies, vol.43.2, 1984, p.333-7.
- Murray (G.), Five Stages of Greek Religion, Watts & Co., London, 1935
- Myres (J.L.), "A History of the Pelasgian Theory", JHS, Vol. 27, 1907, p. 170-225
- Nilsson (M.P.), -A History of Greek religion, translated by : F. J. Fielden, Oxford, 1949
 - The Mycaenean Origin of Greek Mythology, Berkeley, 1932
 - Minoan-Mycenaean religion and its survival in Greek religion, Lund, 1950
 - "Schlangenstelle des Zeus Ktesios", Opuscula Selecta, Lund, 1951, vol. I, p.25ff

- Noldeke (T.), On Serpent-beliefs in Arabia, Zeit. F. Volkerpsychol, I, 1860.
- Oldham (C.F.), The Sun and the Serpent: A Contribution to the History of Serpent-worship, A. Constable & co., ltd., London, 1905.
- Parke (H.W.), Festivals of the Athenians, Thames and Hundson, London, 1977
- Persson (A.W.), The Religion of Greece in prehistoric Times, Univ. of California Press, 1942
- Picard (C.), Les religions préhelléniques: Crète et Mycènes, Univ. de France, Paris, 1948
- Pulleyn (S.), Prayer in Greek Religion, Oxford Univ. Press., 1997
- Reinach (S.) L'Artémis Arcadienne et la Déesse aux Serpents de Cnossos, Bulletin de Correspondance Hellénique, 30, 1906, 150-160
- Ritter (H.), Die Schlange in der Religion der Melanesier, Verlag für Recht und Gesellschaft, Basel, 1945
- Rittmann (A.), Volcanoes and Their Activity, translated by: Vincent (E.A.), John Wiley & Sons, New York, 1962
- Rohde (E.), Psyche the Cult of Souls and Belief in Immortality Among Ancient Greeks, Ares Publishers Inc., Chicago, 1987
- Rorse (H.J.), -A Handbook of Greek Mythology, Methuen & Co LTD, 1958
 - Ancient Greek Religion, Hutchinson's Univ. Library, New York, 1946
 - "Olympias and the Serpent: The Interpretation of a Baalbek Mosaic and the Date of the Illustrated Pseudo-Callisthenes", Journal of the Warburg and Courtauld Institutes, 26, No. 1/2, 1963, p. 1-21

- Yasser Sabek, "Die Schlange und ihre Verehrung in Ägypten in pharaonischer und moderner Zeit", Internet-Beiträge zur Ägyptologie und Sudanarchäologie, Vol. IV, Berlin 2003, p.137-157.
- Samuel (A.), The Mycenaeans in History, A Spectrum book, New Jersey, 1966
- Sancassano (M.L.), "Il lessico greco del serpente. Considerazioni etimologiche", Athenaeum 84.1 (1996), p.49-70
 -" Il serpente e le sue immagini. Il motivo del serpente nella poesia greca dall'Iliade all'Orestea", Côme, 1997, 205 p. (Biblioteca di Athenaeum, 36): "une contribution à l'approfondissement de l'imagination zoologique en Grèce".
- Sayce (A.H.), "Serpent Worship in Ancient and Modern Egypt", Contemporary Review (Oct. 1893),
- Scott Stokes (H.F.), Perseus, or of Dragons, E.P.Dutton & Company, New York, 1925.
- Sinha (B.), Serpent worship in ancient India, Book Today, New Delhi, 1979
- Smith (C.A.), Plague in The Ancient World: A Study from Thucydides to Justinian, The Student Historical Journal, 1996-1997, vol:28.
<http://www.loyno.edu/~history/journal/1996-7/1996-7.htm>
- Smith (H.G.), "Persian Dualism", A.J.Th., 8. No. 3, Jul. 1904, p. 487-501
- Soles (J.S.), Reverence for Dead Acestor in Prehistoric Crete, Aegium 22, 2001, p.230-235
- Sourvinou-Inwood (C.), "The Myth of the First Temples at Delphi", C.Q, Vol. 29, No. 2, 1979, p. 231-251
- Taylor (L.R.), "Alexander and the Serpent of Alexandria",

- Tylor (E.B.), CPh., Vol. 25, No. 4., Oct. 1930, pp. 375-378.
Primitive Culture, Harper, New York, 2 vols.,
1958
- Van Gennep (A.), The Rites of Passage, translated by: Monika
B. Vizedom and Gabrielle L. Caffee,
Routledge & Kegan Paul, London, 1960
- Vetters (H.), "Der Schlangengott", in: Studien zur
Religion und Kultur Kleinasien, Festschrift
F. K. Dörner, Leiden, 1978, 974–978
- Vogel (J.Ph.), Indian Serpent - Lore of the Nagas in Hindu
Legend and Art: Or, The Nāgas in Hindu
Legend and Art, Asian Educational Service,
New Delhi, India, 1995
- Wake (S.), Serpent-Worship and Other Essays, George
Redway, London, 1888
- Wagner, (D.) Die Schlange in Kult, Mythos und
Vorstellung der nordostafrikanischen
Stämme, Ludwig-Maximilians-Universität
München, 1970.
- Watkins (C), How to Kill a Dragon: Aspects of Indo-
European Poetics, Oxford Univ. press, 1995
- Zangger (E.), Prehistoric Coastal Environments in Greece:
The Vanished Landscapes of Dimini Bay
and Lake Lerna, JFA, 18, 1, Spring, 1991, p.
1-15

رابعاً: المواقع و شبكات الإنترنت

تفاحة المعتزلة فى زمن بؤس البصرة

<http://www.elaph.com/elaphweb/ElaphWriter/2004/11/22706.htm>

-Antikensammlungen, Munich, Germany, C.N.: Munich 596

<http://www.theoi.com/Gallery/M10.1B.html>

-Couleuvre à échelons -Elaphe scalaris - Ladder snake

http://www.planetepassion.com/SPECIES%20FACT%20SHEETS/SNAKES/Couleuvre_%C3%A0_%C3%A9chalons-Elaphe_scalaris.htm

-Herakles and Healing Cult in The Peloponnesos

<http://www1.hollins.edu/faculty/saloweyca/Saloweytext.htm>

-Lerna

<http://en.wikipedia.org/wiki/Lerna>

Mantineia

<http://en.wikipedia.org/wiki/Mantineia>

-Minoan Snake Goddess

<http://witcombe.sbc.edu/snakegoddess/>

-Minoan Snake Goddess

http://www.pantheon.org/articles/m/minoan_snake_goddess.html

-The Circle of the Dragon

<http://www.blackdrago.com/slayers.htm>

-The Dictionary of the History of Ideas, maintained by : The Electronic Text Center at Univ. Of Virginia Library.

<http://etext.lib.virginia.edu/cgi-local/DHI/dhi.cgi?id=dv2-05>

The Dragon Bestiary

<http://bestiarium.net/select.html>

-Vipera ammodytes

http://en.wikipedia.org/wiki/Vipera_ammodytes

-Vipera lebetina

http://en.wikipedia.org/wiki/Vipera_lebetina_lebetina

-Vipera Xanthina

http://en.wikipedia.org/wiki/Vipera_xanthina_xanthina



عندما أعمل الإغريقى خياله، وهو يصوغ الأساطير مصورا نفسه وآلهته، لم يغفل أن يصور غيره من الكائنات وعناصر الطبيعة، التى تتفاعل معه ويتفاعل معها فى واقعه. فجعل غيره من الكائنات شخوصا فى أساطيره، وشخصيات تشاركه أحداثها. فحاك بخياله اللامحدود الأساطير عن الحيوانات، والنباتات، والجبال، والأنهار، والسماء، والبحار، وكأفة مظاهر الطبيعة وظواهرها. شغل الحيوان حيزا ليس بالقليل من مساحة الأساطير، ومثلّ عنصرا أساسيا من عناصرها، لا يقل دوره فى أهميته عن دور الإله أو البطل، فلعب دوره الطبيعى، ودور المسخ، والممسوخ إليه، والمتقمّص. كما كان له حظ وافر فى الديانة الإغريقية، فكان صورة بعض الآلهة، أو من مخصصاتها ورموزها، ناهيك عن أن الحيوان كان هو الأضحية التى تقرب البشر من الآلهة.

ونود فى هذا البحث أن نلقى الضوء على أحد النماذج الحيوانية، الذى كان له انتشار واسع فى أساطير الإغريق ومكان بارز فى ديانتهم. نموذجنا فى هذا البحث هو الثعبان، ذلك الحيوان المميز بخصاله الخاصة، وطبيعته المتفردة. إنه يسير دونما أقدام. ليس له ريش أو شعر. ويسرى فى بدنه دم بارد. ويخرج من بيضة كما الطيور. ويكمن فى سمه الداء والدواء. يمشى على الأرض ويتسلق الأشجار ويسبح فى الماء. يسكن فى الجحور المظلمة أو على الأشجار العالية. يغير جلده من آن لآخر. يبتلع ضحيته، التى تبدو أضخم منه دون عناء.

أذهل الثعبان الأقدمين بصفاته الغريبة فى كافة أنحاء المعمورة، فقدسوه فى إيطاليا، ومصر القديمة، بلاد ما بين النهرين، وفينيقيا، وفارس، وعند الحيثيين، وفى الهند، والصين، واليابان، وشبه الجزيرة العربية، والمكسيك، وعند الاسكندنافيين.

عرف الثعبان طريقه لأساطير الإغريق ومعتقدتهم منذ أقدم عصورهم، فكان ملازما للعديد من الآلهة، فارتبطت بزيوس، وأبوللون، وأثينا، وديونيسوس، وديميتر، وهيرميس، كما كان عنصرا مشتركا فى صور معظم المسوخ أمثال: تيفون، وميدوسا، وبيثون، وهيدرا. صوّر الإغريق كذلك بعض أبطالهم فى صورة

ثعبانية، أمثال: كادموس، وإريخثونيوس، وكخريوس، وكيكروبس، والديسكوروي، وأسكليبيوس. ورأوا فيه مصدر تهديد للعديد من الأبطال، مثل: هيراكليس، ومصدر موت للكثيرين من الشخصيات الأسطورية، مثل: ايبيتوس، واوفيلتيس.

يتناول هذا البحث الأفكار التي كونها الإغريق عن الثعبان. ولما كانت هذه الأفكار في معظمها أسطورية، جاء عنوان البحث على النحو التالي:

"الثعبان بين الأسطورة والرمز عند الإغريق"

حيث يتناول الباحث صورة الثعبان في الحضارة الإغريقية من الزاوية الأسطورية، وما انطوت عليه الأساطير حول الثعبان من رموز وأفكار أسطورية ودينية، تعبر عن التصور والمعتقد الإغريقي. وسوف يركز البحث الأضواء على الثعبان أو الشخصية الثعبانية، أكثر من تركيزه على من يصابها من شخصيات أسطورية أخرى، قد يبعدنا الخوض في التعامل معها عن الهدف الأصلي للبحث. ولابد وأن نشير إلى أن حدود الفترة الزمنية التي يتعامل فيها البحث مع المصادر تبدأ منذ حوالي الألف السادس ق.م. حتى القرن الخامس الميلادي؛ ومن ثم ينقسم البحث إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: طبيعة الثعبان وطبيعة السكان

يمهد الباحث بهذا الفصل مستعينا بمعطيات مستمدة من علم اللغة وعلم الأحياء، بغرض الاتفاق على الألفاظ السليمة، التي ستشير إلى الثعبان في اللغة العربية- لغة البحث- وما يقابلها في الإغريقية- لغة المصادر- وعلاقة هذه الأسماء بأنواع وسلالات الثعابين. يتبع ذلك شرحا مفصلا لطبيعة الثعبان وسلوكه في الواقع، مما يساعدنا على فصل الحقيقة عن الخيال في الأساطير. كما سيعطى الباحث لمحة عن تغير التركيبة السكانية وما صاحبها من تطور في الفكر الديني؛ مما يساعد في تحديد الفترة التي تنتمي إليها أسطورة ما أو عقيدة أو طقس، وتميز الأفكار الأصلية من الوافدة؛ ومن ثم انقسم إلى مبحثين:

(أ) طبيعة الثعبان

(ب) طبيعة السكان

الفصل الثانى: الثعبان رمز الضرر

يتناول هذا الفصل الشخصيات الثعبانية التى كانت مصدر ضرر للبشر، والتى تصدت لها الآلهة وواجهها الأبطال؛ ومن ثم فهذا الفصل ينقسم إلى مبحثين:

(أ) الثعبان فى مواجهة الإله

سوف يتناول فى هذا الفصل نماذجاً من الأساطير الإغريقية، يوضح من خلالها الدور الذى أدته الكائنات الثعبانية فى مواجهة الإله، كما سيناقدش الباحث سبب وجود الثعبان فى تكوين شكل خصم الإله.

(ب) الثعبان فى مواجهة البطل

سوف يتناول فى هذا الفصل نماذجاً من الأساطير الإغريقية، يوضح من خلالها الدور الذى أدته الكائنات الثعبانية فى مواجهة البطل، كما سيناقدش الباحث سبب وجود الثعبان فى تكوين شكل خصم البطل.

الفصل الثالث: الثعبان رمز النفع

يتعامل هذا الفصل مع الأساطير والمعتقدات الدينية، التى ظهر فيها الثعبان مرتبطاً بمنافع للبشر. وينقسم إلى أربعة مباحث:

(أ) علاقة الثعبان بالحماية

(ب) علاقة الثعبان بالعرافة

(جـ) علاقة الثعبان بالعلاج

(د) علاقة الثعبان بالتجدد

الفصل الرابع: نشأة الأفكار عن الثعبان وتطورها.

يبحث هذا الفصل فى أصل الأفكار التى طرحتها الفصول السابقة، ومعرفة متى وأين نشأت؟ وكيف تطورت؟ وما مدى أصالتها؟ وينقسم إلى موضوعين:

(أ) الأصول الخاصة للأفكار عن الثعبان.

(ب) الأصول العامة للأفكار عن الثعبان.

استهدف البحث فهم الأفكار التى كونها الإغريق عن الثعبان من خلال دراسة صورته فى الأساطير وما حمله من رموز أسطورية ودينية، كما تناول

بالتفسير هذه الأساطير، وأصل لما كونه الإغريق من أفكار عن الثعبان. وللوصول للهدف من البحث كان لابد من طرح قضايا فرعية تشعبت منها قضايا أخرى جزئية، نوجزها فيما يلي:

* هل كانت الكلمات الإغريقية التي تشير إلى الثعبان ذات مدلول واحد؟
 * شكل الثعبان العنصر الرئيسى فى تصوير الشخصيات الأسطورية، التى لعبت دور عدو الإله أو عدو البطل. فهل كان الثعبان يرمز للشر المطلق؟

— كيف يمكن تفسير تصوير الشخصيات الأسطورية أمثال، تيفون وبيثون وهيدرا وميدوسا، فى صورة ثعبانية؟

* هل كان الثعبان يحمل رمزا إيجابيا عند الإغريق؟

— لماذا اعتبر الثعبان رمزا للحماية؟

— ماذا كان يحمى؟

— ما نوع الحماية التى يوفرها الثعبان؟

— كيف يمكن تفسير شكل الثعبان وسبب وجوده فى الأساطير

التى لعب فيها دور الحماية مثل: ثعبان آريس، والثعبان

لادون، و ثعبان كولخيس، و ثعابين كيربيروس؟

— لماذا ارتبط الثعبان بالعرافة والعرافين؟

— لماذا اعتبر الثعبان رمزا للعلاج والشفاء؟

— لماذا اعتبر الثعبان رمزا للخصوبة والتجدد؟

* كيف يمكن تفسير الأفكار التى كوّنها الإغريق عن الثعبان؟ وهل توجد صلة بينها؟

— ما هى المصادر التى استمد منها الإغريق أفكارهم عن الثعبان؟

— من من الإلهات الإغريقيات يمثل امتدادا للإلهة-الثعبان المينوية؟

— لماذا ارتبط الثعبان بالموتى؟

- لماذا صور الإغريق بعض أبطالهم وملوكهم فى صورة ثعبانية؟
- هل كان الإغريق على علم بطبيعة الثعبان؟
- هل ظهر الثعبان فى الأساطير فى صورته الطبيعية؟
- هل تفرد الإغريق فى أفكارهم عن الثعبان ؟
- كيف نفسر التشابه الواضح بين أفكار الإغريق عن الثعبان مع أفكار غيرهم من الشعوب ؟
- خلص الباحث من خلال هذه التساؤلات إلى ما يلى:
- لم تكن مرادفات كلمة ثعبان عند الإغريق ذات مدلول واحد، ولكن كانت كل كلمة تشير إلى فئة معينة أو نوع من أنواع الثعابين.
- كان الثعبان يعبر عن الضرر أكثر من الشر، كما كان يعبر أيضا عن النفع.
- ارتبط الثعبان بالحماية من خلال ظهوره فى الأساطير وهو يقوم على حماية شجرة أو نبع أو معبد أو بوابة، كما ارتبط ببعض الآلهة الحامية للمنازل والمدن والمحاربين.
- كُلف الثعبان بالحماية فى معظم الأحيان من قبل قوى مقدسة ليحمى أشياء لها حرمانات.
- ربطت الأساطير الثعبان بالنبوءة والعرافة وما ارتبط بهم من أماكن وشخصيات، كما كان وجوده فى مقار الوحي سببا فى ارتباطه فى الأذهان بالعرافة والعرافين.
- ارتبط الثعبان فى الأساطير بالشفاء والعلاج وما ارتبط بهم من أماكن وشخصيات، حيث لازم اسكليبيوس وهيگيا وغيرهم من الأبطال ذوى القدرات العلاجية.

- ارتبط الثعبان بالخصوبة والتجدد والبعث وصار رمزا لهم، من خلال ارتباطه بآلهة الخصوبة والروح الطيبة وقرن الخير.
- استمد الإغريق أفكارهم عن الثعبان من أربعة مصادر تنقسم بين مصادر خاصة وهى: الموروث المينوى وعبادة الأبطال، ومصادر عامة وهى: طبيعة الثعبان، وقصة سقوط الإنسان. وقد تضافرت هذه المصادر مجتمعة فى تكوين صورة الثعبان فى ذهن الإغريق.
- كانت الإلاهة أثينا تمثل امتدادا للإلهة المينوية.
- كان الثعبان يجسد روح السلف الميت.
- كان الملوك أنصاف الثعابين صورة للأشخاص المقدسين الذين تلقوا التكريم والعبادة ونالت أرواحهم الخلود.
- كان الإغريق على دراية كافية ليس فقط بطبيعة الثعبان، بل وبصفاته التشريحية.
- لم يتفرد الإغريق فيما انتجوه من أفكار حول الثعبان عن الحضارات الأخرى، بل شاركوا الشعوب القديمة نفس الأفكار، التى نبعت فى معظمها من قصة سقوط الإنسان.
- من خلال تعامل الباحث مع مجموعة من الأساطير قام بتحليل البعض منها، والبحث عن سبب ظهور الثعبان فيها، وتفسير ما يرمز إليه دوره، كما دعم بالأدلة ما أيده من تفسيرات سابقة لغيره من الباحثين.
- والجديد الذى قد يضيفه هذا البحث يتمثل فى أنه:
- يضيف إلى الدراسات السابقة عن الثعبان عند الإغريق جانبا جديدا هو الجانب الأسطورى.
- يضيف إلى سلسلة الدراسات الحضارية عن الثعبان دراسة جديدة.

- يعطى صورة نموذجية عن دور الثعبان فى الأساطير بأشكاله المختلفة كحيوان طبيعى، ووحش، ومُنْقَمَص، ومسح، وممسوخ إليه.
- يقدم تفسيرات جديدة لبعض الأساطير عن طريق التركيز على دور الكائن الثعبانى وما يرمز إليه، ففسر أسطورة تيفون، وكذا أسطورة ميدوسا، ولادون، وثعبان كولخيس، وفسر شكل كيربيروس، كما دعم تفسير أسطورة بيثون وهيدرا.
- قدم تصورا جديدا لأصل وتطور شخصية الإلهة أثينا.
- حدد المصادر التى استمد منها الإغريق أفكارهم عن الثعبان.

- He presents a new explanation of the origin and development of the goddess Athena.
- He defines and states the sources on which the Grecians depended to get their concepts about the snake.

- The snake symbolized fertility, restoration and resurrection. There was a relation between the snake and the god of fertility, good spirit and cornucopia.
- The Greeks got their ideas about the snake from four sources..
Special sources: the Minoan heritage and heroes worship.
General sources: the nature of snake, the fall of man. All the above mentioned sources formed the figure and shape of the snake in the Greek minds.
- The goddess Athena was the successor of the Minoan snake goddess..
- The snake embodied the souls of the dead ancestors.
- The half-snake kings were holy persons who received worship, honoring and immortality.
- The Greeks were aware of the nature and conduct of the snake and also its anatomical characteristics.
- The Greeks were not the only people who had concepts about the snake, many ancient people had the same concepts that came out of the story of the fall of man.
- The researcher dealt with a number of legends, analyzed them to find out the reason of presenting the snake in the end what it symbolized. The researcher also provides lots of proving evidence.

The unprecedented points that the study adds are, as follows:

- In addition to the previous studies, it proves that the snake had a legendary part for the Greeks.
- The study present a modal example about the snake part – as an animal, a hybrid, a metamorphosis, a misshapen or a transformed:
- The study provides a new explanation for some legends by directing more concentration on the part of the snake and what it symbolized. It explained Typhon, Medusa, Ladon and Colchian snake legends.

he also explains the shape of Cerberus and the legends of Python and Hydra.

- Why was there a relation between the snake and divination?
- Why was the snake considered a symbol for healing and recovery?
- Why did the snake symbolize fertility and regeneration?
- How can we explain the concepts that the Greeks created about the snake? Is there any relationship between them?
- What were the sources of the concepts about snakes?
- Which Greek goddess represented the Minoan snake goddess?
- Why was the snake related to the dead?
- Why did the Grecians present some of their heroes and kings as snakes?
- Did the Greeks know the nature of the snake?
- Did the snake appear in the legends in its actual image ?
- Did the Grecian have some unique concepts about the snake?
- How can we explain the clear similarity between the Grecian concepts about the snake and the concepts of the other peoples?

According to the above mentioned questions, we reached the following findings and results:

- The synonyms of the word “snake” didn’t have the same meaning; however, each word indicated a different species of snakes.
- The snake represented harm and damage more than evil. It also represent good.
- The snake have some relation with protection, through legends, it guarded trees, wells, temples and gates. There was also some relation with gods that guarded houses, cities and warriors.
- Mostly, the snake was in charge of guarding and protecting some scared things.
- The snake was connected with prophecy and divination and their related places and characters.
- Through the legends, there was some connection between snakes and recovery and treatment. All the time, the snake was with Asclepius, Hygeia and other heroes who had treatment abilities.

This chapter deals with the legends and the religious beliefs in which there were some relations between the snake and benefits for people.

This chapter is divided into four topics:

- a) The Relation between the Snake and Protection.
- b) The Relation between the Snake and Divination.
- c) The Relation between the Snake and Healing.
- d) The Relation between the Snake and Regeneration.

Chapter four: Origin and development of the Concepts about the Snake

This chapter discusses the origin of the concepts mentioned in the previous chapters, when and where it emerged, how did it developed? This chapter is divided into two topics:

- a) The Special |Origins for the Concepts about the Snake.
- b) The General Origins for the Concepts about the Snake.

The main issue of this study is to reach the basic concept that the Greeks created and developed in mind about the snake. This could be realized by studying what was mentioned in the legends and what the legendary and religious symbols indicated.

For this purpose, there are some sub-issues, that should be discussed, such as:

- Did the Greek terminologies that referred to the snake, have one meaning?
- The snake was a main factor to represent the legend characters that played the part of the enemy for the god or the hero, did the snake symbolize the absolute evil?
- How can we explain presenting some legendary characters, e.g, Typhon, Python, Hydra and Medusa as snakes?
- Did the snake have any positive symbol, for the Grecian?
- Why was the snake considered as a symbol for protection?
- What did it protect?
- Which kind of protection did it provide?
- How can we explain the shape of the snake and the reason why it was found in the legends in which it had the role of protection, such as the snake of Ares, the dragon Ladon, The Dragon of Colchis and the snakes of Cerberus?

Hercules and also the cause of death for a lot of the legend characters such as Aipytus and Opheltes.

This study deals with the concept of snake for the Greek people. As all these concepts were legendary, the study entitled:

“ The snake between Myth and Symbol for Greeks”

The researcher discusses the snake in the Greek culture And its religious and legendary symbols.

The study also focuses on the snake itself more than any other legendary character, so as not to miss the main point of the study. Attention should be paid to period of time that the study targets, it starts from 6000 BC to 500 AD.

The study is divided into four chapters:

Chapter one: The nature of the Snake and the Nature of the Inhabitants

The researcher paves the way and presents the language and the correct terminologies that indicate the snake in the Arabic language- the language of the study – and the relation of these terminologies with the species of the snake. This will allow for a detailed explanation for the snake and its behavior and thus we can know and identify what was a fact or an imagination in these legends.

The researcher also refers to the Greek people and the development of the religious thinking so as to define and highlight the period of any legend belief or ritual. he can also distinguish between the original concepts and the excerpted or borrowed. Thus, this chapter is divided into two topics...

- a) The Nature of the Snake
- b) The Nature of The Inhabitants

Chapter Two: The Snake as a Symbol of Damage

This chapter deals with the snake characters that was a source of evil for humans and were faced or fought by gods and heroes. Thus, this chapter is divided into two topics...

- a) The Snake Facing The God.
- b) The Snake Facing the Hero.

Chapter Three: The Snake as a Symbol of Utility

When the Grecian used his imagination, creating legends and presenting himself and his gods, he didn't miss presenting other creatures as they both interact-all together. He presented other creatures as characters in his legends that participated in the legends incidents. Using his far-reaching imagination, he created legends about animals, plants, mountains, rivers, sky, seas and all other nature elements.

The animals played an important part in the legends. Its role was not less important than the role of the hero or the god. It played its normal role, the role of the hybrid or the metamorphosed. The animal also had a wide spread participation in the Greek religion. It represented some gods or an attribute of the gods. It, also was a sacrifice that man presented to gods.

The snake is one of the oldest and most widespread mythological symbols. It has some special characteristics and a unique nature. It moves without legs or feet. It has no feathers nor hair. It has some kind of a cold blood, it lays eggs like birds. Its venom carries the disease and the medicine. It creeps on the ground, climbs trees, swims and lives in the dark burrows or above trees. It changes its skin every now and then. It swallows its prey easily, though it could be much bigger than it.

The snake was an amazing creature for the ancient because of its strange characteristics. People worshipped it in ancient Italy, Egypt, Iraq, India, China, Japan, The Arab Peninsula, Mexico and the Scandinavian Countries.

The snake was popular in the Greek legends and beliefs from a very old time. It was associated with many gods such as Zeus, Apollo, Athena, Dionysus, Demeter and Hermes. It was a common factor in the picture of most hybrids such as, Typhon, Medusa, Python and Hydra.

The Greek people also presented their heroes as snakes, eg. Cadmus, Erichthonius, Cychreus, Kikrops, Dioscuri and Asclepius. The snake was a threat for many heroes such as



SUMMARY



Ain Shams University
Faculty of Arts
Dept. of Ancient European Civilization

**THE SNAKE BETWEEN MYTH AND SYMBOL
FOR THE GREEKS**

*Submitted as a Qualification for the Degree
of PhD in Mythology*

By

Ayman Abdel-Twab Hassan Said

Supervised by

Prof. Alia Hanafi Hassanien

Prof. of Papyrology

Dr. Iman Ali Ezzel-deen Ismaeel

Lecturer of Ancient Greek Literature

2008

CAIRO

